مقرر

علم نفس النمو

الفرقة الاولي تعليم عام

أستاذ المقرر

د/ نورا تاج الدين جعفر

مدرس الصحة النفسية بكلية التربية بقنا

العام الجامعي
٢٠٢٣ / ٢٠٢٤م

بيـــانـــات أساسية

الكلية: التربية

الفرقة: الاولي

التخصص: تعليم عام جميع الشعب

عدد الصفحات: ٢٤٧

القسم التابع له المقرر : قسم الصحة النفسية

الرموز المستخدمة

فيديو للمشاهدة.

نص للقراءة والدراسة.

رابط خارجي.

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي.

أنشطة ومهام.

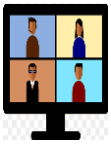 **تواصل عبر مؤتمر الفيديو.**

محتوى الكتاب

محتوي الكتاب الالكتروني	الصفحة
اولا : الموضوعات : ----------	٣ـ٤
ثانيا : الجداول : ----------	٤

أولا : الموضوعات	الصفحة
الفصل الاول	٥
تعريف علم نفس النمو	٦
أهمية علم نفس النمو	٩
المجالات المرتبطة بعلم نفس النمو	١٣
مناهج البحث المرتبطة بعلم نفس النمو	١٧
الفصل الثاني	٣٣
مبادئ النمو	٣٤
العوامل التي تؤثر في النمو	٤٥
الفصل الثالث	٦٨
دراسة موجزة لمرحلة ما قبل الميلاد	٦٨
مراحل حياة الجنين	٦٨
المؤثرات البيئية في مرحلة ما قبل الميلاد	٧٣
الفصل الرابع	٨١
مرحلة المهد	٨١
المظاهر المختلفة لنمو الوليد	٨١
النمو الجسمي والفسيولوجي	٨٥
النمو الحركي	٨٧
النمو الحاسي	٨٨
النمو العقلي واللغوي	٩٠
النمو الانفعالي	٩٣
الفصل الخامس	٩٥
الطفولة المبكرة	٩٥
النمو الجسمي والفسيولوجي	٩٦
النمو الحسي	٩٩

النمو الحركي	١٠٠
النمو العقلي واللغوي	١٠٣
النمو الانفعالي	١٠٦
دور الاسرة والبيئة الاجتماعية في النمو الاجتماعي	١٠٩
الفصل السادس	١١٧
مرحلة الطفولة الوسطي	١١٧
النمو الجسمي	١١٧
النمو الفسيولوجي	١٢٠
النمو الحركي	١٢١
النمو الحسي	١٢٤
النمو العقلي	١٢٦
النمو اللغوي	١٣١
النمو الانفعالي	١٤٠
النمو الاجتماعي	١٤٣
النمو الجنسي	١٥٠
الفصل السابع	١٥٢
مرحلة الطفولة المتاخرة	١٥٣
النمو الجسمي	١٥٣
النمو الفسيولوجي	١٥٥
النمو الحسي	١٥٣
النمو الحركي	١٥٥
النمو العقلي	١٦٠
النمو اللغوي	١٦٧
النمو الانفعالي	١٦٩
النمو الاجتماعي	١٧٠
النمو الجنسي	١٧٥
الفصل الثامن	١٨٠
مرحلة المراهقة	١٨١
المراجع	٢٤٧
ثانيا : الجداول	الصفحة
جدول١ / تقسيم مراحل النمو وفقاً للعمر الزمنى	٣٩

الفصل الأول

- تعريف علم النفس النمو
- أهمية دراسة علم نفس النمو
- المجالات المرتبطة بعلم نفس النمو
- مناهج البحث فى علم نفس النمو

الفصل الأول

تعريف علم نفس النمو :

علم نفس النمو هو فرع من فروع علم النفس ، يختص بدراسة نمو الإنسان منذ بدء تكوينه باتحاد الخلية الذكرية (الحيوان المنوي) مع الخلية الأنثوية (البويضة) بكل ما يحمله كل منهما من خصائص وراثية ، تنحدر من الوالدين والأسلاف ، وما يكتنف هذه الخصائص من عوامل تكوينية داخل الرحم حتى يحدث الحمل ويولد الجنين . ثم يتتبع هذا العلم الجنين وليدا ثم حضينا ثم طفلا دارجا ، يستكشف العالم من حوله بما يضم من أشخاص وأشياء يحاول العبث بها أحيانا ، أو أن يستخدمها لصالحه أحياناً أخرى ، ثم يواكبه حينما يخرج من منزله إلى دار الحضانة مكونا علاقات اجتماعية مع المحيطين به ، ثم ينطلق من دار الحضانة إلى المدرسة مكتسباً الخبرات والمهارات والمعلومات وطرق التفكير والاتجاهات والقيم، ويجتاز معه أزمة المراهقة بكل ما تحمله فى طياتها من فوران جسمى واضطراب نفسى وتأمل فكرى ، وإعادة نظر للعلاقات الاجتماعية التى تربطه بالمحيطين به داخل الأسرة وخارجها ، ويأخذ بيده حتى يتخرج من المدرسة أو الجامعة حين يبلغ رشده ويتطلع إلى اختيار مهنته واختيار شريكة حياته .

ويظل علم نفس النمو يتابع رحلة نمو الإنسان حتى يتقدم فى السن ويطويه تيار العدم ، حيث يرى بعض علماء النفس أن الموت هو آخر مرحلة من مراحل النمو .

والنمو بهذا المعنى يتضمن التغير الذى يطرأ – مع مرور فترة زمنية معينة على أى جانب من جوانب الكائن الحى ، سواء كان ذلك متعلقاً ببنائه التشريحى أو تكوينه البيولوجى أو وظائفه الفسيولوجية أو نشاطه فى البيئة التى يعيش فيها .

وإذا كان علم نفس النمو يهتم بدراسة مظاهر التغير التى تحدث للكائن البشرى منذ لحظة الإخصاب وحتى الوفاة ، فإن ذلك يكون بهدف تفسير هذه المتغيرات والتنبؤ بها ؛ إلى جانب فهم مراحل النمو المختلفة والاستعداد لمواجهة التغيرات التى يتعرض لها ؛ خاصة فى مرحلة المراهقة ، ومن ثم توجيه الفرد الوجهة الصحيحة .

يتضمن النمو بمعناه النفسى يتضمن التغيرات الجسمية والفسيولوجية من حيث الطول والوزن والحجم ، والتغيرات التى تحدث فى أجهزة الجسم المختلفة ، والتغيرات العقلية المعرفية ، والتغيرات السلوكية الانفعالية والاجتماعية ، التى يمر بها الفرد فى مراحل نموه المختلفة .

وبذلك فإن النمو يتألف من سلسلة من التغيرات التى تهدف تحقيق النضج ، ومما هو جدير بالذكر أن هذه التغيرات لا تنتاب الأعضاء المختلفة التى يتألف منها الكائن الحى ، بل تنتاب وظائف هذه الأعضاء أيضاً ، وهذه التغيرات تشمل :

التغير فى الأبعاد الطبيعية :

ويقصد بذلك ما يحدث من تغير للكائن النامى فى الطول والعرض والحجم والوزن ، وهذه الجوانب هى أكثر جوانب التغير وضوحا .

التغير فى كم أو مقدار الظواهر السلوكية :

كالتغير فى سرعة الأداء كالمشى أو حل المسائل الحسابية ، أو التغير فى كم الحصيلة اللغوية ، كما تظهر فى عدد المفردات أو عدد الكلمات التى يمكن قراءتها .

التغير فى النسب :

يحدث التغير بنسب مختلفة فى نواحى النمو المختلفة ؛ فرأس الجنين مثلا تبلغ نسبتها إلى جسمه بما يقرب من الثلث ، ولكنها عند الراشد لا تزيد نسبتها للجسم عن سدسه ، والتغير فى النسب دائم لا يتوقف ، فحتى فى الشيخوخة مثلا تصبح نسبة الأنف إلى الوجه الضامر للمسن أكثر مما كانت عليه وهو فى مرحلة الشباب . ولا يقتصر التغير فى النسب على نواحي النمو الجسمى وحده ، بل إنه ظاهرة واضحة أيضاً فى الجوانب الأخرى . ولعل من الأمثلة البارزة على ذلك التغير فى نسبة الذكاء مثلا فهى تقل بشكل جوهرى عند المراهقين عما كانت عليه عند الطفل ، كذلك تقل نسبة المخاوف عند الطفل فى مرحلة الطفولة المتأخرة عنها فى مرحلة الطفولة المبكرة ، وهكذا .

التغير من حيث ظهور صفات جديدة :

تظهر صفات جديدة للسلوك على طول مراحل النمو ؛ مثل المشى والكلام وتناول الطعام الجاف ، كما تظهر أيضاً أعراض النمو الجنسى الأولية والثانوية .

التغير من حيث اختفاء خصائص قديمة :

مثل اختفاء خاصية الاتكال أو الاعتماد على الآخرين ، الواضحة فى سلوك الطفل ، وخاصية الالتصاق بالأم ، واختفاء سلوك الحبو والمشى أو الوقوف مستنداً، واختفاء الصراخ كوسيلة للحصول على الأشياء ، واختفاء الأسنان اللبنية ، كذلك ضمور الغدة التيموسية والغدة الصنوبرية (غدتا الطفولة) فى سن البلوغ ، بما يتيح للغدد الجنسية التناسلية أداء وظيفتها .

فالنمو بشكل عام ظاهرة نشاهدها فى جميع الكائنات الحية ، وهو عملية مستمرة ومتداخلة تسير فى مراحل متعددة اختلف العلماء على تسميتها ، إلا أنهم اتفقوا على أن جميع الأفراد يمرون بهذه المراحل بتسلسل منظم ، سواء طالت المدة التى يمكثها الفرد فى أى منها أو قصرت .

خلاصة القول ، فإن علم نفس النمو فرع من فروع علم النفس ، يهدف إلى دراسة مراحل النمو التى يمر بها الكائن الحى ، والعوامل التى تؤثر فيها ، والخصائص العامة التى تميز هذه المراحل .

أهمية دراسة علم نفس النمو :

<u>أولاً : من الناحية النظرية :</u>

١- الكشف عن المقاييس المختلفة لكل مظهر من مظاهر النمو كالنمو الجسمى والنمو العقلى والنمو الانفعالى والنمو الاجتماعى فى كل مرحلة من مراحل النمو ، وبذلك يستطيع الباحث معرفة علاقة العمر الزمنى بالطول أو الوزن أو معرفة النمو العقلى والنمو الاجتماعى وعلاقته بالنمو اللغوي ، ومعرفة النمو البطئ ، والنمو السريع ، والنمو المتأخر . إلى جانب الكشف عن العوامل التى تؤثر فى عملية النمو ، وكيف تؤثر هذه العوامل ؟ وهل هى الوراثة أم البيئة أم هما معا ؟ وما دور كل منهما إن وجد ؟ وهكذا .

٢- فهم سيكولوجية العمليات العقلية المختلفة كالتفكير والتذكر والتخيل ، ومراحل تطور هذه العمليات منذ مرحلة الطفولة حتى مرحلة الرشد ، ويساعد ذلك على تربية الأفراد تربية صحيحة وفى توجيههم التوجيه الصحيح ، الذى يعتمد فى جوهره على الأبحاث التجريبية الموضوعية .

٣- معرفة القوانين والنظريات التى تفسر نمو السلوك الانسانى بمختلف مظاهره الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية .

٤- وضع المعايير المختلفة للنمو النفسى فى كل مرحلة من مراحله ، وفى كل مظهر من مظاهره ، وفى هذا الصدد نجد أن علم نفس النمو يبلور لعلم النفس التربوي المفاهيم المتصلة

به كالقدرات والعمليات العقلية وشروط عملية التعلم ، ويزود علم النفس الإكلينيكى بما يعتري مسار النمو من اضطرابات يتعين تشخيصها وعلاجها ، ويقدم لعلم نفس غير العاديين الأفكار المتصلة بمظاهر الشذوذ ، التى ينبغى تصحيحها بالتربية والتأهيل النفسى والمهنى والتربوي .

ثانياً : من الناحية التطبيقية :

١- بالنسبة للآباء :

تساعد دراسة علم نفس النمو الآباء فى أمور عدة منها :

أ- تعرف مراحل النمو ، وخصائص كل مرحلة وطبيعة عملية الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، مما يساعدهم على أن يفرقوا فى معاملتهم لأبنائهم ، فيدركون أن مرحلة الطفولة تتميز بالاتكالية والتبعية والاعتماد على الوالدين ، فى حين أن مرحلة المراهقة هى مرحلة التحرر والاستقلال ، إلى جانب فهم قدرات وإمكانيات البناء الجسمية والعقلية فيعاملونهم وفق هذه القدرات .

ب- تقديم الأفكار المتصلة بالفروق الفردية بين أفراد الجنس الواحد ، والفروق بين الجنسين والتى يتعين مراعاتها عند التعامل مع الناشئة ، حيث تؤثر فى سلوكهم وتوجهه .

جـ- تعرف النمط النمائى السوى الذى يؤدى بالوالدين والمربين وغيرهم من العاملين فى مجالات رعاية الأطفال إلى تهيئة الطفل

مقدما للتغيرات التى سوف تحدث فى جوانب النمو المختلفة ، وعلى الرغم من أن هذه التهيئة النفسية لن تزيل كل التوترات والمصاحبات لعملية النمو .. إلا أنها تسهم بدرجة كبيرة فى الإقلال منها .

د- تقديم فكرة واضحة عن تكوين شخصية الطفل ونموها والعوامل المؤثرة فى هذا النمو ، والقوانين التى يخضع لها ، والمعايير التى يتم تقييم النمو فى ضوئها حتى يتم تصحيح أى اعوجاج أو شذوذ .

٢- بالنسبة للمعلمين :

تساعد دراسة علم نفس النمو المعلمين فى أمور عدة منها :

أ- التعرف على الخصائص الدافعية والعقلية والانفعالية ، التى تميز كل مرحلة من مراحل النمو ، مما يساعد المدرس على استثارة حماس ودافعية التلاميذ لعملية التعلم .

ب- تعليم التلاميذ ما يناسبهم – جسمياً وعقلياً – من معارف ومهارات .

جـ- القدرة على التعامل مع التلاميذ تعاملاً صحيحاً ؛ مما يؤدى إلى زيادة درجة تقبلهم للجو المدرسى .

د- تحديد الأهداف التربوية ، وبناء المنهج ، وتحديد المقررات الدراسية وطرق التدريس والوسائل التعليمية ، التى تناسب كل مرحلة من مراحل النمو .

هـ- التعرف على الفروق الفردية بين التلاميذ ؛ مما يساعد فى الوصول إلى أفضل طرق التدريس التى تتناسب مع قدراتهم وإمكانياتهم .

٣- بالنسبة للأخصائيين الاجتماعيين :

تساعد دراسة علم نفس النمو الأخصائيين الاجتماعيين فى عدة أمور منها:

أ- معرفة معايير نمو السلوك ، والمبادئ التى تخضع لها عملية نمو الشخصية مما يساعد الأخصائي الاجتماعي على التعامل مع التلاميذ ، وفق أسس تربوية سليمة .

ب- فهم المشكلات الاجتماعية وثيقة الصلة بتكوين ونمو شخصية الفرد ، مثل : مشكلات التأخر الدراسى والضعف العقلى والجناح والانحرافات الجنسية ... إلخ ، والتعرف على مسبباتها والعمل على الوقاية منها ، واقتراح الخطط المناسبة للعلاج .

المجالات المرتبطة بعلم نفس النمو :

يعتبر مجال علم نفس النمو علما سلوكيا واسعا ، يعتمد على كثير من المجالات الأخرى ، حيث يأخذ منها ويعطيها ؛ لذلك فإنه من الضرورى أن يهتم المتخصص فى هذا المجال بدراسة ومتابعة ما يمكن أن يتوصل إليه العلماء والباحثون فى المجالات المرتبطة بهذا المجال ، ومن أهم هذه المجالات :

١- علم الإنسان Anthropology :

يهتم هذا العلم بدراسة الإنسان وكافة خصائصه إلى جانب العوامل النفسية أو السيكولوجية التى تؤثر على شخصية الفرد ، ويطلق على هذا العلم أحيانا علم البشريات أو علم الأجناس البشرية أو منحى طبائع البشر . ويقدم المتخصصون فى هذا المجال إسهاماً كبيراً بالنسبة لفهم الشخصية الإنسانية ، وذلك من خلال توضيح أثر العوامل الثقافية على مختلف جوانب نمو الشخصية ، وقد ترتب على بحوثهم ودراساتهم لفت أنظار الباحثين فى مجال علم نفس النمو إلى أهمية تأثير الثقافات المختلفة ، بل وأهمية تأثير الثقافة الفرعية (الإقليمية) داخل الثقافة الواحدة على النمو ، إذ إن الثقافة يمكن أن تساعد على تشكيل النمو وتنشيطه ، وذلك من خلال إلقاء الضوء على تأثير الثقافة على الاتجاهات والقيم الاجتماعية .

وقد أوضح علماء علم الإنسان أهمية المستوى الاجتماعى الاقتصادى كعامل أساسى وضرورى ، يجب أن يوضع فى الحسبان عند دراسة جوانب النمو .

٢- علم الحياة Biology :

ترتب على البحوث التى أجريت فى مجال علم الحياة لفت أنظار الباحثين فى مجال علم النفس بصفة عامة ، وعلم نفس النمو بصفة خاصة إلى تأثير عامل الوراثة على نمو الطفل . وتعتبر دراسات نمو الإنسان فى مرحلتى ما قبل الميلاد ، والرضاعة ، وما ترتب على هذه

الدراسات من نتائج أسهمت إسهاماً كبيراً من جانب الباحثين فى مجال علم الحياة ؛ حيث ترتب على هذه الدراسات إيضاح العوامل التى تؤثر على نمو الجنين ، وفهم سيكولوجية الحمل والولادة . كما أن الباحثين البيولوجيين ساعدوا العالمين فى مجال علم النفس على فهم طبيعة وخصائص الكروموزومات Chromosomes والمورثات (الجينات) Genes ، وكيفية حدوث الانقسام الخلوى ، والأمراض الوراثية والعوامل الوراثية المسئولة عنها .

٣- علم النفس التربوي Educational Psychology :

يهتم هذا العلم بالدراسات النظرية والإجراءات التطبيقية لمبادئ علم النفس فى الوسط التعليمى ، ويركز بصفة خاصة على عمليتى التعليم والتعلم ، ويهتم علم النفس التربوي بتوفير كم من الحقائق المنظمة والتعميمات التى يمكن أن تساعد المعلم فى تحقيق أهدافه المهنية إلى جانب مساعدة المعلم على صياغة أهدافه التربوية ، وتقدير أهمية العلاقات الإنسانية داخل حجرات الدراسة فى بناء شخصية تلاميذه .

أى إن علم النفس التربوي يهتم بمسألة تطبيق المبادئ والمكتشفات السيكولوجية على حقل التربية والتعليم ، بالإضافة إلى الدراسة السيكولوجية لمشكلات التربية على صعيد البيت والمدرسة .

٤- علم النفس الاجتماعي Social Psychology :

يسعى علم النفس الاجتماعى إلى دراسة سلوك الفرد فى الجماعة ؛ أى إنه يهتم بدراسة التفاعل بين الفرد والآخرين ، وما ينتج عن ذلك من اكتساب أنماط سلوكية واتجاهات معينة وقيم اجتماعية ، كما يهتم علم النفس الاجتماعى بدراسة عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى ، والمعايير والأدوار الاجتماعية ، والقيم والاتجاهات النفسية ، والرأى العام . كما أن علم النفس الاجتماعى يهتم اهتماماً خاصا بالأمراض الاجتماعية كالجناح والسلوك المضاد للمجتمع . وهى موضوعات تعتمد على دراسة مراحل النمو التى يمر بها الكائن الحى ، والعوامل التى تؤثر فيها إلى جانب خصائص النمو فى كل مرحلة من مراحل النمو .

٥- علم النفس العام General Psychology :

قدم علم النفس العام إسهاماً ثرياً إلى مجال دراسة النمو النفسى للطفل ، وذلك عن طريق عرض مختلف وجهات النظر ، التى تتعلق بالسلوك الإنسانى ، على جانب توفير الأساليب اللازمة لقياس الفروق الفردية . كما أن المتخصص فى مجال علم نفس النمو يصبح قادراً على عقد المقارنات وصياغة الفروض فى ضوء المبادئ العامة ، التى توصل إليها من خلال دراسة الذكاء ، والتذكر ، وغير ذلك من الموضوعات التى تنتمى إلى علم النفس العام .

٦- الطب Mediciene :

تـأثرت دراسـة النمـو النفسـى للطفـل بمـا تمخضـت عنـه الجهـود التى بذلك فى مجال الطب ، فقد ترتب على البحوث التى أجريت فى مجال الطب لفت أنظار الباحثين فى مجال علم نفس النمو إلى معرفة تـأثير الغـدد علـى الوظـائف الفسـيولوجية العامـة ، وكـذلك التغيـرات الفسيولوجية التى تحدث لـلأم الحامل إلى جانب كيفية رعاية الطفل حديث الولادة ، كذلك يعتبر أطباء الأطفال مصدرا لكثير من المعلومات الخاصة بعوامل ما قبل الولادة ، والمشكلات الغذائية المتعلقة بالحمل (حـدوث الغثيـان والقـئ – الزيـادة أو النقصـان فـى الـوزن – حـدوث الإمساك – احتمال حدوث فقر دم) تغذية الأم أثناء الحمل والرضاعة .

مناهج البحث فى مجال علم نفس النمو :

إن الهدف الرئيسى من دراسة مناهج البحث فى مجال علم نفس النمو ، هو الإحاطة بالطرق العلمية التى يلجأ إليها الباحثون فى دراسة مظاهر النمو فى مراحل العمر المختلفة . وكانت مناهج البحث فى بادئ الأمر قاصرة على الملاحظة ووصف مظاهر النمو فى مراحله المتتابعة ، وأصبحت مناهج البحث الآن أكثر دقة وتحديدا، ويمكن من خلالها الوصول على حقائق وقوانين ونظريات راسخة فى مجال علم نفس النمو ، وفيما يلى أهم مناهج البحث فى مجال علم نفس النمو .

أولاً : المنهج التجريبى :

استعار علم نفس النمو هذا المنهج من العلوم الطبيعية والبيولوجية ، وهذا المنهج لا يكتفى بوصف الظاهرة موضع الدراسة ، وإنما يحاول معرفة الأسباب التى تؤثر فى الشكل الذى تأخذه الظاهرة . (كأن ندرس مثلا أثر المستوى الاجتماعى الاقتصادى على مفهوم الذات لدى الطفل) ويعتبر هذا المنهج أهم وأدق مناهج البحث ، وذلك للأسباب الآتية :

أ- أقرب المناهج إلى الموضوعية .

ب- باستخدام المنهج التجريبى يستطيع الباحث السيطرة على العوامل المختلفة التى تؤثر على الظاهرة موضع الدراسة ، فيثبت منها ما يشاء مما يمكنه من دراسة الظاهرة من الوجهة التى يريدها .

جـ- يسمح للباحث بدراسة أية علاقة منطقية وقتما يشاء ، وعندما يحتاج إلى ذلك فهو لا ينتظر حدوث السلوك بفعل الصدفة أو الظروف الطارئة ، بل إن الباحث يستطيع ان ينشئ ما يرغب فيه من ظروف حينما يريد ، كما أنه يستطيع أن يكرر مثل هذه الظروف مع اختلافات بسيطة أكثر من مرة .

وللمنهج التجريبى خطوات محددة نجملها فيما يلى : *

١- تحديد المشكلة :

* خطوات البحث العلمى عند استخدام الطريقة التجريبية أو أى طريقة أخرى .

يجب أن يبدأ الباحث بحثه بتقرير وجود مشكلة ما تستحق البحث والدراسة وتكون ذات مغزى وأهمية ، وتجميع التساؤلات والجوانب المبهمة من الموضوع ، بمعنى أنه يجب أن تصاغ المشكلة بدقة حتى يتم تحديدها .

٢- تحديد هدف البحث :

لابد أن يكون هدف البحث واضحا فى ذهن الباحث فلا يكفى مجرد وصف الظاهرة أو معرفة ما هى الظاهرة ، بل لا بد أن يجد تفسيراً لها وأن يعرف مسببات حدوث الظاهرة، ويجب على الباحث أثناء تحديد هدف بحثه أن يبرز أهمية الظاهرة موضع الدراسة على المستويين النظرى والتبطيقى ،إلى جانب أهمية الربط بينهما .

٣- فرض الفروض :

الفرض عبارة عن تفسير محتمل للظاهرة موضع الدراسة ، ويجب على الباحث أن يقوم بوضع عدد من الفروض ذات الصلة بالمشكلة موضع الدراسة ، ويجب أن تصاغ الفروض فى صورة مقبولة قابلة للتطبيق ، ويساعد على تحديد وصياغة الفروض الإطلاع على البحوث والدراسات السابقة ، التى تتعلق بموضوع البحث أو بالمشكلة موضوع الدراسة .

٤- إجراء التجربة :

يجرى الباحث التجربة بغرض التحقق من صحة الفروض سواء قبولها أو رفضها ، ويعتمد الباحث فى إجراء التجربة على العينة

والأدوات ، التى سيتم تطبيقها على أفراد العينة ويجب مراعاة تهيئة الجو المناسب لإتمام التجربة فى أفضل ظروف ممكنة ، وتعتبر معامل علم النفس بما فيها من إمكانيات إلى جانب العيادات النفسية من أفضل الأماكن لإجراء التجربة . وقد يستدعى الأمر إجراء دراسة استطلاعية ؛ لاستكمال نواحى قصور معينة فى التصميم التجريبي أو الأدوات والاختبارات ، ويعتمد إجراء التجربة على :

أ- اختيار العينة :

يتم اختيار العينة وتحديدها ، مع مراعاة أن تكون هذه العينة ممثلة للمجتمع أو الأصل الذى اشتقت منه . وفى المنهج التجريبي عادة ما يستخدم البحث مجموعتين هما : المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية .

وفى هذه الحالة يقوم الباحث بعملية مسح للعوامل أو المتغيرات التى يفترض أنها ذات صلة بالمشكلة موضع الدراسة ، وتقسم هذه المتغيرات على ثلاثة أنواع :

*** المتغير المستقل Independent Variable :**

وهو المتغير المسئول عن حدوث الظاهرة موضع الدراسة ، أو هو المتغير الذى نقيس أو ندرس تأثيره على متغير آخر ، ويغير الباحث فيه ليدرس الآثار المترتبة على ذلك فى متغير آخر .

*** المتغير التابع Dependent Variable :**

وهو المتغير الذى يتغير بتغير المتغير المستقل ، أى تنعكس عليه آثار ما يحدث من تغير فى المتغير المستقل .

* المتغير الوسيط (الدخيل أو غير التجريبى) Intervening Variable :

وهو المتغير الذى قد يؤثر فى المتغير التابع ، لذلك يحاول الباحث أن يتخلص من تأثيره بتثبيته أو عزله .

ب- اختيار الأدوات :

وهذه الأدوات تشمل الاختبارات والمقاييس التى تقيس الجوانب المراد دراستها قياسا دقيقاً ، وهذه الاختبارات والمقاييس متوافرة فى معامل علم النفس ، وفى العيادات النفسية .

ففى قياس النواحى الجسمية والفسيولوجية :

توجد مقاييس الطول والوزن وضغط الدم وإفرازات الغدد .

وفى قياس النواحى العقلية :

توجد اختبارات الذكاء اللفظية والعملية واختبارات الذكاء المصورة ، واختبارات القدرات العقلية ، واختبارات التحصيل .

وفى قياس النواحى الاجتماعية :

توجد اختبارات لقياس العلاقات الاجتماعية ، ومقاييس الاتجاهات واختبارات القيم .

وفى قياس النواحى الانفعالية :

توجد اختبارات سمات الشخصية التى تقيس نواحى معينة فى هذا الصدد .

وقد يصمم الباحث أدوات جديدة ، فى حالة وجود قصور فى بعض الأدوات، أو فى حالة عدم وجود أدوات لقياس المشكلة موضع البحث والدراسة .

جـ- تطبيق الأدوات :

يقوم الباحث بتطبيق الاختبارات والمقاييس على أفراد العينة ، ويقوم بتصحيحها ورصد الدرجات فى جداول حتى يسهل معالجتها إحصائياً .

٥- التحليل الإحصائي :

يقوم الباحث بتحليل بياناته (الدرجات الخام) إحصائياً باستخدام الطرق أو الأساليب الإحصائية المناسبة ، فقد يستخدم المتوسطات الحسابية أو الانحرافات المعيارية أو النسب المئوية أو تحليل التباين بصورة أو أشكاله المتعددة ، أو معاملات الارتباط ، أو التحليل العاملى ، ويجب على الباحث أن يختار الأسلوب الإحصائى ، الذى يتناسب مع فروضه ومع هدف البحث .

٦- مناقشة النتائج :

يقوم الباحث بمناقشة نتائج بحثه فى ضوء الفروض التى صاغها ، وفى ضوء الإطار النظرى الذى جمعه الباحث ، ولا يقلل من شأن البحث قبول أو رفض الفروض المقدمة للبحث .

٧- الاستفادة العملية من نتائج البحث :

بعد مناقشة نتائج البحث ، يقدم الباحث عدداً من التوصيات والتطبيقات التربوية التى تستند على ما أسفر عنه البحث من نتائج ، وما قدمه من توصيات على المستوى النظرى إلى مستوى التطبيق الفعلى ؛ حتى تعم الفائدة ويتحقق مبدأ العلم فى خدمة المجتمع .

ثانياً : المنهج الارتباطى :

قد يكون المدخل التجريبى لدراسة مشكلة ما أمر غير ممكن تماماً والأمثلة على عدم إمكانية استخدام المنهج التجريبى لدراسة بعض المشكلات كثيرة .

أ- افترض إننا نود معرفة هل الجرعات الكبيرة من عقار الأمفيتامين Amphetamine تسبب البارانويا Paranoia (شعور بالعظمة أو بالاضطهاد ...) ، أو يؤدى نوع معين من إصابة المخ إلى صعوبة الكلام ؟ وتحتم الاعتبارات الإنسانية والأخلاقية استحالة تكوين مجموعتين متكافئتين من البشر ، وتعريض إحداهما لمثل هذه الخبرات الضارة .

ب- فى حالات أخرى تستبعد بعض المشكلات العلمية المنهج التجريبى ، ومن أمثلة ذلك إذا أردنا مثلا اختبار الفرض الآتى : " هل يؤدى اختلاف اهتمامات الزوجين وميولهما إلى الطلاق ؟ " فمن الصعب أن نجد أفرادا يتزوجون من أجل اختبار هذا الفرض .

جـ- من ناحية أخرى فإن هناك بعض المتغيرات التى يستحيل أن نغيرها (تثبيت متغيرات وتغيير متغيرات أخرى هو جوهر المنهج التجريبى) مثل ذلك العمر الزمنى والجنس والطبقة الاجتماعية ، فلا توجد طريقة لتحويل أطفال سن الأربع سنوات مثلا إلى أطفال سن الثمانى سنوات ، أو تغيير مجموعة للذكور إلى مجموعة للإناث .

ويتطلب المنهج الارتباطى قياس متغيرين على الأقل ، ثم تحديد درجة العلاقة بينهما . وفى هذه الحالة يمكن أن يجرى البحث الارتباطى على مجموعة واحدة ثم تحسب العلاقة بين المتغيرين ، والأسلوب الإحصائي الذى يستخدم فى هذه الحالة يسمى معامل الارتباط (r) Coefficient of Correlation ، وبه يتحدد التغير الاقترانى بين المتغيرين ، ويعنى ارتباط المتغيرين أن أحدهما قد يؤثر فى الآخر ، وقد يكون هناك متغير ثالث يؤثر فيهما .

ويكون الارتباط إما موجباً (+) أو سالباً (-) :-

العلاقة الموجبة :

تدل العلاقة الموجبة (+) على أن العلاقة طردية بمعنى أن درجات المتغيرين فى اتجاه واحد ؛ أى أن الدرجة المرتفعة فى المتغير (أ) تصاحبها درجة مرتفعة فى المتغير (ب) ، وكذلك الحال فى الدرجات المتوسطة والمنخفضة .

العلاقة السالبة :

تدل العلاقة السالبة (-) على أن العلاقة عكسية بمعنى أن درجات المتغيرين تتغير فى اتجاه عكسى ؛ أى إن الدرجة المرتفعة فى المتغير (أ) يصاحبها انخفاض فى درجة المتغير (ب) أو العكس .

وتتحدد قوة العلاقة بين أى متغيرين بقيمة معامل الارتباط وتزداد هذه العلاقة كلما ارتفع معامل الارتباط واقترب من الواحد الصحيح ، وكلما اقترب معامل الارتباط من الصفر دل ذلك على ضعف العلاقة .

وفى البحوث النفسية ، فإن معامل الارتباط الجوهرى (وهو مالم ينتج عن الصدفة) الذى يصل إلى (٠.٦) أو أكثر يقال أنه مرتفع جداً ، على حين يعد معامل الارتباط الذى يتراوح بين (٠.٢) إلى (٠.٦) ذى قيمة عملية ونظرية ، كما يعد صالحاً للقيام بتنبؤات ، أما معامل الارتباط الذى يتراوح بين صفر إلى (٠.٢) يجب أن نحكم عليه بحرص وحذر .

ثالثاً : المنهج الوصفى :

يهدف المنهج الوصفى جمع أوصاف دقيقة علمية عن الظاهرة موضع الدراسة فى وضعها الراهن ، وعلى دراسة العلاقات التى قد توجد بين الظاهرات المختلفة .

ومن أهم الطرائق المستخدمة فى المنهج الوصفى :

١- الملاحظة العلمية :

الملاحظة هى رصد السلوك كما هو عليه فى الواقع ، أى دراسة الوضع الحالى للظاهرة ، وأثناء عملية الملاحظة يستخدم

الباحث الوسائل التى تسهل عملية الملاحظة مثل الحجرات الخاصة المزودة بحاجز للرؤية من جانب واحد ، أو يستخدم الأجهزة الكهربية مثل التسجيل الصوتى(المسجل)أو الضوئى (الكاميرا) ، أو هما معاً لتسجيل السلوك المراد ملاحظته .

ولكى تكون الملاحظة مجدية ، يتعين تحديد السلوك المطلوب ملاحظته ، وعدم إحساس الأطفال أو المراهقين بأنهم موضع ملاحظة أو دراسة من الكبار . وتوجد عدة طرق للملاحظة منها :

أ- الملاحظة المباشرة :

وفيها يقوم الباحث بملاحظة سلوك المفحوصين فى موقف معين دون تدخل منه ، وتسجيل ملاحظته بعد ذلك ، كملاحظة سلوك الأطفال وهم يلعبون أو ملاحظة الأطفال وهم فى أى موقف اجتماعى آخر .

ب- الملاحظة غير المباشرة :

وفيها يقوم الباحث بملاحظة سلوك المفحوصين فى موقف معين ، دون أن يشعروا بأن أحداً يقوم بملاحظتهم ، وذلك حتى يكونوا على سجيتهم فيأتى سلوكهم طبيعياً دون تكلف أو اصطناع ، ويستخدم لهذا الغرض الغرف المجهزة بحاجز للرؤية من جانب واحد ، كما يستخدم أيضاً بعض أجهزة التصوير أو أجهزة التسجيل الصوتى ، والتى توضع فى مكان غير ظاهر للمفحوصين ، وهذه الطريقة بأساليبها غير المباشرة نتعارض مع أخلاقيات البحث العلمى ؛ إذ لا

بد من الحصول على موافقة المفحوصين ، ولكننا إذا فعلنا ذلك فإن المفحوصين لن يكون سلوكهم تلقائياً أو طبيعياً .

جـ- الملاحظة الداخلية :

وهى التى تعرف بالاستبطان Introspection (أو التأمل الباطنى أو الذاتى) ، وتكون من الشخص نفسه لنفسه ؛ أى إن الفرد يلاحظ سلوكه فيكون هو الفاحص والمفحوص فى آن واحد ، وهى ملاحظة ذاتية لا تتسم بالموضوعية ولا يمكن استخدامها مع الأطفال ، ولكن تستخدم مع البالغين والراشدين .

وقد دعم هذا النوع من الملاحظة بعض الأساليب العلاجية الجديدة ، التى دعت الفرد إلى تأمل ذاته وفحص مكوناتها وتقويم سلوكه . ومن أمثلة هذه الأساليب العلاج الممركز حول العميل Client Centered Therapy ، والعلاج الجشطالتى Gestalt Therapy ، والتى تركز على عالم الخبرة الداخلى للفرد .

د- الملاحظة الطارئة أو العفوية :

وهى ملاحظة تأتى بالصدفة ، وليست دقيقة ، وغير علمية وهى أيضاً سطحية ، ولا شك أننا جميعا نقوم بمثل هذه الملاحظة فى المنزل وفى المدرسة وفى الحديقة وفى الملعب وفى دور العبادة وفى وسائل المواصلات ، وبناء على هذه الملاحظة يتم تكوين أحكام واتجاهات وآراء ، ويجب الحرص فى تعميم ما يتم تكوينه من أحكام

واتجاهات على كل الناس ، أو حتى على نفس الأفراد فى أوقات مختلفة .

هـ- الملاحظة بالمشاركة أو المعايشة :

يشيع استخدام هذا النوع من الملاحظة فى أحد العلوم الاجتماعية القريبة جدا من علم النفس ، وهو الأنثروبولوجى Anthropology (علم دراسة الإنسان ككائن اجتماعى له علاقات معينة ، ويعيش فى سياق من العلاقات الإنسانية) وتعتمد هذه الطريقة على الاندماج الفعلى من جانب الملاحظة فى الأنشطة المراد ملاحظتها – لكى يألفه المفحوصين – ومن ثم يتعمق فى حياتهم فيمارسون أنشطتهم دون تكلف أو اصطناع .

ويستخدم الباحث البيانات المستخدمة من الملاحظة فى فحص الظاهرة موضع الدراسة ، ومن خلال ذلك يقوم بتحديد المشكلة ، وتحديد هدف البحث ، ثم فرض الفروض ، ثم يقوم بعد ذلك بوضع التصميم التجريبى أو إجراء التجربة ، ثم التحليل الإحصائي لبياناته ، ويلى ذلك تفسير النتائج التى توصل إليها .

مميزات هذه الطريقة :

- تتسم بقدر كبير من المرونة وسهولة الاستخدام .
- هى الطريقة الوحيدة لدراسة بعض أنواع السلوك .
- تساعد فى الحصول على بيانات كمية وكيفية عن السلوك الملاحظة .

- **تتصف بالتلقائية لأنها لا تؤثر فى السلوك الملاحظة .**

عيوبها :

- **بمرور الوقت بين الملاحظة والتسجيل ، يكون هناك احتمال لتدخل أخطاء الذاكرة .**
- **عدم القدرة على التمييز بين مختلف جوانب السلوك الملاحظ ؛ نظراً لتعقده أو تشابك جوانبه أو حدوثه بإيقاع سريع .**
- **قد توجد عيوب فى الملاحظ نفسه تؤثر فى عملية الملاحظة مثل : الذاتية ، التحيز ، عدم النزاهة ، انخفاض مستوى ثبات الملاحظة بمعنى أن الملاحظات التى يدونها لا تكون متفقة مع بعضها إذا تكررت .**
- **تثير وسائل التسجيل الصوتى والضوئى اعتراضات أخلاقية لها ما يبررها . وللتقليل من هذه العيوب ، يتم تدريب الباحث على الملاحظة الموضوعية غير المتحيزة وعلى التسجيل الدقيق لها .**

٢- الطريقة الطولية " التتبعية " :

وفيها يقوم الباحث بتتبع التغيرات المختلفة لمختلف جوانب النمو لفرد أو مجموعة من الأفراد ، خلال فترة زمنية معينة ، من أول مرحلة حتى نهايتها مثلا شهراً بعد شهر أو عاماً بعد عام ؛ حتى يصل إلى الحد النهائي المختار لمستوى النمو ، وذلك لكى يحصل على ما يريد من مادة علمية .

أى إن الباحث يتتبع التطور والتغير الذى يطرأ على نفس الأفراد فى الأعمار المتتابعة بالنسبة لمظاهر النمو المختلفة ، لذلك توصف هذه الطريقة بأنها طولية .

ومن اشهر الدراسات الطولية المعروفة دراسة لويس تيرمان Terman عالم النفس الأمريكى ، والذى قام بتتبع النمو العقلى لمجموعة من الأطفال المتفوقين ، لمدة تقترب من ثلاثين عاماً .

مميزات هذه الطريقة :

- الدقة والاستمرارية .
- اتصال موضوع البحث والتعمق فيه .
- توفر للباحثين إمكانية بحث أفضل .

عيوبها :

- كثرة الجهد وارتفاع التكاليف .
- نظراً لأن البحث الطولى يستغرق فترة طويلة نسبياً ؛ لذلك من المتوقع تناقص عدد المفحوصين تدريجياً (النقصان التتابعى للعينة) على مدار فترة البحث ، إلى جانب أنها تبعث فى الباحث الملل .

٣- الطريقة المستعرضة " المقارنة " :

وفيها يقوم الباحث بدراسة التغيرات التى تحدث لمختلف جوانب النمو لمجموعة من الأفراد فى سن معينة ؛ بحيث يحصل على الصفات العامة لجوانب النمو فى هذه السن . كذلك يمكن أخذ عينات

أخرى من الأفراد فى سنوات أخرى ، ويتبع معها الطريقة نفسها ؛ بمعنى أنه يتم أخذ عينة فى سن السادسة مثلا وأخرى فى سن السابعة وأخرى ثالثة فى سن الثامنة ... وهكذا ، وتوصف هذه الطريقة بأنها مستعرضة ؛ لأنها تنصب على قطاع مستعرض فى النمو . وتعتمد الطريقة المستعرض على استخدام الاختبارات والمقاييس المختلفة .

مميزات هذه الطريقة :

- **توفر الوقت والجهد والمال .**
- **تعطى نتائج سريعة .**
- **سهولة الإجراء والتنفيذ .**

عيوبها :

- **تثبيت العوامل أو المتغيرات التى لا تهتم بها الدراسة عملية صعبة وشاقة وغير مضمونة .**
- **لا يمكن ضمان أن مستوى كل عينة سيكون فى مستوى العينة الأخرى .**
- **عدم استمرارية حلقات النمو المتصلة .**

رابعاً : المنهج الكلينيكى :-

هو المنهج التشخيصى الذى يعتمد عليه الأطباء والمعالجون النفسيون فى معرفة أسباب الاضطراب النفسى ورسم خطة علاجه .

ويحتاج المنهج الكلينيكى إلى توافر عدة شروط هامة منها :

- **أن يلم الباحث إلماماً دقيقاً بتاريخ حياة الطفل وظروف نموه .**

- أن يلم بتأثير هذه الظروف على نموه الانفعالى .
- أن يكون على وعى كامل بكل علاقات الطفل الاجتماعية مع والديه وغير والديه ، وبما تعرض له اثناء هذه العلاقة من إحباطات وخبرات غير سارة أو مؤلمة .

ومن الممكن أن يكون الطفل أو المراهق موضع الدراسة هو نفسه مصدر هذه المعلومات ، كما يمكن أن يكون المصدر أحد الوالدين أو كليهما أو الأخصائيين الاجتماعيين أو غيرهم من المحيطين بالفرد ، كما أن استعمال الوسائل غير المباشرة فى تشخيص السلوك ، مثل : الاستعانة باللعب أو الرسم أو الاختبارات الإسقاطية يمكن أن يساعد فى الوقوف على ما يشغل بال الطفل ويؤرق هدوءه ويعوق مسيرة نموه النفسى .

مميزات هذا المنهج :

- يمد الباحث بالكثير من المعلومات ذات القيمة فى تفسير النمو ، والتى لا يمكن الحصول عليها باستخدام المنهج التجريبى .

عيوبه :

- يحتاج هذا المنهج إلى أفراد مدربين جيداً ، وعلى وعى تام بحقائق السلوك الإنسانى .
- يلزم هذا المنهج الدقة المتناهية لأنه لا يلجأ إلى الأساليب الإحصائية .

الفصل الثانى

- **مقدمة**
- **مبادئ وقوانين النمو الإنسانى**
- **العوامل التى تؤثر فى النمو " محددات النمو "**
- **التطبيقات التربوية لعلم نفس النمو**

الفصل الثانى

مقدمة :

يخضع النمو الإنسانى منذ لحظة الإخصاب حتى الممات إلى تغيرات مستمرة، فهو ليس فى حالة استاتيكية (ثابتة) بل يحدث له تطور وارتقاء خلال مراحله المتعاقبة ، ولقد أمكن من خلال الدراسات التى اجريت فى ميدان سيكولوجية النمو التوصل إلى قواعد عامة ، تمثل مجموعة من القوانين والمبادئ التى تخضع لها ظاهرة النمو الإنسانى . الأمر الذى يساعد الأباء والأمهات والمربين والمسئولين عن رعاية الطفولة والشباب على تكوين صورة واضحة عن مسار نمو الأطفال والمراهقين ، إلى جانب تقييم مسار نمو الأباء ، حتى يمكن الوصول إلى أفضل استثمار ممكن لطاقاتهم النفسية والجسمية ،

مبادئ النمو

١ - النمو عملية مستمرة ومتصلة وذلك فى الجانبين البنائى والوظيفى :

النمو عملية متصلة لا تتوقف منذ بدايتها ، والتى تتمثل فى تكوين الزيجوت (الجنين) ، حتى نهايتها التى تتمثل فى تمام النضج . فالنمو الإنسانى يسير فى مراحل متتالية وكل مرحلة تعتمد على سابقتها وتمهد للمرحلة التالية لها ، ولكل مرحلة من هذه المراحل حدودها الزمنية ، ولا يحدث ان يتوقف النمو بين هذه المراحل ، بل ما يحدث هو اختلاف فى معدله وسرعته فقط ، فقد يكون هناك نمو

كامن (غير ظاهر) يسبق النمو الظاهر ، فمثلا نجد أن الأسنان الأولى (اللبنية) تظهر خلال العام الأول من ميلاد الطفل على الرغم من أن تكوينها يبدأ فى الشهر الخامس من عمر الجنين ، وتستمر هذه الأسنان فى تأدية وظيفتها لعدة سنوات ثم تتساقط فى الفترة الأولى من مرحلة الطفولة المتأخرة لتحل محلها الأسنان المستديمة أو الدائمة ، وهى ذات خصائص أفضل من سابقتها .

كما أن الطفل يجلس ويحبو قبل أن يقف ويناغى قبل أن يتكلم ، ويلفق قبل أن يقول الصدق ، ويعتمد على غيره قبل أن يصبح مستقلاً ، ومع وصول الفرد إلى مرحلة المراهقة تتغير هيئة جسمه فيزداد طوله ووزنه وتقوى عضلاته ، ويظهر الشعر فى أماكن مختلفة من الجسم ، كما أن أجهزة الجسم تنمو وظيفياً .

خلاصة القول : إن النمو عملية مستمرة ، حيث لا توجد ثغرات أو وقفات فى عملية النمو ، ولكن يوجد نمو كامن ونمو ظاهر ونمو بطئ ونمو سريع إلى أن يتم النضج .

٢- النمو الإنسانى محدود البداية والنهاية :

بداية النمو تكون داخل الرحم ، وذلك عند التقاء الحيوان المنوى بالبويضة وتكوين البويضة الملقحة (الزيجوت) ، ويتوقف النمو عند الوصول إلى تمام مرحلة الرشد ، بمعنى أن بداية النمو الإنسانى تكون داخل رحم الأم بينما تتمثل نهاية النمو الإنسانى فى الوصول إلى مرحلة الرشد أو تمام النضج .

٣- يحدث النمو وفق تتابع نمائى معين :

يحدث النمو وفق تتابع منظم ، ويشترك جميع الأطفال بصفة عامة فى ذلك التتابع ، وقد أوضحت بحوث ودراسات أرنولد جيزل Gesell وجان بياجيه Piaget بما لا يقبل الشك أو الجدل الطبيعة التتبعية للنمو ، ويتضح هذا التتابع فى أبسط مستوياته عندما نجد أن الطفل الصغير يتقدم فى نموه الحركى من مجرد رفع اليدين إلى الجلوس ثم الوقوف ثم المشى فى النهاية .

وتوجد مظاهر أخرى خاصة بالنمو العظمى أو الهيكل تحدث على نحو تتابعى ، حيث يبدأ نمو الرأس قبل نمو القدمين ، وكذلك نمو الجزء الجبهى من الرأس قبل بقية أجزاء الرأس .

خلاصة القول : إن نمو أجزاء الجسم المختلفة يحدث وفق تتابع نمائى ، حيث يبدأ من المقدمة إلى المؤخرة أى من الرأس إلى القدمين ، ومن الداخل إلى الخارج أى من مركز الجسم إلى الأطراف ، وقد توجد اختلافات بين الأفراد من حيث الوقت أو الزمن ولكن التتابع ثابت لا يتغير .

٤- يسير النمو فى مراحل متتابعة متمايزة :

لا يتم النمو بشكل عفوى أو تلقائى ، بل يحدث بشكل منظم وفقاً لعدد من المراحل ، حيث تعتبر كل مرحلة نتاجاً للمرحلة السابقة عليها وتمهيداً للمرحلة التالية لها . وعلى الرغم من أن النمو سلسلة متصلة الحلقات فى حياة الفرد ... إلا أن علماء النفس يقسمونها إلى عدد من المراحل لكل منها حدودها الزمنية بغرض البحث والدراسة

، وتوجد عدة تقسيمات لمراحل النمو تختلف باختلاف مظاهره ، فيقسم بياجيه Piaget مراحل النمو على أساس الأنشطة العقلية ، ويقسم كولبرج Kohlberg مراحل النمو على أساس مستوى النمو الخلقى للفرد ، ويقسم سليمان Selman مراحل النمو على أساس قدرة الفرد على وضع نفسه موضع الآخرين وتمثل آرائهم ، كما أن إريكسون Erikson يقسمها على أساس أوجه النشاط التى تتضمنها الشخصية بأكملها .

كما أن هناك تقسيما أخر على أساس العمر الزمنى ، يتفق عليه علماء النفس ، ويتكون من عدة مراحل كالتالى :

أ- مرحلة ما قبل الميلاد Prenatal Period

وتمتد منذ بداية الحمل حتى لحظة الميلاد .

ب- مرحلة المهد Babyhood Period

وتمتد منذ الميلاد حتى سن العامين ، وتتضمن مرحلتين فرعيتين ، هما :

- مرحلة الوليد Newborn وتمتد من الميلاد حتى نهاية الأسبوع الثانى .
- مرحلة الرضاعة Infaney

وتمتد من نهاية الأسبوع الثانى إلى نهاية العام الثانى

جـ- مرحلة الطفولة Childhood

وتمتد من نهاية العام الثانى حتى سن الثانية عشرة ، وتقسم إلى :

- الطفولة المبكرة Early Childhood

وتمتد من نهاية العام الثانى حتى نهاية سن السادسة .

- الطفولة المتوسطة Middle Childhood

وتمتد من نهاية سن السادسة حتى نهاية سن التاسعة .

- الطفولة المتأخرة Late Childhood

وتمتد من نهاية سن التاسعة حتى نهاية سن الثانية عشرة .

د- مراحل المراهقة Adolescence

وتمتد من نهاية سن الثانية عشرة حتى نهاية سن الحادية والعشرين ، وتقسم إلى :

- المراهقة المبكرة Early Adolescence

وتمتد من نهاية سن الثانية عشرة حتى نهاية سن الرابعة عشرة .

- المراهقة الوسطى Middle Adolescence

وتمتد من نهاية سن الرابعة حتى نهاية سن السابعة عشرة .

- المراهقة المتأخرة Late Adolescence

وتمتد من نهاية سن السابعة عشرة حتى نهاية سن الحادية والعشرين .

هـ- مرحلة الرشد Adulthood

وتمتد من سن الثانية والعشرين حتى سن الستين ، وتقسم هذه المرحلة إلى مرحلتين :

- مرحلة الرشد المبكر Early Adulthood

وتمتد من سن الثانية والعشرين حتى سن الأربعين .

- مرحلة العمر الأوسط Middle Age

وتمتد من سن الحادية والأربعين حتى سن الستين .

و- مرحلة الشيخوخة Old Ahe

وتمتد من سن الستين حتى الوفاء .

والجدول التالى يوضح تقسيم مراحل النمو وفقاً للعمر الزمنى .

جدول (١) تقسيم مراحل النمو وفقاً للعمر الزمنى

المرحلة	العمر الزمنى	تربوياً
ما قبل الميلاد	من لحظة الإخصاب حتى الميلاد	الحمل
المهد	الميلاد – الأسبوع الثانى من أسبوعين – عامين	الوليد الرضاعة
الطفولة المبكرة الطفولة الوسطى الطفولة المتأخرة	٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ٧ ، ٨ ، ٩ ١٠ ، ١١ ، ١٢	ما قبل المدرسة (الحضانة) الصفوف الثلاثة الابتدائية
المراهقة المبكرة المراهقة الوسطى المراهقة المتأخرة	١٣ ، ١٤ ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١	المرحلة الثانوية التعليم العالى
الرشد المبكر الرشد الأوسط	٢٣ – ٤٠ ٤١ – ٦٠	
الشيخوخة	٦٠ حتى الموت	

ويـرتبط هـذا التقسـيم لمراحـل النمـو بتمـايز خصـائص معينـة جسـمية وعقليـة ومعرفيـة وانفعاليـة واجتماعيـة تميـز كـل مرحلـة عـن سـابقتها ، وهذا التقسيم يسـهل للعلمـاء البحث والدراسـة ، وللتربـويين الخدمات التربوية المناسبة لكل مرحلـة ، وللمجتمـع إسناد المسئوليات المناسبة لكل فرد ، حسب المرحلة العمرية التى ينتمـى إليها بحكم ما وصل إليه من نمو .

٥- يختلف معدل النمو باختلاف المرحلة العمرية :

يختلـف معدل النمـو مـن مرحلـة إلـى أخرى ، حيث توجد فترات يكون معدل النمو فيها سريعاً كما توجد فترات أخرى يكون معدل النمـو فيها بطيئا ، فنجد أن معدل النمو يكون سريعاً فـى المرحلـة الجنينيـة والعامين الأولين (مرحلة المهد) ، ثم تبطـئ سرعة النمو بعد ذلك فـى مرحلة الطفولة بأكملها (المبكرة والوسطى والمتأخرة) ، ثم يعاود النمو سـرعته مـرة أخـرى فـى مرحلـة المراهقـة ، حيـث تحـدث طفـرة النمـو الجامحة لتهدأ ثانية حين تبدأ سنوات الرشد ، ويطلق على سرعة نمو المراحل السرعة الكلية .

ويوجد إلى جانب السرعة الكلية ، السرعة الجزئية الخاصة بنمو كـل مظهـر مـن مظـاهر شخصـية الفـرد حيـث نجـد ان النمـو الجسـمى والنمـو الفسـيولوجى يكـون سـريعاً فـى مرحلـة مـا قبـل المـيلاد ومرحلـة المهـد ثـم يبطـئ بعـد ذلـك فـى مرحلـة الطفولـة، ثـم يسـرع مـع البلـوغ

والمراهقة ثم يهدأ بعد ذلك حينما يبلغ الإنسان رشده. كذلك النمو الانفعالى نجده يتسم بالحدة فى مرحلة الطفولة المبكرة ، ثم يهدأ مع مرحلة الطفولة الوسطى ، كذلك النمو الاجتماعى ، حيث نجد أن الطفل فى بداية حياته يكون لصيقا بأسرته ، ويظل كذلك حتى نهاية فترة الطفولة المبكرة ثم يهجرها بعد ذلك ليجد ضالته المنشودة فى جماعة الأقران .

٦- النمو عملية متكاملة مترابطة تتدخل مظاهرها وتترابط عناصرها بطريقة أو بأخرى لتكون شخصية الفرد :

تتداخل جوانب النمو فيما بينما لدرجة يتعذر معها فهم أى مظهر من مظاهر النمو دون فهم مظاهر النمو الأخرى ، فمثلاً النمو الجسمى يرتبط ارتباطا وثيقا بالنمو الانفعالى والاجتماعى ، حيث نجد أن الطفل الناضج جسميا وحركيا يتسم سلوكه بالاستقرار الانفعالى ، وتكوين علاقات اجتماعية ناضجة ومتوافقة مع الآخرين ، حيث يستطيع ان يشكل له جماعة ، يعيش ويتعايش معها بشكل سليم وإيجابي . على عكس الطفل المعوق نجد أن حركته بطيئة ويفتقد الاستقرار الانفعالى،وعدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية ناجحة ومتوافقة مع الآخرين .

٧- يتقدم النمو من البسيط إلى المعقد ومن العام إلى الخاص :

لا يقتصر هذا المبدأ على جانب معين من جوانب الشخصيات وإنما يشمل نمو كافة مظاهرها . فمن الناحية الجسمية نجد أن الفرد يبدأ فى صورة خلية واحد (الزيجوت) التى تنمو بالانقسام والتمايز

والتخصص حتى تتكون الأعضاء والأجهزة المختلفة . ومن الناحية الحركية نجد أن الرضيع فى البداية يحرك جسمه ككل بدلا من ان يحرك يد واحدة ويتضح ذلك عندما يحاول التقاط لعبته مثلا ، حيث يبدأ بحركة جسمه ككل فى آن واحد بدلا من أن يحرك جزءا معينا ، ومع النمو يحاول التقاطها باليدين معا ، ثم بيد واحدة ثم بالكف كله ثم بأصابعه فيما بعد ، أى أن حركته فى البداية كانت حركات عامة ثم تطورت حتى أصبحت متخصصة .

ومن الناحية اللغوية نجد أن الطفل يستخدم كلمة " بابا " فى بادئ الأمر للإشارة إلى أى رجل يراه أو لآى صورة رجل أو حتى لأى رجل يراه فى التليفزيون ، وإلا أنه مع النمو يخصص هذا اللفظ لوالده فقط ، وبالنطق نفسه ، تستخدم كلمة "لعبة " فى بادئ الأمر للإشارة إلى أى لعبة يلعب بها ، وبعد ذلك يسمى كل لعبة باسمها ، وبالمنطق نفسه تتكون لديه المفاهيم .

٨- يخضع النمو لمجموعة من الظروف المختلفة الداخلية والخارجية

يخضع الفرد فى نموه لشروط داخلية تتمثل فى الاستعدادات الوراثية أو الأساس الوراثى للفرد ، الذى يحدد نقطة الانطلاق لمظاهر النمو الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى ، وكذلك نشاط الغدد لديه (القنوية واللاقنوية) . كما يتأثر نمو الفرد بتفاعل تكوينه الذاتى مع البيئات الثلاثة التى يعيش فيها : البيئة البيولوجية متمثلة فى رحم الأم ، والبيئة الجغرافية الطبيعية التى يخرج إليها فيتأثر بمناخها

وتضاريسها ونشاط سكانها ، والبيئة الاجتماعية الثقافية التى تضع الأساس لنموه الجسمى والعقلى والاجتماعى والانفعالى ، ومن خلال وسائلها المختلفة كالأسرة ، والمدرسة ، ووسائل الإعلام ، ودور العبادة ... إلخ .

٩- يخضع النمو لمبدأ الفروق الفردية :

يخضع النمو لمبدأ الفروق الفردية التى تنشأ من تفاعل الظروف المختلفة الداخلية والخارجية التى سبق الحديث عنها فى القانون الثامن . وغالباً ما نجد أن الأفراد فى سماتهم المختلفة الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية توزع حظوظهم منها وفق المنحنى الاعتدالى Normal Distribution Curve

١٠- يخضع النمو لمبدأ الفروق بين الجنسين :

توجد اختلافات بين الأطفال (الذكور والإناث) الذين ينتمون إلى مرحلة عمرية واحدة فى كل مظاهر النمو تقريباً ، حيث نجد أن هناك أطفالا يمشون قبل غيرهم ، ومنهم من يتأخر فى المشى ، ومنهم من يمشى دون أن يحبو مثلا ، مع أن المبدأ الأساسى . أن كل طفل يجب أن يحبو قبل أن يمشى ، كذلك نجد من هو أطول أو أقصر أو أسمن أو أنحف أو أشجع أو أجبن من غيره مثلا ، وكذلك من يستطيع ضبط مخارج الألفاظ والتحكم فى حركاته ، أو يقرأ ويكتب ويعد الأرقام قبل غيره من الأقران ... إلى غير ذلك من المظاهر العديدة للنمو .

ويتضح هذه الفروق بين الجنسين فى نمو الخصائص الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية بعد سن العاشرة – لأنه فى خلال السنوات العشر الأولى يتشابه الأولاد مع البنات فى الحجم والهيئة ، حيث نجد أن نمو هذه الخصائص يأخذ متباينا بين الجنسين : فالذكور يميلون إلى الطول وضخامة الحجم بالقياس إلى البنات (عدا فى سن ١٠ – ١٣ سنة) ، حيث نجد أن البنات يسبقن البنين فى النمو الجسمى فى هذه المرحلة لأنهن يصلن إلى البلوغ قبلهم ، أما فى مجال النمو العقلى، نجد أن حظ البنات أفضل فى القدرات اللغوية والفنية ، وحظ البنين افضل فى القدرات الرياضية والميكانيكية .

خلاصة القول : إن الفرق بين الجنسين حقيقة بيولوجية ونفسية لا خلاف عليها ، فالفروق التشريحية بينهما واضحة ، واتجاهات المجتمع إزاء كل منهما مختلفة ، والدور الذى يلعبة كل منهما متباين ، حتى ولو شغلا – فى المجتمع – وظيفة واحدة .

العوامل التى تؤثر فى النمو

يؤثر فى النمو بشكل عام مجموعة من العوامل التى تؤدى إلى حدوث تغيرات ملحوظة فى عملية النمو ومنها :

١- الوراثة : Heredity :

الوراثةهى انتقال السمات او الخصائص الوراثية من الوالدين إلى أولادهما، وذلك عن طريق المورثات أو الجينات Genes التى تحملها الكروموسومات Chromosomes التى تحتويها البويضة

المخصبة بالحيوان المنوى بعد عملية التلقيح أو الجماع الجنسى . ومن المعروف أن الخلية الإنسانية تتكون من جدار وبروتوبلازم ، والبروتوبلازم يحتوى على سيتوبلازم ونواة ، ويوجد داخل النواة الشبكة الكروماتينية المكونة من خيوط رفيعة يطلق عليها الكروموسومات التى تحمل الجينات ، والتى تحدد جميع الصفات الوراثية للكائن الحى .

وتحتوى نواة البويضة على (٢٣) كروموسوم ، وتحتوى نواة الحيوان المنوى على (٢٣) كروموسوم أيضاً ، وعند عملية الإخصاب (اتحاد الحيوان المنوى مع البويضة) فإن البويضة المخصبة تحتوى على (٤٦) كروموسوم . والذى يحدث عند الإخصاب هو أن كل كروموسوم من الكروموسومات الثلاثة والعشرين الواردة من الذكر ، ويجد الكروموسوم المناسب له من بين العدد نفسه الموجود فى البويضة ، ومن بين الثلاثة والعشرين زوجاً من الكروموسومات الناتجة من هذا التزامل يوجد اثنان وعشرين زوجاً ، وتختص بتحديد الصفات الوراثية فى كل النواحى ما عدا ناحية جنس الوليد (ذكراً أم أنثى) والزوج المتبقى من الكروموسومات هو الذى يحدد ما سيكون عليه المولود من حيث الجنس .

وتفسير ذلك هو أن البويضة دائماً تشتمل على كرموسومات على شكل (×) ، أما الحيوانات المنوية فإن نصفها يحتوى على كروموسوم واحد كل شكل (×) ، ونصفها الآخر يحتوى على كرموسوم

واحد على شكل (Y) . فإذا لقحت البويضة بحيوان منوى يحتوى على الكروموسوم (Y) كان المولود ذكراً وإذا لقحت البويضه بحيوان منوى محتوى على الكروموسوم (×) كان المولود أنثى .

وهكذا يتضح أن الجنس صفة تورث عن طريق الأب ، وليست عن طريق الأم .

كما أن هناك بعض الصفات التى تتحدد بالوراثة ، مثل لون العينين (بنى أو أزرق .. إلخ) ولون الشعر (أسود أو أشقر ... إلخ) ، ونوع الشعر (ناعم ، أو مجعد ... إلخ) ، ومظهر الوجه (شكل الوجه وحجم الأنف والشفتين ... إلخ) وشكل وحجم الجسم (طويل أو قصير أو بدين أو نحيف .. غلخ) ، وغير ذلك من المظاهر المختلفة ، كما أن هناك بعض الأمراض التى تنتقل بالوراثة مثل مرض السكر ، وبعض أنماط الضعف العقلى ، ومرض الهيموفيليا ، وتزداد الأمراض الوراثية بشكل عام فى حالة زواج الأقارب . وللوراثة وظائف مهمة صحية واجتماعية نجملها فيما يلى :

- تحسين صفات الأبناء والأحفاد ، عن طريق التزاوج بين الأصحاء ذوى الصفات الممتازة .
- المحافظة على الصفات العامة للنوع ، بنقل هذه الصفات من جيل إلى أخر .
- المحافظة على الاتزان القائم فى حياة النوع بصفة عامة وحياة الأفراد بصفة خاصة ، فهى تساعد فى المحافظة على الصفات

العامة للنوع كما تساعد على الاحتفاظ بالحياة الوسطى المتزنة فالوالدان الطويلان ينجبان أطفالاً طوالاً ، ولكن متوسط طول الأطفال لا يساوى متوسط طول الوالدين ، بل ينقص عنه بمقدار صغير ، والوالدين القصيران ينجبان أطفالاً قصاراً ولكن متوسط قصر الأطفال لا يساوى متوسط قصر الوالدين ، بل يزيد عنه بمقدار صغير ، ويستطرد أثر هذه العالم جالتون Galton فى الكشف عن هذه الظاهرة الغريبة المسماة بالانحدار Regression .

٢- العوامل البيئية :

ويقصد بالعوامل البيئية أربع حلقات من البيئة تتفاعل مؤثراتها وتتداخل بصورة يصعب الفصل بينها إلا بقصد تيسير الدراسة،وهذه الأنواع أو الحلقات هى : البيئة البيولوجية (الرحم) ، والبيئة الجغرافية أو الطبيعية ، والبيئة الاجتماعية ، والبيئة الثقافية .

أ- البيئة البيولوجية (الرحم) :

البويضة المخصبة تنمو وتنقسم داخل الرحم ، وتعتبر بيئة الرحم أبسط بكثير من البيئة الخارجية المعقدة ، والتى ينتقل إليها الجنين بعد الميلاد ، وتلعب المؤثرات البيئة والعوامل الوراثية دوراً مهما فى إنتاج طفل سليم سوى .

وفيما يلى أهم المؤثرات البيئة على نمو الجنين داخل الرحم :

غذاء الأم :

يجب أن يكون غذاء الأم الحامل كاملاً متنوعا ، حرصا على صحتها أثناء الحمل وضمانا لصحة الجنين ، فإذا كان غذاء الأم صحيا مناسباً فإن ذلك يساعد الجنين على أن ينمو نموا طبيعيا ، أما فى حالة نقص غذاء الأم وعدم احتوائه على البروتين والفيتامينات وخاصة فيتامين "ب" المركب .. فإن ذلك يؤدى إلى تعب الأم الحامل وإلى نقص وزن الجنين عقب الولادة ، وكذلك تأثر الجهاز العصبى والتعرض للاضطرابات النفسية والأمراض ، لذلك يجب على الأم الحامل أن تهتم بنوعية الطعام أكثر من كميته ، وأن يحتوى غذاؤها على البروتينات لتساعد فى بناء خلايا الجنين بشكل عام والخلايا العصبية بشكل خاص ، كما ان تناول الفواكه والخضار الطازجة يزود الجنين بالفيتامينات ، ويساعد فى ويساعد فى الحصول على المناعة ضد الأمراض .

الحالة الصحية للأم :

يتاثر نمو الجنين تأثراً خطيراً إذا تعرض بالإصابة بالعدوى بمرض خطير يصيب الأم وهى حامل فإصابة الأم بمرض الزهرى مثلاً يؤدى إلى إصابة الجنين بالضعف العقلى أو الصم أو العمى ، كذلك إصابة الأم بالحصبة الألمانية قد يؤدى إلى إصابة الجنين بالصم أو البكم أو إصابة القلب أو الضعف العقلى ، وبالطبع تكون الإصابة أخر إذا حدثت العدوى الفيروسية خلال الثلاث شهور الأولى للحمل كما أن اضطراب إفرازات غدد الأم الحامل يعوق النمو العام للجنين ،

لذلك يجب على الأم الحامل أن تستشير الطبيب مرة على الأقل كل شهر منذ بداية الحمل حتى نهاية الشهر السابع ثم مرة كل أسبوع حتى تتم الولادة .

الحالة النفسية للأم :

تؤثر الحالة النفسية للأم بطريقة غير مباشرة على نمو الجنين فشعور الأم الحامل بالخوف أو الضعف أو التوتر أو القلق يستثر جهازها العصبى وينعكس أثر ذلك على النواحى الفسيولوجية ، مما يؤدى إلى اضطراب فى إفرازات الغدد وتغير التركيب الكيميائى للدم ، مما يؤثر بدوره على الجنين . كما أن شعور الأم الحامل بالخوف الشديد أو التوتر يصاحبه زيادة حركة الحنين داخل الرحم .

كذلك أشارت معظم البحوث الطبية والبحوث النفسية إلى أنه فى أثناء الحمل تكون الحالة الفسيولوجية والحالة النفسية للأم مختلفتين تماما عن حالتها قبل الحمل وبعده ويرجع ذلك إلى اضطراب إفرازات الغدد أثناء الحمل ، كما أن الحمل يدخله تغيرات انفعالية كالتوتر والقلق والاكتئاب والأرق والوحم ، كذلك أشارت أيضاً نتائج بعض البحوث إلى وجود علاقة بين هذه التقلبات المزاجية من ناحية وصعوبة الولادة من ناحية أخرى .

عمر الأم :

تشير الأبحاث إلى أن السن من (٢٠-٣٥ سنة) هو أنسب الأعمار للحمل ، وأن الحمل فى سن أقل من (٢٠سنة) يكون له

تأثيره الضار ، خاصة فى حالة عدم اكتمال نضج الجهاز التناسلى للأم الحامل ، كما أن الحمل بعد سن (٣٥ سنة) قد يعرض الأم الحامل لصعوبات بالغة أثناء الحمل والولادة ، كما يزيد احتال إصابة الوليد بالتشوه أو الضعف العقلى ، ومع ذلك فقد تحمل سيدات بعد هذا السن ، ويكون الحمل عادياً والولادة عادية .

وقد أظهرت نتائج عديد من البحوث أن الآباء الذين يتزوجون فى مرحلة الشباب ينجبون أطفالاً أطول عمراً ، واكثر حيوية ، وأكثر صحة من أبناء الأزواج الذين يتزوجون فى مرحلة متأخرة من أعمارهم .

ويرى علماء الوراثة أنه إذا حدث وحملت الأم الأكبر سناً (بين ٣٥-٤٥ سنة بمتوسط ٤١ سنة عند الولادة) فإن الجنين يكون أكثر عرضة للإصابة بمرض المنغولية **Mongolism** ، ونسبة حدوث هذا المرض حوالى حالة واحدة كل ألف حالة ولادة ، وتزداد هذه النسبة كلما تقدمت الأم الحامل فى السن ، ويرجع سبب حدوث هذا الحالة إلى شذوذ فى توزيع الكروموسومات ، حيث يوجد كروموسوم زائد من نوع (Y) نتيجة حدوث اضطراب كروموسومى اثناء تكوين الزيجوت ، وفى الطفل العادى يكون عدد الكروموسومات (٤٦) كروموسوم ، بينما فى الطفل المنغولى يكون عدد الكروموسومات (٤٧) كروموسوم والكرموسوم الزائد يكون مع الزوج رقم (٢١) .

عامل ريزيس Rhesus Factor :

هو أحد مكونات بروتين الدم ويتحدد وراثيا ، ويطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى القرد الريزيس Rheses ، وهو قرد هندى صغير قصير الذيل ، استعمل دمه فى التجارب التى أدت إلى اكتشاف هذا العامل سنة ١٩٤٠، وهذا العامل الوراثى يلعب دوراً خطيراً فى نمو الجنين ، ويشار إليه باختصار بالرمز (Rh) ، ويوجد هذا البروتين الوراثى فى دماء ٨٥٪ من الأصل العام للسكان (+Rh) .

وقد تنشأ المشكلة حين يحمل الأب هذا العامل (+Rh) ولا تحمله الأم (-Rh) ، وفى هذه الحالة فإن الجنين يحمل هذا العامل لأنه يرثه من أبيه فإذا اتصل دم الجنين بدم الأم فإن جهاز المناعة لدى الأم ينتج أجساما مضادة Antibodies لكى تحمى جسمها من بروتين (Rh) الغريب عليه وتؤدى هذا الأجسام المضادة إلى القضاء على خلايا الدم الحمراء لدى الطفل ، والتى تحمل الأكسجين مما يؤدى إلى وفاة الطفل قبل الولادة أو بعدها بقليل ، أو إلى تخلفه العقلى إذا عاش .

وهذه الآثار لا تظهر عادة أثناء الحمل لأول مرة لأن هذا العامل لا يستطيع أن يخترق المشيمة حينئذ ، إلا أن دم الأم قد يستقبل هذا العامل بعد ذلك عند انشقاق المشيمة لحظة الولادة ، وحينئذ يبدأ جسم الأم فى إنتاج الأجسام المضادة ، فإذا حملت مرة أخرى تخترق هذه الأجسام المضادة المشيمة ، وتقضى على الجنين، ويمكن الوقاية

من ذلك بتناول الأم عند ولادة طفلها الأول مادة تمنع تكوين الأجسام المضادة .

ولأغراض الوقاية ينصح المقبلين على الزواج بمعرفة نوع عامل ريزيس عند الطرفين

تعرض الأم للإشعاع :

تعرض الأم الحامل (وخاصة منطلقة البطن والحوض) للأشعة السينية (أشعة ×) له تأثيره البالغ الخطورة على الجنين ، خاصة إذا كان فى الثلاث شهور الأولى ، حيث يؤثر ذلك على الجهاز العصبى المركزى للجنين ، كما يؤدى الضعف العقلى أو التشوه الخلقى ، ويمكن أن يؤدى إلى الإجهاض لذلك يجب على الأم الحامل ألا تتعرض إلى أى نوع من أنواع الأشعة دون استشارة الطبيب .

التدخين :

أثبتت الدراسات أن التدخين بصورة مفرطة من قبل الأم الحامل يؤدى إلى زيادة احتمال وفاة الوليد فى الأسبوع الأول من ولادته ، كذلك وجد أن الأمهات المدخنات يلدن أطفالاً أقل حجماً وأقل وزناً من أقرانهم غير المدخنين إلى جانب ولادتهم قبل الأوان (الولادة المبتسرة Premature Birth) .

تعاطى الخمور :

تعاطى الأم الحامل للكحول والمخدرات يؤدى إلى قتل الخلايا الحساسة فى جسم الجنين ؛ خاصة خلايا الدماغ والخصية أو

المبيضين ، كذلك يؤدى تعاطى الخمور إلى اضطراب الجهاز العصبى ، ونقص فى الوزن ، وانخفاض معدل ذكاء الوليد فيما بعد ، إلى جانب احتمال حدوث الولادة المبتسرة .

تناول الأم للأدوية :

يتأثر نمو الجنين بما تتعاطاه الأم من أدوية ، لذلك يجب على الأم الحامل عدم تناول أى نوع من الدواء ، مهما كان بسيطاً دون استشارة الطبيب ، وفيما يلى بعض الأدوية التى قد تؤثر على الجنين وتسبب عاهات خلقية أو أمراضاً للجنين :

- الكورتيزون ومشتقاته : يسبب حدوث الشفة الأرنبية والحنك الأفلج " ثقب سقف الحلق " واليرقان ، وتشوه الأذن الخارجية .
- المضادات الحيوية مثل التيتراسيكلين ، والكلورومفينكول ، والاستبتومايسين : تؤثر على أسنان الطفل ، إلى جانب حدوث نقص فى عدد كرات الدم الحمراء والبيضاء ، واضطراب السمع .
- الأدوية المهدئة للأعصاب : تؤدى إلى حدوث تشوهات خلقية كنقص فى إحدى الأطراف أو تشوهات الأذن الخارجية .
- الأسبرين (المبالغ فيه) : يسبب نزيف للجنين ، واحتمال اضطراب الجهاز الدورى .

وتشمل هذه الأدوية حبوب منع الحمل إذا تعاطتها الأم ، دون أن تعلم أنها حامل .

ب- البيئة الجغرافية أو الطبيعية :

ويقصد بها عوامل الطقس والمناخ التى تحدد حياة الناس وأنشطتهم ، وتؤثر فى نظام حياتهم . فقد أثبتت الدراسات تأثر نمو الجنين بنقاء الهواء الذى يستنشقه ، فأطفال السواحل والريف ينمون أسرع من أطفال المدن الصناعية المزدحمة بالسكان والمعرضة لتلوث البيئة ؛ إذ إن مخلفات المصانع التى تتألف من الرصاص ، والزنك ، والزئبق ، والأنتيمون تسبب تلوث الهواء .

كما أن أشعة الشمس لها أثرها الفعال فى سرعة النمو وخاصة الأشعة فوق البنفسجية لما تقوم به من دور مهم فى تحويل المواد الدهنية الموجودة تحت سطح الجلد إلى فيتامين " د " المهم للنمو . فضلاً عن أن بعض دول العالم الثالث تلجأ إلى التخلص من مخلفات فضلات البشر بصرفها فى البحار والأنهار ؛ مما يؤدى إلى تلوث هذه المياه ويكون لها أكبر الأثر فى تعويق الصحة الجسمية للإنسان وقدراته العقلية ، وتؤثر بدورها على الأجنة فى الأرحام .

فضلاً عن هذا وذاك نجد أن لسكان المناطق الزراعية سمات تختلف عن سمات سكان المدن ، وسمات هؤلاء وهؤلاء تختلف عن سمات سكان الصحارى وسكان الجبال .

جـ- البيئة الاجتماعية :

ويقصد بالبيئة الاجتماعية الوسائط التربوية التى تمارس عملها أو تأثيرها على نمو الفرد ، من خلال ما يعرف بالتنشئة الاجتماعية

أو التطبيع الاجتماعى ، فالإنسان كائن اجتماعى بطبعه حيث يميل إلى العيش مع غيره من الناس ، يؤثر فيهم ويتأثر بهم ، ولا يقدر على العيش منعزلاً عن الآخرين .

ومن أبرز الوسائط التربوية التى تشملها البيئة الاجتماعية ما يلى :

الأسرة :

تعتبر الأسرة هى الخلية الاجتماعية الأولى التى تتلقى الفرد فينشأ فى أحضانها ويتلقى الرعاية من أعضائها ، وتقوم الأم بدور أساسى ، حيث يعتمد عليها الطفل فى إشباع حاجاته العضوية ، ومع نمو الطفل تزداد دائرة معارفه ويتأثر بمؤسسات اجتماعية أخرى كالمدرسة والمسجد ووسائل الإعلام ؛ فيكتسب أنماطاً ونماذج سلوكية وتنمو شخصيته نتيجة لهذا التفاعل الاجتماعى .

حجم الأسرة :

مما لا شك فيه أن الأسرة الكبيرة العدد لا توفر لأبنائها الرعاية الجسمية والصحية والعقلية ، التى توفرها الأسرة الصغيرة العدد ؛ مما يؤثر فى سرعة نموهم ، ويذهب الكثير من الباحثين إلى أن ذكاء الطفل مرهون بحجم أسرته ، إذ إن المثيرات الثقافية التى تتهيأ للأطفال قد لا يستفيدون منها إذا كثر عددهم وزادت أعباء الأسرة فى توجيههم – كما أن حجم الأسرة له أثر فى تعدد العلاقات والخبرات التى يكتسبها الفرد وتساعده بعد ذلك على الاتصال بالمجتمع .

استقرار الوسط العائلى :

استقرار العلاقات بين الأبوين ، والبعد عن المشاحنات والشجار ، وعدم التذبذب فى معاملة الأبناء كأن يكون الأب صارماً متزمتاً قاسياً ، وتكون الأم متسامحة صفوحة يساعد على النمو النفسى للأبناء ، فمن الصالح ألا يتشاجر الأبوان أمام أبنائهم ؛ إذ إن تصدع العلاقات بين الأبوين يصيب الأبناء باختلال التوازن الانفعالى .

وعندما تسير العلاقات بين الوالدين سيراً سليماً فإن ذلك يساعد على نمو شخصية الطفل نمواً سليماً ؛ لأن تكيف الفرد مع أسرته وتكوين علاقات سليمة يعتبر هو الأساس الذى تبنى عليه شخصيته مستقبلاً .

وقد أوضحت نتائج عديد من البحوث أن الأسرة تقوم بدور مهم فى تحديد السلوك السوى والسلوك الجانح للطفل ، كما أوضحت نتائج بعض البحوث أنه غالباً ما يكون وراء مشكلات الأطفال والمراهقين السلوكية تصدع أسري إما بسبب الشجار المستمر بين الوالدين ، أو غياب أحد الوالدين أو كلاهما فترة طويلة أو الطلاق .

المستوى الاجتماعى الاقتصادى :

يركز كثير من الباحثين على أهمية المستوى الاجتماعى الاقتصادى للأسرة، ويرون أنه كلما ارتفع المستوى الاجتماعى الاقتصادى للأسرة ، أتيح لأفرادها فرص توفير الغذاء المناسب ، وفرص تعليمية وثقافية غير متوافرة للأسرة ذات الدخل المنخفض ؛

بمعنى أن الأطفال الذين ينتمون إلى الأسر ذات المستوى الاجتماعى الاقتصادى المرتفع تتهيأ لهم إمكانات من الرعاية الجسمية والعقلية والاجتماعية والثقافية ، بعكس أقرانهم الذين ينتمون إلى أسر ذات مستوى اجتماعى اقتصادى منخفض .

ترتيب الطفل بين أقرانه :

الترتيب فى الميلاد بين الأخوة من العوامل التى تؤثر على نمو الفرد وعلى توافقه النفسى والاجتماعى .

فالطفل الأول : يكون نموه الاجتماعى واللغوى أقل من نمو الطفل الثانى والطفل الثالث ؛ لأن وجوده وحيداً لفترة قد يعرضه للعزلة والوحدة وعدم إتاحة فرص التنافس والتفاعل مع الأطفال الآخرين هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن خبرة الوالدين فى تربية الأطفال تكون خبرة محدودة لأنهما فى بداية حياتهما الزوجية .

أما الطفل الثانى : فمركزه صعب فقد سبقه طفل انتزع منه المركز الأول ؛ لذلك فهو يشعر بوجود منافس له مما يجعله يسعى لأن ينتزع من منافسة ما يمكن انتزاعه ، ويحصل على ما يمكن الحصول عليه ، وقد يزيد الموقف سوءاً بالنسبة للطفل الثانى ميلاد طفل ثالث ، يصبح موضع رعاية واهتمام للوالدين . فتتحول الرعاية التى كان يحظى بها إلى أخيه الأصغر ؛ فيأخذ مركزاً جديداً ، وترتيباً آخر بين أخويه فيصبح الأوسط . ومركز الطفل الأوسط صعب إذ إنه

يكون مهاجماً من الأمام عن طريق أخيه الأكبر ، ومن الخلف عن طريق أخيه الأصغر .

أما الطفل الأخير : فإن والديه يعاملانه معاملة تختلف عن معاملة بقية أخوته ، فيصبح مدللاً بعد أن كبر أخوته جميعاً ، وبسبب اهتمام والديه الزائد به وتدليله ، تدب الغيرة والحقد فى نفوس أخوته .

أما الطفل الوحيد : فإنه يفتقد إلى أطفال آخرين يشاركهم اللعب ، ويكون اتصاله وتعامله مع أبويه ومع الكبار ، لذلك يتفوق فى اكتساب لغة الراشدين وإتقان أنماطهم الصوتية بشكل واضح ومميز عن الأطفال الآخرين فى مثل سنه ، لذلك يجد صعوبة فى التوافق الاجتماعى مع هؤلاء الأطفال ، ويكون غير محبوب من أقرانه لأنه اعتاد التعامل مع الكبار ، ولم يتعود الأخذ والعطاء ، كما أن نموه الحركى والجسمى يكون بطيئاً لعدم وجود أطفال آخرين يتحرك ويتعامل معهم .

الاتجاهات الوالدية :

ويقصد بها أساليب التنشئة الأسرية وطرق التربية المنزلية ، فالحماية الزائدة قد تعوق النمو سواء بالنسبة للطفل السوى أو الطفل المعوق ، وتزيد الأخير إحساساً بالعجز والنقص ، والتسلط يولد العدوانية ويؤدى إلى نشأة حيل دفاعية مثل الكذب والتبرير ، وقد يعوق التسلط النمو الاجتماعى للطفل فيميل إلى الانطواء والعزلة ،

والنبذ والحرمان قد يسببان الانطواء والميل إلى العدوان للحصول على ما يشبع حاجات الطفل أو المراهق .

ويجب التنبيه إلى أن بعض الاتجاهات الوالدية يكون تأثيرها مرهوناً بإدراك الأطفال لهذه الاتجاهات ونظرتهم إليها ، وتأثرهم بها ، كل من خلال الإطار المرجعى المتوافر لدى كل منهما . فقد يقسو الأب مثلا على ابنين من أبنائه لسبب أو لآخر ، فيتجه أحدهما إلى الانطواء أو العدوان ، بينما يعتبر الثانى الأمر طبيعياً من جانب الأب باعتباره ممثلا للسلطة داخل المنزل .

د- البيئة الثقافية :

لكل مجتمع نمطه الثقافى السائد الذى يؤثر فى أساليب تنشئة أبنائه ، فالطفل فى الصين ينشأ فى إطار ثقافى وحضارى يختلف عن الإطار الذي ينشأ فيه زميله فى مصر ، وكلاهما يختلف عن الإطار الذى ينشأ فيه طفل الولايات المتحدة مثلاً ، بل إن الثقافة تتباين من مكان إلى آخر داخل المجتمع نفسه ، وهو ما يفسر اختلاف الثقافة بين الريف والحضر ، وإن كان انتشار أجهزة الراديو والتليفزيون والفيديو ... إلخ ، قد ساعد على تقليل الفجوة الثقافية بين الريف والحضر .

ويتضمن الإطار الثقافى أساليب المعيشة والعادات والعرف والتقاليد والقيم السائدة ، وتعتبر الثقافة الميراث الاجتماعى الذى يشب عليه وينشأ فيه الطفل فيكتسب من خلاله الأنماط السلوكية

والعادات والاتجاهات والقيم ، وبالتالى يمكن القول بإن الوسط الثقافى الذى ينمو الفرد فى إطاره يكون له أثر كبير على نموه وعلى تفاعله الاجتماعى مع غيره من الأفراد .

٣- الجنس (النوع) :

يلعب الجنس دوراً مهماً فى النمو الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى للطفل ؛ لذلك يلاحظ أن ثمة فروقاً نمائية متعددة بين الجنسين ، يمكن إجمالها فيما يلى :

من الناحية الجسمية يلاحظ أنه عند الميلاد يكون الأولاد أكبر حجماً إلى حد ما عن البنات ، ولكن تنمو البنات بصفة عامة بسرعة أكبر ويسبقن الأولاد فى البلوغ والمراهقة بعامين تقريباً ، ولكن البنين سرعان ما يلحقون بهم ويتفوقون عليهم طولا ووزناً ، كما نجد أن حظ الأولاد من النسيج العضلى يفوق حظ البنات فيه ، بينما يزداد حظ البنات من النسيج الدهنى عن الأولاد .

ومن الناحية العقلية لا توجد فروق بين الجنسين فى القدرة العقلية العامة (الذكاء) ، بينما توجد فروق بين الجنسين فى القدرات اللغوية والفنية لصالح البنات ، وفى القدرات الرياضية والميكانيكية لصالح البنين .

ومن الناحية الانفعالية والاجتماعية أشارت الدراسات التى أجريت فى هذا المجال إلى أن درجة الاستقرار الانفعالى لدى الإناث تفوق درجة الاستقرار الانفعالى لدى الذكور ، وإن كان الخوف ينمو لدى الإناث بصورة أكبر من الذكور مع ثبات كافة الشروط الأخرى .

٤- الغدد Glands :

الغدد أعضاء داخلية فى الجسم ، تتكون من مجموعة من الأنسجة التى تتألف من خلايا عصبية وخلايا عضلية ، ويحتوى الجسم على مجموعتين من الغدد، هما :

أ- الغدد القنوية Duct Glands :

وهى غدد لها قنوات خاصة تسير فيها إفرازاتها ، ومن أمثلتها : الغدد الدمعية ، والغدد اللعابية ، الغدد العرقية ، والغدد الدهنية ، وغدد البروستاتا .

ب- الغدد اللاقنوية (الصماء) Endocrine Glands :

وتطلق إفرازاتها (مواد كيميائية تسمى الهرمونات) فى الدم مباشرة ، وترتبط وظائف الغدد الصماء ارتباطاً وثيقاً بوظائف أجهزة الجسم المختلفة ، حيث تساهم فى نمو الجسم وضبط السلوك الانفعالى . والتوازن فى إفرازات هذه الغدد يجعل الفرد شخصاً سليماً ، والاضطراب فى إفرازات هذه الغدد يؤدى إلى الضغط النفسى ، والاضطرابات النفسية ، الأمر الذى يؤدى إلى سوء التوافق النفسى والاجتماعى واضطرابات الشخصية .

ومن أهم الغدد اللاقنوية أو الصماء ما يلى :

الغدة النخامية Pituitary Gland :

تقع أسفل سطح المخ (فى منتصف الرأس عند قاعدة المخ) ، وتوجد فى جيب صغير فى إحدى عظام الجمجمة ، ويبلغ وزنها نصف جرام وتتألف من فصين أحدهما أمامى والآخر خلفى .

ويفرز الفص الأمامى عددا من الهرمونات منها هرمون النمو الذى يبدأ عمله منذ الشهور الأولى فى حياة الجنين ، ونقص هذا الهرمون فى الدم قبل البلوغ يعوق نمو العظام ، فيتحول الطفل إلى قزم (القزامة) . وزيادة إفراز هذا الهرمون فى مرحلة البلوغ تؤدى إلى نمو سريع وشاذ فى عظام الجذع والأطراف ، فيتحول الطفل إلى عملاق (العملقة) . أما إذا زاد إفراز هذا الهرمون بعد البلوغ ، نجد أن العظام تتضخم ويتجه نموها اتجاها عرضيا فيحدث تشوه فى عظام الوجه ، حيث تتضخم عظام الوجنتين والفك السفلى ، وتتضخم كذلك اليدان والقدمان . كذلك يفرز الفص الأمامى هرمونا ينشط الغدد الجنسية عند النساء ، ويعمل على تنظيم دورة الحيض ، كذلك هرمون البرولاكتين الذى ينشط إفراز لبن الأم بعد الولادة مباشرة ، وكذلك هرمون الثيروتروفين الذى ينشط الغدة الدرقية ، وهرمون الكورتيكوتروفين الذى يعمل على ضبط مستوى السكر فى الدم . أما الفص الخلفى فيفرز هرمونات تنظم ضغط الدم ، وامتصاص الماء فى الجسم ، وتقوية عضلات الرحم أثناء الولادة.

الغدة الدرقية Thyroid Gland :

توجد هذه الغدة أسفل الرقبة أمام القصبة الهوائية ، ولها فصان جانبيان وجزء متوسط بينهما ، وهذه الغدة تفرز هرمون الثيروكسين* Thyroxin ، وهذا الهرمون له تأثيره على النمو .

* هذا الهرمون يتكون أيضاً بكميات قليلة جدا فى الكبد .

نقص إفراز هذا الهرمون قبل البلوغ : يؤدى إلى توقف نمو العظام ، وتأخر ظهور الأسنان ، وتأخر المشى ، وتأخر الكلام عند الطفل .

نقص إفراز هذا الهرمون بعد البلوغ : يؤدى إلى تضخم النسيج الضام الذى يوجد تحت الجلد ؛ مما يؤدى على انتفاخ الوجه والأطراف ، وانخفاض درجة حرارة الجسم قليلاً عن المعدل الطبيعى ، فيصاب الفرد بالخمول والتأخر العام فى النمو الجسمى ، والنمو العقلى (مرض المكسيديما) .

أما إذا زادت نسبة الثيروكسين فى الدم عن المعدل الطبيعى ، فإن ذلك يؤدى إلى ارتفاع درجة حرارة الجسم عن المعدل الطبيعى ، وجحوظ العينين ، ويصبح الشخص شديد الانفعال زائد الحساسية ، سهل الاستثارة ، ويطلق على الأعراض السابقة مرض " الجوبتر " أو تضخم الغدة الدرقية ، وتندر الإصابة بهذا المرض فى مجتمعنا بصفة عامة ؛ لتوفر اليود فى الأطعمة التى تتناولها والهواء الذى نستنشقه ، وتنتشر الإصابة بهذا المرض فى مجتمعات جنوب أفريقيا حيث يندر وجود اليوم فى أطعمتهم .

الغدتان الكظريتان (الأدرينياليتان) Adrenal or Suprarenal Glands :

وتوجد كل منهما فوق إحدى الكليتان ، وتتكون كل غدة من قشرة خارجية ، ولب داخلى ويفرز كل جزء منهما هرموناته الخاصة

به . وتفرز القشرة مجموعة من الهرمونات تعمل على تنظيم أيون الصوديوم والماء ، كذلك تفرز هرمون الأندروجين Androgen أو هرمون الخصية ، وهذا الهرمون يلعب دورا كبيراً فى تنظيم النمو الجنسى .

ونقص إفرازات القشرة يؤدى إلى الضعف العام أو الأنيميا ، وفقدان الشهية، والشعور بالتعب عند بذل أقل مجهود ، وانخفاض ضغط الدم ، وضعف قوة التناسل (مرض أديسون Addison's Disease) .

بينما تؤدى زيادة إفرازات القشرة إلى إسراع النمو الجنسى .

ويفرز الجزء الدخلى (اللب) هرمون الأدرينالين Adrenalin ولهذا الهرمون أهميته فى علم النفس ؛ لصلته بالانفعالات إذ يزداد إفراز هذا الهرمون فى أثناء الانفعال ، ويؤدى ذلك إلى زيادة ضربات القلب ، وارتفاع ضغط الدم .

وزيادة إفراز هذا الهرمون تساعد على تحول النشا الحيوانى (الجليكوجين) المخزون فى الكبد إلى سكر الجلوكوز ، الذى يزيد من طاقة الإنسان وحدة تفكيره وسرعة نزوعه ؛ لمواجهة المواقف الطارئة ، التى يتعرض لها وتهدد كيانه وتعرضه للخطر .

جزر لانجرهانز Islets of Langerhans :

وهى غدد صغيرة توجد فى البنكرياس ، وتفرز هذه الغدد هرمون الأنسولين الذى يساعد على احتراق السكر الزائد فى الدم .

ويسبب نقص إفراز هذا الهرمون ارتفاع نسبة السكر فى الدم ، وبالتالى يسبب مرض السكر .

الغدد التناسلية Gonada Glands or Sexual Glands :

وهذه الغدد تختلف فى الذكور عنها فى الإناث . ففى الذكور تتمثل فى الخصيتين ، اللتين تفرزان الحيوانات المنوية والهرمونات الذكرية المسئولة عن تنشيط إفراز هذه الحيوانات ، وظهور الخصائص الجنسية الثانوية ، مثل : خشونة الصوت ، وظهور شعر الشارب واللحية إلى جانب ظهور الشعر فى أماكن مختلفة من الجسم ، وفى الأنثى تتمثل فى المبيضين اللذين يفرزان نوعين من الهرمونات ، هما :

الأول : يسيطر على ظهور الخصائص الجنسية الثانوية المميزة للأنثى ، مثل : بروز النهدين ، ونعومة الجلد ، واستدارة الأرداف ، والتفاف الفخذين ، واتساع الحوض ، وكذلك إفراز البويضات .

الثانى : يساعد على نمو البويضة المخصبة حتى تصبح جنيناً متكاملاً ، كما يساعد على إفراز الغدد اللبنية للبن بعد الولادة مباشرة ؛ حتى تتمكن الأم من ممارسة عملية الرضاعة . ويؤدى نقص إفراز هرمونات الغدد التناسلية إلى نقس نمو الخصائص الجنسية الثانوية .

أما زيادة إفراز هرمونات الغدد التناسلية تؤدى إلى البلوغ قبل الأوان أو النضج الجنسى المبكر .

وهكذا يمكن القول بأن نمو الفرد يتأثر بنمو الغدد التناسلية ؛ حيث يؤثر ذلك على شخصيته وعلى سلوكه وعلى توافقه مع نفسه ومع الآخرين .

الغدد التيموسية Thymus Gland :

توجد فى الجزء العلوى للتجويف الصدرى ، ووظيفتها كف النمو الجنسى ، وتبدأ فى الاضمحلال عند البلوغ تاركه المجال للغدد الجنسية للقيام بوظيفتها . وتضمر هذه الغدد عند البنات قبل الأولاد . وزيادة إفرازها يؤخر النضج الجنسى ، أما نقص إفرازها يؤدى إلى التبكير الجنسى .

الغدة الصنوبرية Pineal Gland :

توجد تحت سطح المخ عند قاعدته ، ووظيفتها تعطيل الغدد التناسلية حتى لا تنشط قبل سن المراهقة ، وزيادة إفرازها يسبب اضطراب النمو والنشاط الجنسى. أما نقص إفرازها يسبب البكور الجنسى ، فيبدو الطفل الصغير ، وكأنه مراهق بالغ وتظهر عليه الصفات الجنسية الثانوية .

ويطلق على الغدة التيموسية والغدة الصنوبرية غدتا الطفولة لأن نشاطهما قاصر على الفترة الأولى من الحياة .

الفصل الثالث

دراسة موجزة لمرحلة ما قبل الميلاد

سنتناول فى الصفحات التالية من هذا الفصل دراسة موجزة لمراحل حياة الجنين ومظاهر نموه ، والعوامل المؤثرة فى حياة الطفل قبل ميلاده .

مراحل حياة الجنين :

تبدأ حياة الجنين بالبذرة أو اللاقحة أو البيضة الملقحة Zygote هذا ويقسم علماء الأجنة أطوار تكوين الجنين إلى ثلاث مراحل رئيسية نلخصها فيما يلى :

١- البذرة أو اللاقحة Zygote :

وتبدأ عندما يخترق الحيوان المنوى جدار البويضة الأنثوية وعندئذ تتفاعل الكروموسومات الذكرية والأنثوية فتحدد بذلك صفات الجنين الجديد ذكراً أم أنثى وتتكاثر البويضة المخصبة بطرق الانقسام ويزداد عدد خلاياها لكنها لا تتغير فى الحجم تغيراً محسوساً لأنها لم تعتمد بعد فى غذائها على الأم وتستمر هذه العملية حتى نهاية الأسبوع الثانى .

وتنتقل البويضة الملقحة من المبيض وتظل تسير حتى تصل إلى الرحم وتلتصق بجدار الرحم وعندئذ تتكون الأغشية الجينية ومنها يمتد الحب السرى الذى يصل البويضة بالأم . وهكذا تبدأ عملية التغذية وتصبح البذرة مضغة .

٢- المضغة Embryo :

عندما تلتصق البويضة الملقحة بجدار الرحم تبدأ فى تكوين ثلاث طبقات أساسية تبدأ منها أجهزة الجسم المختلفة هذه الطبقات هى :

١-الطبقة الخارجية Ectoderm

٢-الطبقة الوسطى Mesoderm

٣-الطبقة الداخلية Endoderm

١- الطبقة الأولى الخارجية : منها يتكون الجهاز العصبى وبعض أجزاء الأسنان والأظافر وبشرة الجلد والشعر .

٢- الطبقة الثانية الوسطى : منها يتكون الجهاز الدورى وأجهزة الإخراج والعضلات والطبقة الداخلية للجلد والشعر .

٣- الطبقة الثالثة الداخلية : مكنها يتكون الجهاز الهضمى والكبد والبنكرياس والغدد اللعابية والغدة الدرقية والغدة التيموسية والرئتان .

هذا وتمتد فترة المضغة فى حياة الجنين من نهاية الأسبوع الثانى إلى نهاية الشهر الثانى وفيها تتكون جميع أجهزة الجسم ويصبح حجم الجنين فى نهايتها أكبر من حجم البذرة التى منها نشأ بحوالى ٢ مليون مرة .

هذا ويتجه نمو الطبقات الثلاث هذه فى نموها العادى نحو الاتزان الذى يهدف إلى تكوين الفرد تكويناً سوياً ، وعندما يزيد نمو إحدى هذه الطبقات عن الطبقتين الأخريين فإن الفرد يتصف بصفات جديدة تميزه عن غيره من الأفراد الآخرين ، وبذلك يعتمد الشكل العام للجسم البشرى على معدل نمو كل طبقة من هذه الطبقات ، ويتخذ لنفسه نمطاً معيناً يتميز بأنواع محددة من السلوك .

وأهم هذه الأنماط هى :

١) النمط العقلى :

ويتكون هذا النوع من النمط عندما تنمو الطبقة الخارجية بمعدل أكبر من نمو الطبقتين الأخرتين الوسطى والداخلية ، مما يؤدى إلى سرعة نمو الجهاز العصبى عن غيره من الأجهزة الأخرى وبذلك تتسم شخصية الفرد بالنمط العقلى .

هذا ومن أهم الصفات البدنية التى تميز هذا النمط عن غيره من الأنماط الأخرى النواحى التالية :

عظام رفيعة – عضلات رهيفة – بطن مسطحة منحدرة إلى أسفل – أرجل رفيعة وطويلة – أصابع طويلة – وجه بيضاوى – جلد رقيق باهت .

ومن أهم الصفات النفسية التى يتميز بها هذا النمط :

الميل إلى التأمل والقلق ومحاولة الهروب من المشكلات العلمية إلى النواحى النظرية .

٢) النمط العضلى :

ويتكون هذا النوع من النمط عندما تنمو الطبقة الوسطى بمعدل أكبر من نمو الطبقتين الأخرتين الخارجية والداخلية مما يؤدى إلى زيادة نمو العضلات عن غيرها من النواحى الأخرى ولذا تتسم شخصية الفرد بالنمط العضلى .

هذا ومن أهم الصفات البدنية التى تميز هذا النمط عن غيره من الأنماط الأخرى النواحى التالية :

عضلات ضخمة – أزرع وأرجل غليظة – الصدر أكبر من البطن – عظام الوجه ضخمة – فك غليظ .

ومن أهم الصفات النفسية التى يتميز بها هذا النمط:

الميل إلى الحركة – حب المخاطرة – الجرأة – الرغبة فى السيطرة .

٣) النمط الهضمى :

ويتكون هذا النوع من النمط عندما تنمو الطبقة الداخلية بمعدل نمو أكبر من معدل نمو الطبقتين الأخرتين الخارجية والوسطى .

هذا ومن أهم الصفات البدنية التى تميز هذا النمط عن غيره من الأنماط الأخرى النواحى التالية :

الجسم الغليظ – البطن الكبير – وجه عريض قصير – رقبة غليظة – يدان قصيرتان – جلد ناعم .

ومن أهم الصفات النفسية التى يتميز بها هذا النمط حب الناس والموائد والحمامات والنوم ، سهولة الانقياد ، الخضوع للآخرين ، الميل للأخذ أكثر من الميل للعطاء .

٣- الجنين :

وبانتهاء الشهر الثانى تبدأ حياة الجنين وتستمر إلى نهاية مدة الحمل ، وهى بذلك فترة نمو سريع وتغير فى نسب الأعضاء ، ومن الأمثلة الواضحة لهذا التغير نسبة رأس الجنين إلى طول حجمه فهى تبلغ حوالى النصف فى حوالى الشهر الثانى ثم تبلغ الثلث فى نهاية الشهر الخامس وتبلغ الربع عند الميلاد .

ويتغير حجم الطفل وشكله ووزنه وطوله وتتغير المساحة السطحية لجسمه قبل ولادته وبعدها ويخضع النمو فى جوهره لسرعات جزئية مختلفة تغير من نسب الأعضاء بعضها لبعض ، ويزداد وزن الجنين فى مرحلة ما قبل الميلاد حوالى ستة بلايين مرة ، ويزداد وزن الطفل عشرون مرة فى نموه من وليد إلى راشد .

وتبلغ سرعة الزيادة فى طول الجنين حوالى مليمتراً كل يوم فيما بين الأسبوع الرابع والأسبوع التاسع وتبلغ زيادة طول الطفل بعد سنة من ميلاده حوالى ٥٠٪ من طوله عند الولادة .

ثم تبدأ بعد ذلك سرعة النمو الطولى حتى تبغ الزيادة السنوية فى الطول حوالى ٧ سم سنوياً .

المؤثرات البيئية فى مرحلة ما قبل الميلاد :

تخضع حياة الجنين فى نموها وتطورها لعوامل مختلفة ذكرنا أهمها فى الفصل السابق حينما استعرضنا العوامل العامة المؤثرة فى النمو ولخصناها فى الوراثة والهرومونات والتغذية والبيئة الاجتماعية والهواء النقى واشعة الشمس ، والولادة المبتسرة والانفعالات الحادة والسلالة العنصرية والمرض والحوادث ، هذا ومن أهم العوامل التى تؤثر على الجنين فى مرحلة ما قبل الميلاد ما يأتى :

١-طعام الأم .

٢-العقاقير .

٣-التعرض للإشعاع .

٤-أمراض الأمومة .

٥-آثار اضطراب الحمل والوضع .

٦-عوامل Rh .

٧-الحالات الانفعالية للأم .

٨-اتجاهات الأم نحو الحمل.

٩- عمر الأم .

أولاً : طعام الأم :

لنوع الطعام الذى تتناوله الأم وكميته أثراً بالغ على حياة الجنين ، فأى نقص فى الفيتامينات الضرورية للغذاء الكامل يحدث آثاراً فى الجنين فيصاب بالضعف العقلى أو ببعض العيوب البدنية كالكساح أو البلاجرا أو الهزال .

كما أن سوء التغذية للأم أثناء فترة الحمل يؤثر تأثير سيئ على حالة الجنين وفى إحدى الدراسات أُتى بأمهات حاملات يتناولن غذاء جيد كامل ومجموعة أخرى من الأمهات تعرضن لسوء التغذية أثناء فترة الحمل فلوحظ أن أطفال الامهات ذوات الغذاء الجيد كانت حالتهم الصحية أفضل من أطفال أمهات ذوات الغذاء السيئ ، كما أن مواليد الغذاء الجيد كانت سجلاتهم الصحية أفضل من الأطفال الآخرين ، كما أن الأمهات ذوات الغذاء الجيد كانت ولادتهن طبيعية بينما أمهات الغذاء السيئ تعرضن لأمراض الأنيميا وتسمم الدم والإجهاض بالفعل والولادة المبتسرة كما أن الحالة الصحية للمواليد خلال الأسبوعين الأولين ، وكذلك نسبة التعرض وانتشار الأمراض الرئيسية خلال الستة الشهور الأولى بأكملها (كساح – نزلات برد – فقر دم) كانت بين مواليد الأمهات ذوات الغذاء السيئ بنسبة أكبر منها بين مواليد الأمهات ذوات الغذاء الجيد .

ثانياً : عقاقير :

لقد دلت الأبحاث العلمية أن تقديم جرعات زائدة للأم من بعض العقاقير إلى حد قد يحتمل فيه حدوث اختناق الجنين ، كما أن تعاطى الأم للمخدرات يحدث ضرراً قد يؤدى إلى اختلالات فى نمو الجنين ولقد أثبتت أبحاث آرليت Arlite وستوكارد Stockard أن شرب الخمر يضعف الحيوان المنوى والبيوضة الأنثوية ويؤخر سرعة نمو الجنين .

وتتلخص إحدى تجارب آرليت Arlite فى إعطاء جموعة من الفئران جرعة خمر كل يوم مرة لمدة ١٦ يوماً ومجموعة جرعة كل يوم لمدة ٦ شهور ثم رصد أثر هذه الجرعة على الأجنة ، ودلت نتائج هذا البحث على الفئران التى أعطيت الجرعة لمدة١٦ يوم أن سرعة نمو الأجنة أصيبت بتأخر عام وأن هذا التأخر أمتد إلى الجيل الرابع بينما دلت النتائجً على إصابة الفئران التى أعطيت الجرعة لمدة ٦ شهور بالعقم الكلى .

ثالثاً : التعرض للإشعاع :

قد تضطر الأمهات المصابة بالأورام فى الرحم والحوض أو المبايض إلى العلاج بالتعرض للأشعة ، وقد دلت الأبحاث أن تعرض حوض الأم لأشعة الراديوم أو الرونتجن (أشعة إكس) للعلاج من الأورام فى الحوض أو المبايض والتعرض لجرعات كبيرة منه يؤدى إلى إيذاء الجنين والتعجيل بالإجهاض .

رابعاً : أمراض الأمومة :

من النادر أن تسرى العدوى من الأم للجنين ، ومع ذلك فقد وجدوا فى حالات نادرة ولد فيها الأطفال وهم مصابون من أمراض الجدرى أو الجديرى أو التهاب الغدد النكفية نتيجة لانتقال العدوى إليهم من الأم .

وكما أن الأمراض وخاصة الأمراض السرية (الزهرى ، والسيلان) أثر ضار على الجنين فيصاب بالضعف العقلى أو العمى أو الصمم أو بها جميعاً وينتقل إليه المرض .كما وجد أن إصابة الأم بالأيدز أثناء الحمل تنتقل العدوى من الأم إلى الجنين .

خامساً : آثار اضطراب الحمل والوضع :

تعانى بعض الأمهات أثناء الحمل اضطرابات فيزيولوجية وخصوصاً النزيف وتسمم الدم واضطراب الدورة الدموية ، وقد توصل العلماء إلى أن نسبة الأطفال المتأخرين عقلياً بين المواليد الذين عانت أمهاتهم من آثار اضطراب الحمل أو الوضع وولدن ولادة غير طبيعية أكبر منها بين المواليد الذين لم تعانى أمهاتهم أى آثار لاضطراب الحمل والوضع وولدنّ ولادة طبيعية .

سادساً : عوامل Rh :

قد يكون هناك تعارض بين الأم وطفلها من حيث عامل Rh عامل الريسيس ويحدث ذلك بين كل ٢٠٠ حالة حمل ويكمن الخطر إذا كانت الأم عندها عامل Rh سالب والجنين عامل Rh موجب ،

ففى هذه الحالة يفرز دم جنين الطفل نتيجة لعامل Rh (موجب) أجساماً ومواد تسمى Antigenes تخرج مع الدم إلى الأم خلال الحبل السرى إلى دمها وهنا تفرز دم الأم أجسام مضادة Antibodies تعود إلى الجنين مع دم الأم إلى الجنين خلال الحبل السرى وعندئذ يتأثر الجنين بهذه الأجسام المضادة ، فقد تؤدى إلى موته وبالتالى تحدث ولادات ميتة أو الإجهاض أو الوفاة عقب الولادة بفترة قصيرة بسبب تدمير كرات الدم الحمراء .

والجدير بالذكر أن الطفل الأول لا يتأثر لأن جسم الأم يحتاج إلى فترة حتى يكون الأجسام الدفاعية Antibodies .

سابعاً : الحالة الانفعالية للأم :

على الرغم من عدم وجود اتصال مباشر بين الجهاز العصبى للجنين والأم إلا أن الحالة الانفعالية للأم قد تؤثر فى استجابات الجنين وتطور نموه حيث يتغير تركيب الدم للأم وأن مواد كيمائية تنفذ خلال المشيمة تؤدى إلى تغيرات فى الجهاز الدورى عن الجنين .

وقد أظهرت دراسات سونتاج Sontag بأن هذه التغيرات قد تؤدى إلى مضايقات للجنين وإزعاجه فتزداد حركات الجنين وتتضاعف عدة مرات عند ما تكون الأمهات فى أزمات انفعالية .

كما أن لحالة الأم الانفعالية أثر بالغ على الغدد الصماء التى تفرز الهرمونات فتزداد نسبة سريان الهرمونات فى الدم عن معدلها

الطبيعى التى تصل إلى الجنين خلال الدم فيتأثر الجنين بتلك الهرمونات وبالتالى على نموه الطبيعى وقد يؤدى هذا إلى نقص نمو العظام أو الضعف العقلى .

وقد وجد أن الأمهات اللآتى يتعرضن للانفعالات الحادة أثناء فترة الحمل قد يولد أطفالهم وهم أكثر عصبية من غيرهم وعلى مستوى عالى من الحركة .

ثامناً : اتجاهات الأم نحو حملها :

بمعنى أن اتجاهات الأم نحو حملها ينعكس على حالتها الانفعالية وبالتالى على نمو الجنين ، فإذا كان اتجاه الأم نحو حملها اتجاه موجب فإن ذلك ينعكس على حبها لذلك الحمل ويجعلها دائماً مسرورة لذلك ويجعل حالتها الانفعالية هادئة ، أما إذا كان العكس تكون الأم غير محبة لجنيتها وحالتها الانفعالية سيئة وبذلك يؤثر على نمو الجنين كما بينا فيما سبق .

تاسعاً : عمر الأم :

هناك أدلة على أن نسبة الوفيات بين الأطفال تزداد ارتفاعاً أن كانت الأمهات دون سن ٢٣ سنة ، وقد يرجع ذلك إلى قلة نضج الجهاز التناسلى عند بعض النسوة صغار السن ١٠ فما أقل من ٢٣ سنة .

وكذلك بين أطفال الأمهات اللاتى فوق سنة ٢٩ عاماً ، وقد يرجع ذلك لتدهور وظيفة التناسل عند النسوة الكبار وتقل نسبة

الوفيات بين المواليد الأمهات التى تتراوح أعمارهم بين ٢٣ ، ٢٩ عاماً .

وقد وجد أن مرض وهى حالة متفاقمة من التأخر العقلى مصحوبة بملامح جسمية معينة وعيون ضيقة ، وعدم انتظام الجمجمة أكثر شيوعاً بين الأطفال الذين تلدهم الأمهات صغار السن عن أبناء أمهات كبار السن .

التوائم :

الجنين العادى الطبيعى يستقل وحده بتغذية أمة له ، لا يشاركه فيها أحد وقد يحدث أحياناً أن تحمل الأم زوجاً أو أكثر من الأجنة فتنشأ بذلك الولادة – المتعددة وبذلك تلد الأم مثنى ورباع من حمل واحد بدلاً من أن تلد طفلاً – واحداً .

ويصطلح الناس والعلماء على تسمية هذا النوع من الأطفال بالتوائم وهى نوعاً :

١- توائم متناظرة متشابهة .

٢- توائم غير متناظرة .

والتوائم المتناظرة تنشأ من بيضة واحدة يلقحها حيوان منوى واحد انقسام وعند انقسام البيضة الملقحة يحدث انشطار للبيضة الملقحة فتنقسم إلى خليتين متساويتين تنمو كل واحدة منهما إلى جنين .

وبما أن هذا الانقسام الذى يحدث للبيضة الملقحة يحدث بحيث يتشق كل صبغى إلى نصفين متساويين تماماً فى جميع المكونات والصفات الأساسية لذلك تصبح صفات التوأمين واحدة اللهم إلا اختلافات بسيطة ترجع فى جوهرها إلى اثر البيئة ولهذا يصبح جنس التوأمين واحداً ، فإذا كان الأول ذكراً كان الثانى ذكراً ، وإن كان الأول أنثى فالثانى أنثى أيضاً .

أما التوائم غير المتناظرة فتنشأ عندما تفرز الأم أكثر من بيضة ، على خلاف عادتها فى إفراز بيضة واحدة فى كل مرة ، ويلقح كل بيضة حيوان منوى فتنشأ بيضتان ملقحتان تنمو كل منهما مكونة جنياً عن الآخر مختلفاً فى صفاته الوراثية ، ولذا يكون أحد التوأمين ذكراً وقد يكون الآخر أنثى ، ولذلك فهما لا يتشابهان إلا كما تتشابه الأخوة فى بعض صفاتها .

الفصل الرابع
مرحلة المهـــد

يمثـل الأسـبوعان الأوليـان مـن عمـر الوليـد عمليـة التكيـف " الحرجة " مع البيئة الجديدة لاختلافها تماماً عن البيئـة الرحيمـة ، إذ عليـه أن يكيـف جسـمه وأعضاءه للظروف الجديدة بعد التخلص من السـائل الأميـونى الـذى كـان يمـلأ فراغـات فمـه وأذنيـه وأنفـه ، وتبـدأ جميع أجهزة جسمه وأعضائه وحواسه فى العمل ، كما تقوى ضربات القلب وتزداد سرعتها عما كانت قبل الولادة ليستطيع دفع الدم إلى كافة أجزاء الجسم بما فى ذلك الرئتين وانتظام الدورة الدموية لمواجهة الإجهاد المترتب على التغير الحاد للضغط الجوى الجديد ، وفيما عدا ما هو مزود به من استعدادات فطرية وانعكاسات أولية بسيطة (مثل منعكس المص والبلع) وقدر من المناعة التى اكتسبها من المشيمة خلال الشهرين الآخرين قبل الولادة ، فإنه يعد أضعف الكائنات الحية عنـد الـولادة ، فلـيس لديـه مـن وسـيلة مباشـرة لحمايـة جسـمه مـن الأخطار الخارجية وحصوله على احتياجاتـه من الغذاء والدفـء سوى الاعتماد التام على ما تتيحه له بيئته من رعاية ، لذلك تكاد أن تتركز نسبة كبيرة من وفيات الأطفال خلال هذين الأسبوعين .

المظاهر المختلفة لنمو الوليد :

يطلق على الأسبوعين الأولين من عمر الطفل مصطلح الوليد Neonatal نظراً لتميـز المظـاهر المختلفـة للنمـو خـلال هـذه الأيـام

القليلة بسرعات وإيقاعات متباينة تختلف عن مرحلة ما قبل الولادة التى كان يخضع فيها النمو لنظام متسق وصارم ، وعن مرحلة المهد (الأسبوع الاول وحتى بداية السنة الثانية) التى لا يدانيها فى سرعة النمو أى مرحلة أخرى بعد ذلك ، إذ يبلغ متوسط وزن الوليد عند الميلاد ثلاثة كيلو جرامات ، وطول جسمه ٥٠ سم ، ويأخذ وزنه فى التناقص التدريجى عقب الولادة بسبب عملية التوافق مع الظروف الجديدة وتأخر الجهاز الهضمى فى استكماله لوظائفه بعض الوقت ، ويفقد الوليد ربع إلى ثلث كيلو جرام من وزنه خلال الأيام الثلاثة أو الأربعة الأولى ، لكنه سرعان ما يستعيد وزنه الأول ويزداد بمعدل كيلو جرام كل أسبوع .

وتبدو الفروق واضحة بين الرضع حديثى الولادة فى الحجم والطول وصفات الجسم الخاصة ، كما يكون الذكر أكبر حجماً من الأنثى بصفة عامة فى حدود ٤٪ وأطول فى حدود ٢٪ وأثقل وزناً فى حدود ربع كيلو جرام فى المتوسط .

وبالرغم من أنه لا تطرأ تغيرات واضحة فى الطول خلال هذين الأسبوعين إلا أن نموه الجسمى يتوقف على نوعية اللبن الذى يرضعه وكميته وانتظام الرضعات ، وأوضحت نتائج الدراسات (٢١ ، ٨١ ، ٩٤) الحديثة أن الرضاعة من الثدى تمثل أفضل هذه النوعيات من ناحية قيمتها الغذائية ، بالإضافة إلى أنها تتيح للوليد

تناول أى كمية يريدها من اللبن حسب احتياجات جسمه المتغيرة من فترة لأخرى .

كل ذلك تحت ظروف صحية مثالية من ناحية التعقيم والنظافة ودرجة الحرارة الثابتة للبن الأم فى كل الأوقات ، ويتوقف معظم سلوك الوليد خلال هذين الأسبوعين على انتظام الوظائف الفسيولوجية خصوصاً المص والبلع والهضم والإخراج والنوم وكفاءة الدورة الدموية ، إذ تصل معدل ضربات القلب عند الميلاد ١٦٠ ضربة فى الدقيقة بينما هى عند الراشد ٧٢ ضربة فقط ، ويتبع ذلك زيادة سرعة التنفس وضعف ضغط الدم ، كما يقضى معظم وقته فى النوم كاستجابة طبيعية للإجهاد ، حيث تنخفض – خلال النوم – درجة حرارة الجسم ويقل النشاط الحركى وتبطؤ الدورة الدموية وتقل سرعة التنفس وتصبح أكثر انتظاماً ، وهذا كله يعمل – من الوجهة الفسيولوجية – على تقليل الفاقد من الطاقة وادخارها لعميلة النمو ، ويبلغ وزن المخ عند الميلاد ربع نظيره عند الراشد ، ويولد الطفل وقد اكتملت خلايا جهازه العصبى ، بيد أن وظائفه لا تكتمل إلا تدريجياً وعلى مدى سنوات الطفولة كلها بعد أن تستكمل عملية التميلن (تكوين مادة ألميلين حول الأعصاب لعزلها عن بعضها) ، ونظراً لعدم قدرة الوليد على احتفاظه ذاتياً بدرجة حرارة ثابتة عند ٣٧ درجة فإنه فى حاجة إلى رعاية البيئة لتنظيم حرارتها وثباتها .

ويكاد أن يعتمد الوليد على حاسة الشم وإلى حد ما التذوق (البدائيتين) فى استجاباته الانعكاسية للرضاعة ، ويطرأ على هاتين الحاستين نمواً سريعاً خلال هذين الأسبوعين نظراً لارتباطهما المباشر بالرضاعة ، إذ يكتسب بالتدريج حاسية للمواد الحلوة والمعتدلة الحرارة فيقبل عليها وينفرد من المواد المرأة والمائعة ،كما يستجيب لبعض الروائح النفاذية لكنه لا يقوى على التميز بينها . وتكون حاسة اللمس قوية خصوصاً فى منطقة الشفتين والطرف الأمامى من اللسان بيد أن استجاباته للمثيرات السمعية والبصرية تكون ضعيفة جداً نظراً لعدم استكمال الأذنين والعينين لوظائفها .

مظاهر النمو خلال مرحلة المهد :

باكتمال الوليد أسبوعه الثانى سالماً يكون قد اجتاز أحرج فترات التكيف وأكثرها حساسية وتأثيراً على مسيرة نموه بعد ذلك ، ومرحلة " المهد " تسمية اعتبارية لأهم سنتين فى حياة الطفل ، يكون خلالها معتمداً كلية على والديه سواء فطم خلالها و بعدها ، ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة اسم " الفطيم " نظراً لتشابه معناه اللغوى مع المقصود نمائياً بهذه المرحلة ، مع ملاحظة أن الفترة التى تستغرقها معنى " فطيم " تقف عند الفطام فقط بصرف النظر عن السن الذى يفطم فيه الرضيع ، إذ ربما يفطم فى عامين أو قبل ذلك أو بعده ، على حين أن الفترة التى تستغرقها مرحلة " المهد " تنتهى بنهاية العام الثانى بصرف النظر عن فطام الطفل قبل ذلك أو بعده .

النمو الجسمى والفسيولوجى فى مرحلة المهد :

إذا كانت السرعة العامة للنمو خلال هذه الفترة من أكثر المعدلات ارتفاعاً فى دورة حياة الإنسان (بعد الولادة) ، فإن السرعة الجزئية للنمو الجسمى والفسيولوجى خلال هاتين السنتين من أكثر المعدلات ارتفاعاً إذا ما قورنت بالمظاهر الأخرى للنمو ، إذ يزداد وزن الطفل بمعدل ربع كيلو فى الأسبوع خلال الشهر الأول والثانى ثم يقل هذا المعدل بالتدريج خلال الأشهر التالية ليصل وزنه على نهاية الشهر الخامس (٦ كيلوجرامات فى المتوسط) ضعف وزنه عند الولادة ، ويصل على نهاية عامه الأول إلى ثلاثة أضعاف هذا (٩ كيلو جرامات فى المتوسط) الوزن وما يقرب من أربعة أضعاف (١٢ كيلو جراماً فى المتوسط) على نهاية عامه الثانى .

ويزداد طوله بمعدل ٢ سم كل شهر ليبلغ طوله الكلى ٧٤ سم على نهاية السنة الأولى ثم يقل معدل الزيادة خلال السنة الثانية ليصل طوله الكلى على نهايتها إلى ٨٤ سم ، وتنمو العضلات فى حجمها وليس فى عددها ، وتزداد قدره على التحكم فيها ، وتحل بالتدريج العظام محل الغضاريف الخارجية ، وتقوى صلابة عظام الفخذية والساقين والظهر لتستطيع تحمل الجسم أثناء المشى ، وتبدأ ظهور الأسنان المؤقتة أو اللبنية خلال الشهر السادسة تقريباً ، وأول ما يظهر منها قاطعين فى الفك السفلى (٤ – ٩ أشهر) ، ثم أربعة قواطع علوية (٩ – ١٢ شهراً) فأربعة أضراس أمامية (١٥ – ١٨

شهراً) ، ثم تظهر أربعة أنياب خلال الأشهر الستة الأخيرة من العام الثانى .

ويساير النمو الفسيولوجى النمو الجسمى خصوصاً الجهاز الهضمى والدورى والعصبى والغدى والتنفسى والبولى ، إذ ينمو المخ فى الوزن والحجم فيزداد من ٣٥٠ حجم إلى ما يقرب من ألف جرام فى المتوسط على نهاية العام الثانى ، كما تنشط الغدة الصنوبرية والتيموسية لكف وتعطيل وظائف الغدد الجنسية ، ويكون للاتزان الهرمونى دوراً حاسماً فى تحديد مسيرة النمو خلال هذه الفترة وما بعدها .

كما تزداد سعة الرئتين لتزويد الجسم النامى باحتياجاته المتجددة من الأكسجين ، وهكذا بالنسبة للمعدة حتى تواجه احتياجاته المتزايدة من الغذاء ، ويرتبط بهذه السعة الزيادة التدريجية فى حجم وعدد الرضعات لتصل فى الشهر الخامس والسادس ما بين ٥ – ٦ رضعات فى اليوم وتقل عن ذلك فى النصف الثانى من العام الأول ، ويلاحظ أنه كلما قل عدد الرضعات زادت كمية الرضعة بنسبة كبيرة ، بمعنى أن الزيادة مطردة فى حجم أو كمية اللبن والسوائل كلما تقدم فى العمر وحتى الفطام ، مع نقص تدريجى فى عدد الرضعات ، ونظراً لزيادة احتياجات الرضيع من المواد الغذائية ، فإن اللبن وحده – سواء كان مصدره الأم أو غير ذلك – لا يقوى على تلبية هذه الاحتياجات ، وتشرع الأم فى إضافة جرعات متدرجة من عصائر الفواكه الطازجة

والبروتينات السائلة (مثل صفار البيض) وغير ذلك منذ الشهر الثالث ، كما يلاحظ تناقص ساعات النوم بالتدريج فتصل إلى ١٥ ساعة تقريباً على نهاية النصف الأول من عامه الأول و ١٤ ساعة خلال نصفه الثانى ، وتقل بالتدريج لتصل إلى ١٣ ساعة خلال النصف الثانى من عامه الثانى .

النمو الحركى :

يعتبر النمو الحركى انعكاساً لنشاط كفاءة الجهاز العصبى المركزى ، إذ يعنى تفاعل الطفل مع المثيرات البيئية ، سواء المادية أو الاجتماعية ، تحكمه التدريجى فى جسمه وعضلاته وحواسه على نحو يمكنه من السيطرة النسبية والتدريجية على بعض العناصر المحدودة لمجاله الحيوى ، كما أن النمو الحركى وسيلة الطفل لامتداد هـــــــــذا

المجال واكتشاف عوالم أخرى بعيدة عن نطاق جسمه وبيئته الأسرية المحدودة . أن النمو الحركى فى هذه المرحلة والمراحل التالية يسير من عدم الانضباط إلى الانضباط أى من العام إلى الخاص ، فى نفس الوقت الذى يسير فيه من الخاص إلى العام ، ولا يوجد ثمة تعارض بين الاتجاهين إذ بعد الانتقال من العام إلى الخص فى تمايز الحركات العامة لتصبح أكثر تخصصاً وتحديداً وانضباطاً ، يظهر الانتقال من الخاص إلى العام على شكل تكامل الأنشطة

والحركات المنعكسة وما يحدث فيما بينها وبين الحواس المختلفة من تآزر وترابط .

وتتطور حركاته الانعكاسية العشوائية العامة إلى حركات واستجابات إرادية للمثيرات الخارجية ، فيستطيع أن يرفع رأسه ويديرها قرب نهاية الشهر الأول ، ويرفع صدره ويمد يده إلى الأشياء دون أن يتمكن من الوصل إليها بدقة خلال الشهرين الثانى والثالث ، ثم يتعلم الجلوس والإمساك بالأشياء ونقلها من يد إلى أخرى خلال الشهر الرابع والخامس ويستطيع فى الشهر السادس السابع التوازن أثناء الجلوس على كرسى دون أن يسقط وهكذا تتطور مهاراته الحركية فيتعلم الحبو والوقوف بمساعدة الغير ثم بالاستناد على الأشياء (ليس بالضرورة أن يمر كل طفل بهذه الخطوات) .

وخلال النصف الأول من عامه الثانى يكون (فى المتوسط العام) قد أتقن المشى وتعلم الصعود على السلالم ويستطيع التحكم فى حركات يديه وعينيه فيكون مبنى من مكعبين ثم من ثلاثة مكعبات ، ويقدر على تصويب الكرة وقذفها فى الصندوق ، وبنهاية عامه الثانى يستطيع أن يعتلى كرسياً بمفرده وينزل ويصعد السلالم ويمشى للخلف ، يركل بقدميه ، يجرى ويقلد الخطوط والرسوم الهندسية البسيطة مثل الدائرة والمثلث .

النمو الحاسى :

يساير النمو الحاسى نموه الحركى نظراً لأن معظم المهارات التى سبق الإشارة إليها تعتمد على درجات متفاوتة من التآزر بين العينين واليدين والقدمين ، كما يزداد تحكمه فى حركات جسمه بتطور وظائف الأذن الوسطى والمخيخ (وغير ذلك من الأعضاء المسئولة عن دقة التوجيه المكانى والتعرف على الاتجاهات المكانية) .

ويعتمد هذا أيضاً على تحسن وظائف العينين واعتدال المسافة البؤرية وتطور عملية التآزر بين العينين واليدين ، ثم بينهما والقدمين وتحسن العتبات البصرية كذلك ، كما تتطور حاسة السمع لتصبح أكثر تميزاً بين الأصوات المتباينة ، خصوصاً الضعيفة أو الخافتة والتعرف على مصادر ألأصوات وتتبعها والقدرة على التوازن عند حركة الجسم فى المكان .

كما يستجيب بالتدريج للمثيرات الشمية المتباينة ، وينفر من الروائح المقززة أو النفاذة الأمر الذى يساعده على تجنب بعض الأضرار الجسمية التى قد تحدث نتيجة فساد أو تغير طعم اللبن أو حلمة الثدى ، وترتبط حاسة التذوق بحاسة الشم حيث يستطيع التمييز بين الحلو والمالح والمر والحامض ، وتتصف هذه المرحلة بالإدراك الحسى شبه المبهم للأشياء التى حوله وأنها " مخلوقات حية " وتمركزه الشديد حول جسمه وبالتحديد

منطقة الفم التى يحاول عن طريقها التعرف على كل ما قد تصل إليه يداه .

النمو العقلى واللغوى :

من المنطقى أن يكون نمو الإدراك الحسى للرضيع مدخلاً لدراسة نموه العقلى واللغوى فى هذه المرحلة ، فالإدراك الحسى عملية عقلية أساسية وأولية تعتمد عليها العمليات العقلية الأكثر تركيباً وصعوبة مثل التذكر والتعلم والتفكير ، إنه العملية الأولية التى يتعرف عن طريقها الطفل على معالم بيئته سواء الداخلية منها أو الخارجية ، كما تتحول – عن طريقها – المثيرات الحسية إلى مدركات عقلية أى معان ومفاهيم ، ويتأثر نمو الإدراك الحسى وتطوره بمدى نضج وكفاءة الحواس والجهاز العصبى من جهة ، وقدرة الوالدين والأسرة على تعريف الطفل بالدلالات الاجتماعية والنفسية للمثيرات التى يتعامل معها من جهة أخرى ، وتأتى هذه التعريفات عن طريق التفاعل والتواصل اللفظى مع والديه والآخرين ، فيعرف المثيرات والعلامات التى تدل على الغضب والخطر والحب والسعادة وما إلى ذلك ، وعن طريق اللغة تنقل إليه الكثير من خبرات الآخرين دون شرط ممارستها مثل معنى الفشل والنجاح والمرض والصحة والحياة والموت .

ويسير النمو العقلى فى هذه المرحلة بسرعات جزئية تفوق أى مرحلة أخرى لكنها تقل عن السرعة الجزئية للنمو الجسمى والفسيولوجى فى هذه المرحلة . إذ يكون شكل الذكاء والتفكير حسياً حركياً ، نظراً لأنه لا يتضمن أى نوع من العليات العقلية العليا ، وهو ما دعا " بياجيه " إلى أن يطلق على التفكير فى هذا العمر " بمرحلة ما قبل العمليات ، وقسم التفكير خلالها إلى ست مراحل فرعية تبدأ بمرحلة الأفعال المنعكسة فى الشهر الأول مثل المص والبلع والتعرف على موضع الحلمة وخصائصها الحسة من مذاق ورائحة وملمس وتنتهى بمرحلة استحداث وسائل جديدة من خلال التشكيلات العقلية (من عمر ١٨ شهراً إلى ٢٤ شهراً) نمثل إدراك استقلال الأشياء عن ذاته ودوامها ، وأن كيان منفصل عن والديه وبيئته ، والمعنى البسيط للزمن (خصوصاً الفرق بين اليوم والأمس) ويعتمد تتابع هذه المراحل فى درجة تعقيدها ونضجها على تفاعل المعطيات النمائية الفطرية – خصوصاً نمو الجهاز العصبى وتطور وظائف المخ – مع المعطيات البيئة ، حيث يؤدى التعلم باللعب والتقليد دوراً هاماً فى الارتقاء من الأسهل إلى الأصعب .

وهناك دلائل تشير إلى ظهور بعض القدرات فى صورتها البسيطة خصوصاً التذكر الذى تبدأ معالمه فى الظهور منذ الشهر الثامن وتتضح أكثر على مطلع العام الثانى ، إذ تتسع مدى الذاكرة بالتدريج وتأخذ صوراً حسية مختلفة مثل تذكر الأصوات والأشكال

والخبرات والأحداث القريبة جداً ، كما تظهر بدايات قدرته على التمييز خصوصاً التمييز بين أحاسيسه الحشوية مثل الجوع والعطش والمغص والتعب والتمييز بين البارد والحار ، والتمييز بين الوجوه المختلفة لأفراد أسرته والآخرين .

ويتصف النمو اللغوى بالبطء الشديد ، إذ يبدأ الرضيع فى إصدار الأصوات التقائية أو المناغاة حوالى الشهر الرابع مقلداً فى ذلك الأصوات البشرية ، ويبدأ فى نطق الحروف الحلقية (آآ ، بب ...) ثم يجمع بينها وبين حروف الشفة (ماما ، بابا ...) يلى ذلك نطق الحروف السنية عندما يكتمل ظهور قواطع الأمامية العلوية والسفلية (د ، ت ...) ثم الحروف الأنفية (ن ، ض ...) فالحلقية (ح ، خ ، ك ...) وهكذا ، وعادة ما ينطق الطفل أول كلمة خلال الشهر العاشر ، تزداد إلى ثلاث كلمات عند نهاية السنة الأولى ثم ١٤ كلمة فى الشهر الثامن عشر ، وتزداد مرة واحدة إلى ١٢٠ كلمة خلال الأشهر الأخيرة من عامه الثانى ، وعندما يكمل الطفل عامه الثانى يكون عدد الكلمات التى حصلها حوالى ٢٨٠ كلمة فى المتوسط تقريباً لقد بات من المؤكد أن النمو اللغوى للطفل فى هذه المرحلة محصلة لعدة عوامل متداخلة أهمها نمو الوظائف العصبية الراقية ، جهاز الكلام ونمو الذكاء ، وأصبح من المتعارف عليه أن المحصلة اللغوية للطفل إحدى الدلالات المؤكدة على ذكائه ونموه الاجتماعى .

النمو الانفعالى :

يندرج تحت هذا المظهر المركب من النمو مظاهر أخرى معددة تختلف باختلاف عمر الطفل وتشكل ما يعرف " بنمو الشخصية " فعندما نتحدث عن النمو النفسى للطفل خلال المهد يصعب التمييز بين الانفعال والمزاج والوجدان ، كما يختلط النمو النفسى – حسى مع النمو النفسى – اجتماعى لأن شخصيته لم تتكون بعد ، أو هى فى طور التكوين والتشكيل النشط .

وعند مناقشة المظهر الانفعالى يتعين أن يؤخذ فى الاعتبار السرعة الفائقة فى النمو الحسى والفسيولوجى – على نحو ما أوضحنا – وما يتبع ذلك من توتر واختلاف فى النشاط البيولوجى (خصوصاً الأيض والهرمونات) ، كذلك متاعب تعلم المشى وصدمة الفطام والتدريب على ضبط الإخراج وما إلى ذلك من مطالب النمو فى هذه المرحلة ، ومما يزيد الأمر صعوبة على الطفل تلازم الكثير من هذه المطالب فى فترة زمنية قصيرة ، إذ عادة ما يتزامن التدريب على المشى مع فطام الطفل وتدريبه على ضبط الإخراج والتسنين ، يضاف إلى ذلك التعبير اللفظى عن هذه المتاعب وصعوبة إدراكه لمعنى هذه الأحداث ومبرراتها ... إن هذه الاعتبارات يستنتج منها طبيعة النمو الانفعالى فى هذه المرحلة ، تلك الطبيعة التى تتسم بالتباين والحدة التى قد لا يكون لها نظير فى تاريخ الطفل النمائى كله .

وتظهر فى بداية النمو الانفعالى القابلية للاستثارة أو التهيج العام كنوع من الانعكاسات الانفعالية للعمليات الجسمية البيولوجية التى تمثل التركيز الأول لاهتمام الرضيع ، ثم تأخذ الانفعالات فى التمايز والتخصص النسبى فتظهر البهجة والعطف ، وتظهر انفعالات البهجة والعطف ، وتظهر انفعالات الفرح فى وقت متأخر نسبياً . وغالباً ما تكون هذه الانفعالات جياشة متدفقة ومتذبذبة ، إذ يتحول الطفل بسهولة – لأى سبب خارجى أو داخلى – من أقصى حالات البهجة والانشراح إلى أقصى الانقباض والخوف .. وهكذا بالنسبة لبقية الانفعالات ، ويؤدى عدم القدرة على التعبير اللفظى عن انفعالاته

(وهو فى حد ذاته تنفيس غير مباشر) إلى ترجمتها على شكل حركات جسمية تعبيرية فطرية تتسم بالتشنج والتوتر العضلى وما يصاحب ذلك من بكاء واحتقان فى الوجه والعينين وربما قئ وصراخ ، ومن المعروف أن التعبيرات الجسمية الحادة عن الانفعال تؤثر على بعض وظائف الأعضاء كتقلص المعدة وضعف السيطرة على عضلات الإخراج وزيادة إفراز العرق والأدرنالين وسرعة ضربات القلب ، وربما ينكص الصغير إلى مراحل أولية من التآزر الحركى مثل ارتداده إلى الحبو بعد أن يكون قد تعلم المشى وإصراره على مص أصابعه بعد استكمال فطامه ، أنه ينفعل بكل جسمه وبكل قوته دون أن يتناسب ذلك مع طبيعة الموقف .

الفصل الخامس
الطفولة المبكرة (٣ –٥ سنوات)
مرحلة ما قبل المدرسة

بدخول الطفل عامة الثالث يكون قد استقر نسبياً على مفهوم تقريبى عن ذاته الجسمية ، وعلى ما يشبه الهوية الشخصية التى تنمو باستمرار علاقاته الانفعالية والاجتماعية مع والديه ومن يعيشون فى محيط بيئته ، ويمتد سنوات الطفولة المكبرة التى تعرف بمرحلة ما قبل المدرسة من بداية السنة الثالثة وحتى نهاية السنة الخامسة ، وتتميز بالبطء النسبى لمعدلات السرعة العامة للنمو إذا ما قورنت بمرحلة المهد . والتفاوت الشديد فى السرعات الجزئية لمظاهر النمو المختلفة ، حيث تتفوق السرعة الجزئية لمظاهر النمو المعرفى والانفعالى والاجتماعى على النمو الجسمى الفسيولوجى والحاسى . لقد أنهى الطفل فى المرحلة السابقة معظم المهام الحرجة وحقق مطالب النمو الأساسية التى تؤهله للتحول التدريجى إلى كائن اجتماعى لديه الاستعداد المتزايد لتمثل المعايير التى تحكم علاقاته الاجتماعية والشخصية بالآخرين خصوصاً والديه وأخوته ورفاق اللعب .

النمو الجسمى والفسيولوجى :

تنمو الأطراف بسرعة أكبر نسبياً من الجذع ، كما يتخلص الجسم تدريجياً من طبقات الشحم التى تراكمت خلال مرحلة الرضاعة ، ويبلغ متوسط أطوال الأطفال فى بداية هذه المرحلة ، أى خلال عامهم الثالث ٨٤ سم ومتوسط أوزانهم ١٤.٥ كجم بناء على المعايير المالحة للنمو الجسمى فى البيئة المصرية ، كما يصل متوسط أطوالهم فى عامهم الرابع ٩٧.٧ سم تقريباً ومتوسط أوزانهم ١٦.٤ كجم وفى العام الخامس يكون متوسط أطوالهم ١٠٧.٩ سم ومتوسط أوزانهم ١٨.٢ كجم ويلاحظ تفوق الذكور على الإناث فى الطول بما يقرب من ١.١ سم وفى الوزن بما يقرب من ١.٥ كجم بصفة عامة .

عموماً ، تعنى هذه الزيادة أن طول الطفل على نهاية هذه المرحلة يقارب ضعف ما كان عليه طوله عند الميلاد وأكثر من خمسة أضعاف وزنه عند الميلاد أيضاً . ومع ذلك فإن هذه السرعة تقل كثيراً عما كانت عليه فى المهد ، ويكاد أن يكتمل ظهور الأسنان اللبنية خلال هذه السنوات الثلاث سواء بالنسبة للذكور أو الإناث ، وأحياناً يأخذ بعضها فى السقوط بنفس تتابع ظهورها .

وتتغير نسب أطراف الجسم والجذع عن نظيرها فى المهد واخذ فى التحسن خصوصاً نسبة حجم الرأس إلى الجسم والساقين والذراعين إلى الجذع . ويؤثر هذا التحسن مع النمو الملحوظ فى

العضلات الكبيرة (التى تسبق العضلات الصغيرة فى النمو) والصغيرة على الأداء واكتساب المزيد من المهارات الحركية الأكثر تخصصاً . وتفوق سرعة الجهاز الليمفاوى Lymphoid (الغدة الصعترية والعقد اللمفية) سرعة الطول والوزن بصفة عامة . إذ يحقق هذا الجهاز ما يقرب من ٨٠٪ من أقصى نموه خلال العام السادس . وربما تعزى هذه السرعة الفائق والاستثنائية فى النمو إلى دوره المؤثر فى تدعيم مناعة الجسم ضد الأمراض ومقاومة العدوى تحسباً لنشاط الطفل خلال هذه الفترة واحتكاكه المحتمل ببيئات مختلفة من جهة ، ونفاذ ما كان يتمتع به من مناعة مكتسبة مع الولادة من جهة أخرى . إن نمو هذا الجهاز بشكل غير عادى يجعل باعتماد الطفل على نفسه فى تكوين مناعته لذاتية . عموماً يتأثر النمو الجسمى بنوعية الغذاء والرعاية الصحية التى تكفلها له بيئته ، كما يتأثر أيضاً بما يقوم به من نشاط حركى وعدم إصابته ببعض الأمراض الخطيرة وما يتـــــــــــــاح لـــــــــــــه مـــــــــــــن فرص الراحة والنمو وشعور بالتقبل والأمن وما يحظى به من دفء أسرى .

ومن المعروف أن النمو العصبى يحقق ٦٠٪ من أقصى تنموه بنهاية العام الثانى ، وبحلول العام السادس يكون الجهاز العصبى قد حقق ٩٠٪ من نموه الأقصى ، وتتيح هذه السرعة الفائقة – التى لا نظير لها فى أى مظهر آخر من مظاهر النمو – إمكانية النمو العقلى

والمعرفى واللغوى ليستوعب كل ما يمكن أن تحمله بيئة الطفل من مثيرات عقلية واجتماعية . وتتجلى حكمة الله سبحانه وتعالى فى هذا النمط الفريد من سرعات النمو العصبى بحيث يمكن للطفل فى هذه المرحلة ما يليها من مراحل أخرى أن يتكيف عقلياً مع أكثر الظروف المعرفية تركيباً وصعوبة مهما كان من أمر تطورها ورقيها الحضارى وهذا يذكرنا بحكمة خلق مخ الإنسان الذى يستطيع أن يستوعب بغير حدود أى تطور فى المعرفة والتفكير نتيجة حضارة الإنسان فى المستقبل الذى ربما لا يخطر على بال أحد الآن ، ولعل وجود بعض مناطق فى المخ (على شكل فراغات) ليست لها وظيفة معروفة حتى الآن تؤكد هذا الاستنتاج ، وهو ما يذكرنا بحكمته البالغ – جلت وعلت قدرته – فى خلقنا بأعضاء حيوية مثل الكليتين تستطيع أن تضاعف كفاءة وظيفتها مرات ومرات لمواجهة أى احتمال أو مواقف غير عادية يواجه الإنسان ، لأنه فى الظروف العادية يستطيع أن يعـــــــــــــــــــــيش بمـــــــــــــــــــــــا يقرب من ربع كلية واحدة فقط دون تأثير خطير على وظائفه الحيوية الأخرى .

عموم هنا عدد من مناطق المخ لا يكتمل تمليناها حتى العام الثالث أو الرابع ، كما أن الألياف العصبية الكبرى التى تربط المخ بالمخيخ لا يكتمل تمليناها إلا بعد الرابعة ويلاحظ أن هذه الألياف أو

الأعصاب هى المسئولة عن ضبط الحركات الإرادية الدقيقة أو الراقية ، وهكذا بالنسبة للرئتين والبنكرياس وعضلات القلب .

ويزداد ضغط الدم وتبطؤ نبضات القلب ويزداد قوة عن ذى قبل ويصبح التنفس أكثر عمقاً ، كما تزداد حجم المعدة وسعتها وتصبح أكثر قدرة على هضم المواد غير السائلة ، ويستطيع التحكم – أكثر من ذى قبل – فى عضلات المثانة والمستقيم وتصبح عملية الإخراج أكثر انضباطاً . وتقل بالتدريج عدد ساعات النوم لتصل إلى ما يقرب من ١٠ ساعات فى المتوسط على نهاية هذه المرحلة بعد أن كانت فى حدود ١١ – ١٢ ساعة تقريباً خلال المهد .

النمو الحاسى :

تتحسن وظائف الأجهزة الحسية وتصبح أكثر دقة وتكاملاً خلال عملية الإدراك الحسى الأمر الذى يمكن الطفل من إدراك عالمه الداخلى والخارجى على نحو أفضل من ذى قبل . وتتطور السيطرة على الأجهزة الحسية الإدراكية بحيث يصبح أكثر اعتماداً على جهازه البصرى (هو الأكثر رقياً وتطوراً) فى عملية الإحساس الإرادى نظراً لدقة وسرعة المعلومات التى يتحصل عليها الفرد من هذا الجهاز إذا ما فورن بالأجهزة الحسية الأخرى (من المعروف أن الإنسان كائن بصرى بطبيعته) أى يتحول الطفل بالتدريج إلى كان بصرى . كما هو الحال لدى سائر الراشدين من البشر بعد أن كان اعتماده الأكثر على اللمس والتذوق والشم كحواس بدائية بطبيعتها . كما تتطور عملية

التآزر بين الأجهزة الحسية المختلفة خصوصاً الإبصار والسمع . ويتطور هذا التآزر ليشمل الأجهزة الحسية مع بعضها فى وحدة واحدة ويستطيع مطابقة ما يراه مع ما يسمعه وتحويل الملموسات والمثيرات السمعية إلى مثيرات بصرية والعكس ، ويتكامل هذا التآزر مع الأجهزة الحركية لتصبح استجابات وحركاته للمثيرات الحسية أكثر دقة وكفاءة عن ذى قبل ، الأمر الذى ينعكس تأثيره على تطور نموه الحركى

النمو الحركى :

يشهد النمو الحركى خلال هذه الفترة تطوراً غير عادى لزيادة كفاءة الجهاز العصبى والعضلى وتحسن الحواس والاعتماد المتزايد على الإبصار هذا بالإضافة إلى التكامل والتآزر المتنامى بين كافة هذه الأجهزة والحواس المختلفة ، كما أن التمدد المطرد فى بيئة الطفل واتساعها يتيح له المزيد من حرية الحركة واكتساب المهارات النفس – حركية الضرورة لانسجامه الجسمى والحركى مع معطيات هذه البيئة ، كما أن إمكانيات البيئة وثراء مثيراتها وتنوعها يساعد الطفل على اكتساب أنماط مختلفة ومتمايزة من المهارات الحركية التى تتفاوت بشكل ملحوظ من طفل لآخر وبين الجنسين باختلاف معطيات بيئة كل منهم .

وكما هو الحال فى مظاهر النمو الأخرى ، يتوقف كم ونوعية ما يمكن أن يكتسبه الطفل من مهارات حركية فى هذه المرحلة على ما يحصل عليه من مهارات أساسية فى مهده .

ففى الطفولة المبكرة تتميز حركات الطفل بالشدة وسرعة الاستجابة والتنوع بالإضافة لتخصص الحركات والمهارات ، ويساير هذا التخصص مدى سيطرته التدريجية على عضلات جسمه الكبرى ثم العضلات الصغرى ، ويستطيع خلال عامه الثالث أن ينزل ويصعد السلالم وحده ، ويكون مبنى من ٨ مكعبات ، يقف على رجل واحدة ، يقلد خطاً أفقياً ويستخدم القلم ويقلد رسم دائرة ، كما يستطيع الجرى بسرعة والاستدارة بزاوية حادة ويقف وقوفاً مفاجئاً ويمشى على أطراف أصابعه .

وفى السنة الرابعة يستطيع تقليد الرسم البسيط ويتبع ممرات الطرق المرسومة (السير فى متاهة بسيطة بالقلم) ، يقفز أثناء الجرى ، يطوى ورقة مربعة إلى مثلث ويرسم دائرة من الذاكرة ، وفى الخامسة من عمره يقلد رسم المثلث والمربع ، يربط الحذاء ويعتمد على نفسه تقريباً فى لبس معظم ملابسه ، يتحكم أكثر فى حركة القلم ويرسم بشكل بسيط الإنسان ويشرع فى تعلم الكتابة التى تتطلب مراحل متعاقبة من المهارات المتنامية والتآزرات الأكثر تعقيداً ، إذ يبدأ فى الكتابة وهو يحرك كل جسمه ثم يزاد تحكمه وتآزره فتنحصر الحركة فى اليد والصدر والرأس ... وبالتدريج والممارسة تتخصص فى قبضة

اليد فقط ، لتستقر أخيراً عند أطراف الأصابع الثلاثة ويلاحظ أن هذا التطور يساير تحكمه فى العضلات الصغرى من جهة وتطور تكامل التآزر بين اليد والعينين وتحسن المسافة البؤرية . ويظهر التعبير الحركى الكتابى على شكل خطوط غير موجهة ، ثم حروف متقطعة أى التوقف عند الانتقال من حرف لآخر فى الكلمة الواحدة ، وأخيراً يستطيع كتابة حروف الكلمة الواحدة " البسيطة " بشكل متصل أو موصل .

ويتزامن مع هذا النمو تحسن إدراكه معنى الإعداد والزمن والاتجاهات المكانية الأساسية مثل فوق وأسفل وأمام وخلف ، ويستطيع أن يحدد بشكل أفضل أماكن وأوضاع الأشياء فى نطاق علاقتها المكانية مع الأشياء الأخرى . ويقدر على تميز الأشياء بناء على أشكالها – بعد أن كان يعتمد على اللون فقط – وخصائصها الفيزيقية الأخرى . كما يمكن له إدراك المزيد من التفاصيل للأشياء بعد أن كان الإدراك الكلى للأشياء وهو الغالب دون اهتمام بالتفاصيل .

وربما ينجذب ويهتم أكثر لبعض التفاصيل الملفتة دون غيرها ، ويزداد إدراك المسافات والأطوال والأحجام والأعماق دقة . كذلك إدراك الزمن والتمييز المتزايد بين الحاضر والماضى وفهم معنى المستقبل القريب .

ويعتمد بالتدريج عند تمييزه للأشكال على ما بينها من اختلاف أكثر من اعتماده على ما بينها من تشابه ، ومع أن هذا التطور فى الإدراك الحسى لا يدخل بشكل مباشر فى النمو الحركى لأنه فى صميم النمو المعرفى ، إلا أن تأثيره مباشر فى ضبط وتطور مسيرة نموه الحركى .

النمو اللغوى والعقلى :

تمثل فترة الطفولة المبكرة أسرع فترات النمو اللغوى تحصيلاً وتعبيراً وفهماً ، نظراً لحاجة الطفل المتزايد للتعبير عن نفسه ومطالبه ومشاعره ، وفهم التعبيرات اللفظية للآخرين بما فى ذلك النواهى والأوامر ووصف الأشياء واسترجاع الماضى القريب وتصور المستقبل أو ما سيكون عليه الغد القريب . ومن مطالب النمو اللغوى فى هذه الفترة اكتساب عدد كبير من المفردات اللغوية وفهمها بوضوح وربطها مع بعضها فى جمل شبه مفيدة ، ويتضمن ذلك إدراك معنى الأفعال والتميز النسبى بين المضارع منها والماضى وحروف الجر ووظيفتها فى وصف الواقع بقدر الإمكان .

وتبلغ محصلته اللغوية فى السنة الثالثة ما بين ٨٠٠ – ٩٠٠ كلمة فى المتوسط ، ويعرف صفات الكثير من الأشياء ومعنى المفرد والجمع ، وتتزايد عدد كلماته فى عامه الرابع ما بين ١٤٥٠ – ١٥٠٠ كلمة فى المتوسط ، مع التمييز النسبى بين المذكر والمؤنث ، والقدرة على تكوين جمل بسيطة شبه مفيدة يستطيع بواسطتها

التواصل وتبادل الحديث مع والديه وأقرانه ، وفى الإجابة على الأسئلة التى تتطلب إدراك بعض العلاقات البسيطة ، وتزداد محصلته اللغوية ما بين ١٧٥٠ – ١٨٥٠ كلمة فى المتوسط بنهاية عامه الخامس ، مع القدرة على تكوين جمل طويلة ومفيدة نسبياً ، وربما يختلف هذا النمو اللغوى إذا قدر للطفل أن يلتحق بدور الحضانة أو رياض الأطفال وتحصل على قدر مناسب من المعلومات والمقررات الأولية خصوصاً مبادئ القراءة والكتابة والحساب والعلوم ، كما يتيح له هذا الاختلاف فرص ممارسة محصلته اللغوية وتحسينها وتطويرها حيث يحفزه مثل هذا الموقف المدرسى على النمو المبكر لكافة جوانبه المعرفية بما فى ذلك اللغة ، ويزداد فهمه للمعانى والأرقام والتوقيت ، ويطرأ تحسناً ملحوظاً فى النطق خصوصاً ما يتعلق بالعيوب النمائية فى نطق الحروف الحلقية والأنفية والسنية ، لكن يظل الإبدال واللثغة " التهتهة " ملازمة للكثير من الأطفال حتى ما بعد هذه المرحلة .

ويمكن تسمية هذه المرحلة – من ناحية النمو العقلى – بمرحلة " السؤال " ، إن سؤال " ماذا " دائماً على شفتيه . إذ يكثر من الأسئلة عن الأشياء التى حوله ، ومن المعلوم أن الاستفسار أو طرح السؤال يعكس نشاط عقلى ، وعمليات تفكير داخلية نشطة يتفاوت تعقيدها ورقيها بعمق السؤال ونوعه ، إن السؤال يعكس رغبة الطفل فى المعرفة وحب الاستطلاع واكتساب الخبرة ، ويستطيع أن يكون مفاهيم شبه مجردة عن الزمن والمكان والاتساع والعدد (حتى رقم ٥ فى

عمر الرابعة وحتى رقم ١٠ فى عمر الخامسة وحتى رقم ٢٠ فى عمر السادسة) . وتسعفه محصلته اللغوية المتنامية فى توسيع دائرة معارفه واكتساب المهارات والقدرات الخاصة بالتحصيل .

ويطرد نمو الذكاء بسرعة تفوق كثيراً سرعة النمو الجسمى والحركى كما تفوق أيضاً سرعة نموه فى المرحلة التالية (لاحظ أن نسبة الذكاء ثابتة نسبياً كما أوضحنا عن الحديث عن السرعة الجزئية) ، إلا أن قدرته على التركيز والانتباه تظل محدودة ، فهو لا يستطيع أن يركز على أكثر من مثير فى نفس الوقت ولفترة قصيرة وتظل قابليته للتشتت وتحول الانتباه من موضوع إلى آخر والخلط بين الواقع والخيال من المعالم المميزة لهذه المرحلة . وتتحسن قدرته على التذكرة المباشر ويتسع مداها خصوصاً مع الاستخدام الكفؤ للغة ، كما تتحسن بالتدريج قدرته على التذكر غير المباشر أو المرجأ خصوصاً على نهاية هذه المرحلة ، ويستطيع التعرف على ألعابه وتذكر ما يغيب منها عنه والتعرف على منزله وممتلكاته الشخصية وأهله وأصدقائه .

ويظهر التخيل فى أشكال اللعب الإيهام والقصص الخرافية التى يصنعها من خياله ، ويتداخل الواقع مع الخيال على نحو يصعب الفصل بينهما ، وأحياناً يطغى خياله على الواقع ، ويتجلى ذلك فى حديثه مع لعبه وخلع صفة الحياة على الكثير من الأشياء الجامدة فى

محيط أسرته ويطلب منها الإجابة ويعاملها كما لو كانت كائنات إنسانية فى مثل سنه .

ويندرج النمو المعرفى للطفل فى هذه المرحلة تحت ما يعرف باسم العمليات العيانية وفق تقسيم " بياجيه " لمراحل النمو المعرفى . وعنده أنه تتكون من ثلاث مراحل فرعية الأولى تعرف بمرحلة ما قبل المفاهيم أو التصور الذهنى السابق وتمتد من السنة الثانية إلى الرابعة ، حيث يكون شكل الذكاء فيها تمثيلى ، والثانية بمرحلة " التفكير الحدسى " التى تمتد من الرابعة إلى السابعة ويكون شكل الذكاء فيها حسياً ، والثالثة تعرف بمرحلة العمليات والإجراءات الحسية ، وسوف نناقش خصائص هاتين المرحلتين تفصيلاً فى الفصل القادم .

النمو الانفعالى :

تتسم الطفولة المبكرة بتمايز الانفعالات والتعبير عنها بالشكل الاجتماعى الذى يتناسب مع هذا العمر ، إن الانفعالات لم تعد مجرد تعبيرات ذاتية خالصة ، أنها تأخذ لأول مرة شكل اجتماعى وفق ما هو متعارف عليه فى أسرة الطفل وبيئته المحدودة ، كما تحل بالتدريج الاستجابة اللفظية الانفعالية محل الاستجابات الجسمية ، فبدلاً من التوتر الجسمى والتهيج العام والتشنج وما يصاحب ذلك من تغيرات فسيولوجية تظهر الاستجابات الانفعالية اللفظية على شكل

أًوات ثم كلمات غير محددة فكلمات محددة ، كما تظهر الاستجابات الانفعالية المؤثرة فى البيئة مثل استجابة الاعتذار والارتياح والرغبة والكره والأسف والغضب والتمرد وعدم المبالاة ويقل البكاء بالتدريج كأسلوب للتعبير عن الخوف والقلق أو الإحباط والشعور بعدم الأمن . ومع أن الانفعالات فى هذه المرحلة تتخلص بالتدريج من تناقضاتها وتدفقها وإيقاعها السريع ، إلا أنها ما برحت شديدة ومبالغاً فيها ، فعندما يغضب الصغير يكون غضبه شديداً وعندما يعبر عن حبه يكون تعبيره فياضاً متأججاً ، ويظل أيضاً لديه القابلية للتحول السريع من انفعال لآخر ربما يكون نقيضاً له ، بيد أن هذه الظاهرة تأخذ فى الانحسار التدريجى خلال المرحلة التالية وتظل انفعالاته متمركزة حول ذاته ، أى منسوبة ونابعة من ذاته دائماً وليست نابعة من الموقف نفسه ، مثل الشعور بالخجل والذنب والنقص ولوم الذات وعدم الثقة فيها ، ويزداد أو يقل شعوره بالخوف بقدر ما يشعر به من أمن وما تحققه له بيئته – خصوصاً أسرته – من توقعات واستقرار فى علاقاته الاجتماعية بأفرادها خصوصاً الوالدين .

صحيح أن هذه المرحلة تتميز بالهدوء والخلو النسبى من الخضات والتعبيرات المفاجئة كما حدث فى مواقف الفطام والتسنين والتدريب على ضبط الإخراج وتعلم المشى إلا أن أول مطالبها هى تدعيم الإنجازات السابقة وتنميتها خصوصاً ما يتعلق بالاستقلال

النسبى عن الوالدين وبداية الاعتماد على الذات وتأكيد الشعور بالأمن والثقة الأساسية فى بيئته والعالم المحيط به ، وإن لم تدعم هذه الإنجازات فهناك احتمال للارتداد والنكوص إلى العادات الطفولية السابقة ، وهذه المهمة لا تقل فى خطورتها عن مهام المرحلة السابقة ، إذ لم يكن الفطام والتدريب على الضبط والنظام وغيرها من مهام مطلوبة فى حد ذاتها ، إنما القصد منها هو التخلى عن السلوك الطفولى وتمثل معايير سلوك الاستقلال والاعتماد على النفس والثقة الأساسية وبقدر استيعابه لما هو مقصود من التدريبات السابقة وبقدر تمثله للدلالات والمعايير التى تتضمنها يكون مسار واتجاه نمو شخصيته بعد ذلك .

ويلاحظ ازدياد مثيرات الخوف عدداً ونوعاً عن ذى قبل نظراً لاتساع بيئته وتنوع المثيرات التى يتعامل معها ويستجيب لها ، فتظهر انفعالات الخوف من مثيرات لم يكن يخاف منها قبل ذلك مثل بعض الحيوانات والأشباح ، وربما يبدى خوفه من الظلام والوحدة ووجوده بين عدد كبير من الناس لم يألفهم ، والأهم من ذلك خوفه من غياب والديه أو أحد أفراد أسرته ، وتوجد علاقة بين مخاوف الوالدين – خصوصاً الأم – ومخاوف أطفالهن نظراً بقابليتهم الشديدة للاستهواء أو العدوى الانفعالية خلال هذه المرحلة . وعادة ما يصاحب ثورات الغضب احتجاجاً أو الأخذ بالثأر ، ودائماً ما يعبر بكلمة " لا " عن معظم استجاباته وكأنه بذلك يؤكد تمايزه واستقلاله عن الآخرين ،

وبأنه يستطيع الرفض والنفى والإلغاء ، وكأن كلمة " لا " تعبيراً عن ذاته الجديدة المتنامية .

دور الأسرة والتنشئة الاجتماعية فى النمو الاجتماعى :

ينظر إلى الأسرة ، بصفتها المجال الحيوى للنمو النفسى للطفل فى هذه المرحلة ، على أنها نسق دينامى يتغير مع تعاقب مراحل نموه ، فالأسرة عندما ترزق بطفلها الأول لم تكن كما كانت عند بداية تكوينها ، ولن تكون كذلك عندما يصل صغيرها إلى مرحلة ما قبل المدرسة وهكذا ، ويقصد " بالنسق " مجموعة الأشياء التى ترتبط فيما بينها بعلاقات متبادلة وفق الخصائص المميزة لهذه الأشياء مثل علاقات الزوج والزوجة قبل الإنجاب ، وعلاقتهما بعد الطفل الأول والثانى ، فإذا ما تغيرت هذه الأشياء أو خصائص تتغير تلقائياً العلاقات المتبادلة بينهما ومن ثم يتغير النسق ككل ، بعبارة أخرى يؤدى وجود أعضاء جدد فى الأسرة أو تغير خصائص بعض أعضائها مثل كبر سن الأبناء واستقلالهم النسبى عن آبائهم إلى تغير نمط العلاقات المتبادلة بينهم جميعاً ، أتى تغير البنائى الاجتماعى للأسرة ككل ، ويتضمن النسق الأسرى عدة مكونات لعل من أهمها :

- السلطة الوالدية التى يملكها الآباء لأنهم مصدر الثواب والعقاب ، وعادة ما يحدث تغيرات فى إدراك الأبناء لمعنى وصلاحيات هذه السلطة بتقدمهم فى العمر واتساع آفاق تعاملهم مع الآخرين ، وربما يحدث تغير حقيقى فى طبيعة

السلطة الوالدية وما تستخدمه من أساليب نتيجة لكبر سن الوالدين أو غياب أحدهما والاستفادة من الخبرات السابقة فى التربية وتغير اتجاهاتهما .

- الأساليب الوالدية الخاصة بمعاملة الأبناء وما يحكمها من قيم وأهداف وفلسفة عامة (سواء وعى بها الآباء أو لم يعوا) ، وتختلف هذه الأساليب باختلاف مواقف التنشئة الاجتماعية كما تبين عند مناقشة الفطام والتدريب على ضبط الإخراج ، وتختلف أيضاً باختلاف جنسى الطفل وعمره وشخصيته ، إن العبرة فى روح هذه الأساليب وتحقيقها لأهدافها السياسية بصرف النظر عن شكلها .
- القدوة والنموذج : إذ يظل الآباء بالنسبة لأبنائهم قدوة لسلوكهم ونماذج للمحاكاة والتوحد وإن اختلف الأبناء فى نظرتهم إلى هذه القدوة وتمسكهم بها بتقدمهم فى العمر ، كأن يظلوا بمثابة الأطر المرجعية لسلوكهم ومصدر أساسى للمعايير الاجتماعية خصوصاً فى المراحل الأولى من نمو الطفل ، وينطبق ذلك بصفة خاصة على مراحل الطفولة الأولى .
- الضبط والتوقعات : إن غاية ما يسعى إليه الطفل هو أن يكون عند حسن ظن والديه به ، وأن يفعل ما يعتقد أنه متوقع منه سواء فى وجودهما أو غيابهما (مفهوم الضمير) ، ومما يحفز الطفل على أن يكون كذلك قدر ما يشعر به من حب

متبادل معهما وقدر تقبله منهما ، إنها أقرب ما تكون " بالمقاصة المالية " فبقدر ما يمنح الآباء أطفالهم من حب ويشعرونهم بالتقبل ، بقدر ما يكون الأبناء طوع بنانهم وحرصهم على أن يكونوا عند حسن ظنهم بهم ، يضاف إلى ذلك التوقع المتبادل بين الأبناء والآباء ودوره فى ضبط السلوك ، فعندما يتوقع الآباء من أبنائهم مسلكاً وتصرفات محددة ويطالبونهم بذلك فإن هذا التوقع لا يصدق إلا إذا صدق توقعات الأبناء من آبائهم .

وهكذا يتبين من هذا العرض أن الأسرة مجال حيوى بالغ التأثير فى النمو النفسى والاجتماعى للطفل ، والذى يبلغ ذروته خلال هذه المرحلة وإن كان يقل تأثيره بالتدريج كلما تقدم الصغير فى السن واتسعت دائرة معاملاته مع الآخرين ، وتتشكل الشخصية الأساسية للطفل خلال السنوات الست أو السبع الأولى مكن عمره بناء على هذا التأثير المبكر للوالدين وأساليب تنشئتهما الاجتماعية .

وتأخذ جماعة الرفاق فى منافسة الأسرة فى مجالها الحيوى على مطلع هذه المرحلة ، إذ بحكم الاستقلال النسبى للطفل عن والديه وتعلمه المشى ورغبته فى اكتشاف معالم بيئته ، يجد فى أنداده من الأطفال الآخرين مجالاً جديداً ورحباً للتفاعل واللعب والمشاركة الاجتماعية دون رقابة صارمة من الوالدين ودون قواعد ونظام مقيد

لحريته وتلقائيته ، بيد أن جماعة الرفاق فى هذه المرحلة العمرية المبكرة تكاد أن تقتصر وظيفتها عند الطفل على اللعب فى هذه المرحلة العمرية المبكرة تكاد أن تقتصر وظيفتها عند الطفل على اللعب

فى بيئته (داخل منزله) أو فى مجال محايد (الحضانة ، النادى ، الشارع ، الجيران) يكتسب باستمرار جاذبية خاصة بالنسبة له ، وسوف نناقش تفصيلاً فى مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة الدور المتعاظم لهذه الجماعة ومنافستها للأسرة فى توجيه سلوك الطفل .

لقد أوضحنا فى الفصل السابق أهم مواقف التنشئة الاجتماعية التى تقابل الطفل فى مرحلة المهد وما توصلنا إليه من نتائج فى البيئة المصرية ، وعلينا أن نناقش الآن أهم الموقف التى تواجه الطفل فى هذه المرحلة .

١ – مواقف التدريب على النظام :

بلغ متوسط العمر الذى يتقن فيه أطفال الحضر كل العمليات المتعلقة بالتدريب على النظام ٥.٤ سنة تقريباً (٥.٧١ فى الطبقة الدنيا مقابل ٥.٠٣ سنة فى الطبقة المتوسط والعليا) بينما لا يوجد تحديد قاطع لهذا السن فى الريف ، ويمكن القول بأن ملامح الشخصية الاجتماعية للطفل المصرى تزهر بوضوح خلال العام الخامس من عمره وإن كانت تبكر فى الظهور كلما ارتفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لأسرته ، أما فى الريف فإن الوعى بظهور

هذه الملامح كما يقرره الوالدان يكاد أن يكون غير محدد ، وترجع أهمية هذا السن إلى أنه مؤشر مناسب للنضج الاجتماعى للطفل المصرى (فى الحضر) ولتمثله المعايير الاجتماعية للسلوك ، وتفيد ما توصلنا إليه من نتائج أن الأساليب الإيجابية المبكرة لتدريب الطفل على هذه المواقف يرتبط بمعامل موجب دال قدره ٠.٤٥ بسمة التوافق الاجتماعى للطفل ، كما يرتبط أيضاً بسمة التحرر من الميول العدوانية المضادة للمجتمع بمعامل موجب دال قدره ٠.٣٣ وهذه السمة ضرورية أيضاً للتوافق الاجتماعى للطفل ، لأنها تتضمن امتثاله أو مسايرته للمعايير التى وضعها المجتمع ولا يتأتى هذا الامتثال إلا إذا تدرب الطفل مبكراً وبالأساليب المناسبة على تشرب هذه المعايير .

٢- التدريب على ضبط السلوك فى مواقف العدوان :

عدوان الأطفال ظاهرة نمائية عامة تعكس حيوية الطفل ورغبته فى مواجهة ما يقف فى سبيل تحقيق حاجاته ، كما أنه رد فعل طبيعى لأى إحباط يواجهه فى حياته اليومية سواء داخل الأسرة أو خارجها ، وما أكثر مواقف الإحباط التى يواجهها الطفل خصوصاً عندما يكون فى مرحلة اكتساب معايير السلوك الصحيح والخطأ والصواب ، إذ على الوالدين تدريب الطفل كيف يتصرف حيال هذه المواقف وكيف يكبح عدوانه ويحول طاقاته إلى أساليب تعبيرية يقبلها

المجتمع ، إن التدريب على مواقف العدوان لا يهدف إلى اقتلاع العدوان من شخصية الطفل ، لأنه ضرورى جداً – كطاقة حيوية تعين على تحدى الصعاب ومواجهة الاحباطات – لتوافق الطفل مع نفسه والآخرين ، إنما يهدف إلى توجيه العدوان وتعديل أسلوبه وطابعه الفطرى إلى أسلوب اجتماعى مقبول .

ويبدو أن الأسلوب الشائع فى الحضر على تدريب الطفل فى المواقف التى يبدى فيها عدوناً هو العقاب بأنواعه المختلفة سواء البدنى أو اللفظى أو الحرمان من الامتيازات والمكافآت ، ويمثل هذا الأسلوب ٣٦٪ تقريباً من مجموع الأمهات فى عينة الدراسة (٤٤٪ من الطبقة الدنيا مقابل ٢٩٪ فى الطبقة المتوسطة والعليا) ، ثم أسلوب النصح والإرشاد والحث على الهدوء وضبط النفس ويمثل ٣٥٪ (٢٤٪ فى الطبقة الدنيا مقابل ٤٩٪ فقى الطبقة العليا والمتوسطة) يلى ذلك أسلوب الزجر والتأنيب ١٨٪ (٢٤٪ فى الطبقة الدنيا مقابل ١٠٪ فى الطبقة المتوسط والعليا) وتمثل النسب الباقية أساليب مختلفة مثل تجاهل العدوان وترك الطفل على حريته ، يختلف الأمر فى الريف ، إذ يطغى أسلوب العقاب البدنى كأسلوب شائع ، يلى ذلك الزجر والتأنيب ، ويأتى فى المرتبة الأخيرة أسلوب النصح الإرشاد والتعويد على ضبط النفس ، إن الأم الريفية بالغة التشدد مع أطفالها إزاء مواقف العدوان ، لكن الاتجاه الغالب على معظم الأمهات والآباء فى مصر هو عدم تحبيذ العدوان مهما كان

شكله الاجتماعى وحث الطفل على ضبط نفسه والتسامح والسلام حتى وإن كان مظلوماً ، إن قيمة " الطيبة " هى التى تدفع الآباء للتشدد مع أطفالهم فى مواقف العدوان حتى وإن كان ذلك فى غير مصلحة الطفل وعلى حساب بعض حقوقه ، وكثيراً ما يعبر الآباء – صراحة – بأنه لا يقبلون أبداً أن يكونوا أبناؤهم عدوانيين أو ظالمين ، ويتمنون أن يكونوا مسالمين " طيبين " حتى وإن اقتضى ذلك التغاضى عن بعض الحقوق !! .

وتفيد النتائج التى توصلنا إليها أن تشدد الوالدين فى تدريب الطفل على ضبط العدوان وحرامانه من التنفيس عن مشاعر الإحباط والظلم يرتبط ارتباطاً سلبياً بالكثير من سمات شخصية الطفل ، بينما يرتبط تسامح الوالدين إزاء عدوان الطفل وتفهمهما لدوافعه وإتاحة فرص التنفيس والتعبير عن الإحباط ورد المعتدى ، يرتبط ارتباطاً موجباً دالاً بسمة الاكتفاء الذاتى والثقة بالنفس بمعامل كبير قدره ٠.٦٢ مما ينعى أن هذا التسامح والحث على رد العدوان يقوى من استقلال الطفل ويدفعه للثقة بنفسه ومواجهة المشاكل بروح التحدى ، دون أن يكون ذلك على حساب " الطيبة " التى ينشدها الوالدان أو على حساب أن يعيش فى سلام ووئام مع الآخرين طالما أن الآخرين كذلك .

كما يرتبط هذا التسامح مع سمة التحرر من القلق بمعامل قدره ٠.٤٩ مما يعنى أن التشدد مع الطفل فى كبح عدوانه ودفعه

للاستسلام من شأنه أن يستثير فى نفسه القلق والخوف والتردد ، وبديهى أن شعور الطفل بأن ما يقع عليه من عدوان لا يستطيع درءه أو حتى مواجهته يمثل أقصى درجات القلق من المجهول ، وهكذا بالنسبة لسمة التحرر من الميول المضادة للمجتمع ٠.٥٤ والموضوعية ٠.٤٤ والمبادأة ٠.٤٤ وغيرها من السمات .

إن تسامح الآباء مع أبنائهم فى مواقف العدوان وحثهم على رد العدوان بالمثل والظهور بمظهر المدافع عن حقوقه مهما كلفه ذلك من أمر ، من شأنه أن ينمى شخصياتهم على نحو إيجابى ويساعدهم على التوافق واكتساب القدرة على مواجهة المواقف المشكلة والاعتماد على أنفسهم فى حلها ، بينما يؤدى التشدد وكبح التعبير عن العدوان والحث على المسألة حتى وإن كان ذلك على حساب التنازل عن بعض الحقوق ، يؤدى إلى استثارة القلق والتبعية والاعتماد على الآخرين وضعف الثقة فى الذات والسلبية والخنوع ، وهذه السمات السلبية تظهر شكل أوضح على أطفالنا فى الريف .

الفصل السادس

الطفولة الوسطى MIDDLE CHILDHOOD

(٦-٩ سنوات)

" المرحلة الابتدائية – الصفوف الثلاثة الأولى "

يدخل الطفل فى هذه المرحلة المدرسة الابتدائية أما قادماً من المنزل مباشرة أو منتقلا من دار حضانة أو روضة أطفال.

وتتميز هذه المرحلة بما يلى :

- **اتساع الأفاق العقلية المعرفية وتعلم المهارات الأكاديمية فى القراءة والكتابة والحساب .**
- **تعلم المهارات الجسمية اللازمة للألعاب وألوان النشاط العادية .**
- **اطراد وضوح فردية الطفل ، واكتساب اتجاه سليم نحو الذات .**
- **اتساع البيئة الاجتماعية والخروج الفعلى إلى المدرسة والمجتمع والانضمام لجماعات جديدة واطراد عملية التنشئة الاجتماعية .**
- **توحد الطفل مع دوره الجنسى .**
- **زيادة الاستقلال عن الوالدين .**

النمو الجسمى :

هذه هى مرحلة النمو الجسمى البطئ المستمر، ويقابله النمو السريع للذات. وفى هذه المرحلة تتغير الملامح العامة التى كانت تميز شكل الجسم فى مرحلة الطفولة المبكرة .

مظاهره :

تكون التغيرات فى جملتها تغيرات فى النسب الجسمية أكثر منها مجرد زيادة فى الحجم .

وتبدأ سرعة النمو الجسمى فى التباطؤ ويصل حجم الرأس إلى حجم رأس الراشد ويتغير الشعر الناعم ليصبح أكثر خشونة .

أما عن الطول ، فنجد أنه فى منتصف هذه المرحلة (عند سن الثامنة) يزيد طول الأطراف حوالى ٥٠٪ من طولها فى سن الثانية ، بينما طول الجسم نفسه يزيد فى هذه الفترة بحوالى ٢٥٪ فقط .

وتبدأ الفروق الجسمية بين الجنسين فى الظهور .

وتتساقط الأسنان اللبنية وتظهر الأسنان الدائمة (تظهر فى السنة السادسة أربعة أنياب أولى ، وفى السنوات من السادسة إلى الثامنة تظهر ثمانية قواطع .

ويزداد الطول بنسبة ٥٪ فى السنة .

ويزداد الوزن بنسبة ١٠٪ فى السنة .

الفروق بين الجنسين :

الذكور أطول قليلاً من الاناث ، بينما يكاد الجنسان يتساويان فى الوزن فى نهاية هذه المرحلة .

العوامل المؤثر فيه :

يتأثر النمو الجسمى بالظروف الصحية والمادية والاقتصادية ، فكلما تحسنت هذه الظروف كان النمو أفضل مما إذا ساءت هذه

الظروف . ويؤثر الغذاء أيضاً من حيث كمه ونوعه على النمو الجسمى للطفل وما يقوم به من نشاط .

ملاحظات :

تعتبر الطفولة الوسطى مرحلة تتميز بالصحة العامة وينخفض معدل الوفيات ابتداء من هذه المرحلة ، ويعتبر أقل منه فى أى مرحلة أخرى من مراحل العمر .

ويلاحظ أنه مع دخول المدرسة يصبح الأطفال أكثر عرضة لبعض الأمراض المعدية مثل الحصبة والنكاف والجدرى . ومن هنا تبرز أهمية التطعيم ضد هذه الأمراض .

وتؤثر المشكلات الصحية ونقص التغذية وتأخر النمو الجسمى والعيوب الجسمية فى التحصيل الدراسى والتوافق المدرسى وتعوق النشاط وفرص التعلم وفرص اللعب . وتشير الدراسات إلى ميل الأطفال الموهوبين عقلياً إلى التفوق فى نموهم الجسمى طولا ووزنا ، وفى سن المشى وفى الصحة العامة ، وكذلك فى الدرجات المدرسية وفى درجات اختبارات التحصيل .

ويلاحظ أن الأطفال الأضخم والأقوى جسميا بالنسبة لسنهم يكون توافقهم الاجتماعى أفضل من رفاقهم الأقل ضخامة وقوة والذين لا يستطيعون الاشتراك بنجاح فى الألعاب الجماعية .

ولا يفهم من هذا أن الأطفال الأصغر حجما والأقل قوة يكون توافقهم الاجتماعى بالضرورة سيئاً ، فكثير منهم وخاصة الذين يتمتعون بالثقة فى النفس يتمتعون بتوافق اجتماعى لا بأس به .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **تكوين عادات العناية بالجسم والنظافة .**
- **ملاحظة زيادة حجم الجسم أو نقصه ، وسرعة نموه أو بطئه بالنسبة للعمر الزمنى ، ومدى توازن النمو الجسمى مع مظاهر النمو الأخرى .**
- **تأمين البيئة والتخلص من العوامل الخطرة فيها ، واتخاذ الاحتياطات الخاصة بالسلامة وتجنب الحوادث .**
- **توفير فرص التعليم والارشاد العلاجى والتربوى والمهنى الملائم للمعوقين جسميا بما يتناسب مع حالتهم .**

النمو الفسيولوجى :

يطرد النمو الفسيولوجى فى استمرار وهدوء .

مظاهره :

- **يتزايد ضغط الدم ويتناقص معدل النبض .**
- **ويزداد طول وسمك الألياف العصبية وعدد الوصلات بينها .**
- **ويحتاج الطفل النامى إلى غذاء أكثر .**
- **ويقل عدد ساعات النوم بالتدريج ، ويكون متوسط فترة النوم على مدار السنة فى سن ٧ سنوات حوالى ١١ ساعة .**

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **العناية بالتغذية فى المنزل ، والوجبات المدرسية المستوفاة للشروط الصحية ، والاستمرار فى تعليم الطفل متى وكيف وماذا يأكل بحيث يختار غذاءه المناسب المتكامل فى حرية تامة .**
- **الاهتمام بعادات النوم السليمة .**

النمو الحركي :

يشاهد لدى طفل المدرسة الابتدائية الكثير من النمو الحركى .

مظاهره :

تنمو العضلات الكبيرة والعضلات الصغيرة . ويحب الطفل العمل اليدوى ويحب تركيب الأشياء وامتلاك ما تقع عليه يداه . ويشاهد النشاط الزائد وتعلم المهارات الجسمية والحركية اللازمة للألعاب مثل لعب الكرة وألوان النشاط العادية كالجرى والتسلق والرفس ونط الحبل والتوازن كما فى ركوب الدراجة ذات العجلتين فى حوالى السابعة . وفى نهاية هذه المرحلة يستطيع العوم ويستمر نشاط الطفل حتى يتعب .

وتتهذب الحركة وتختفى الحركات الزائدة غير المطلوبة ، ويزيد التآزر الحركى بين العينين واليدين ويقل التعب وتزداد السرعة والدقة ويتبع ذلك نوع من الرضا الانفعالى بسبب تحصيل هذه المهارة . فهو

فـى نهايـة هـذه المرحلـة يسـتطيع اسـتخدام بعـض الأدوات والآلات ويسمح له بذلك .

ويستطيع الطفل أن يعمل الكثير لنفسه ، فهو يحاول دائما أن يلبس ملابسه بنفسه ويرعى نفسه ويشبع حاجاته بنفسه .

ويسـتطيع الطفـل الكتابـة ، ويلاحـظ أن كتابتـه تبـدأ كبيـرة ثـم يستطيع بعد ذلك أن يصغر خطه . ويتأكد تماما تفضيل الطفل لاحدى يديه فى الكتابة .

ويستخدم طين الصلصال فى تشكيل أشكال أكثر دقة من تلك التـى كـان الطفل يستطيع تشكيلها فـى المرحلـة السـابقة ، إلا أنهـا لا تزال غير دقيقة بصفة عامة .

ويزداد رسم الطفل وضوحا ، فهو يستطيع أن يرسم رجلا ومنزلا وشجرة ومـا شـابه ذلـك ونجده يحب الرسم بـالألوان . ومـن ثـم يمكـن استخدام اختبار رسم الرجل فى قياس الذكاء ، وكذلك يستخدم اختبار رسم المنزل والشجرة والشخص .

الفروق بين الجنسين :

تتميز حركات الذكور بأنها شاقة عنيفة كالتسلق والجرى ولعب الكرة ، وتكون حركات الاناث أقل كما وكيفا .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **رعاية النمو الحركى وتنمية امكانات النمو الحركى عن طريق التدريب المستمر .**

- **تنظيم ممارسة الألعاب الجماعية للأطفال الكسولين ثقيلى الحركة .**
- **تجنب توقع قيام الطفل بالعمل الدقيق الذى يحتاج إلى مهارة الأنامل .**
- **إعداد الطفل للكتابة وذلك بتعويده مسك القلم والورقة ورسم أى خطوط فى بادئ الأمر ثم تعليمه رسم الخطوط المستقيمة الرأسية ثم الأفقية وذلك قبل أن يبدأ الكتابة . ويجب ألا نتوقع أن يكتب الطفل خطا صغيرا وأن يرسم رسما مفصلا فى الصف الأول الابتدائى .**
- **خطورة اجبار الطفل الأيسر على الكتابة باليد اليمنى حتى لا يؤدى ذلك إلى اضطراب نفسى عصبى .**
- **أن يكون فناء المدرسة واسعا بما يسمح بالحركة والنشاط .**
- **أن تكون مقاعد التلاميذ مصممة بحيث تتيح حرية الحركة الجسمية (كأن تكون المقاعد متحركة) .**
- **ألا يتضايق المدرس من كثرة حركة الأطفال فى الفصل فنشاطهم الحركى الزائد بحكم مرحلة النمو .**
- **استغلال رسوم الأطفال (كلغة غير لفظية) فى التشخيص .**

النمو الحسى :

يشاهد فى هذه المرحلة تطور فى النمو الحسى وخاصة فى الادراك الحسى، يتضح تماما فى عملية القراءة والكتابة .

مظاهره :

ينمو الادراك الحسى عن المرحلة السابقة . فيلاحظ فى ادراك الزمن أن الطفل فى سن السابعة يدرك فصول السنة . وفى سن الثامنة يدرك شهور السنة ، ويدرك الطفل المدى الزمنى للدقيقة والساعة والأسبوع والشهر ، وينمو ادراك المسافات أكثر من المرحلة السابقة . ويتوقف ادراك الوزن على مدى سيطرة الطفل على أعضائه وعلى خبرته بطبيعة المواد التى تتكون منها الأجسام – وتزداد قدرته على ادراك الأعداد فيتعلم العمليات الحسابية الأساسية (الجمع ثم الطرح فى سن السادسة ثم الضرب فى سن السابعة ثم القسمة فى سن الثامنة) . ويستطيع الطفل ادراك الألوان . أما عن ادراك أشكال الحروف الهجائية فيلاحظ أنه قبل سن الخامسة يتعذر على الطفل أن يميز بين الحروف الهجائية المختلفة ، ومع بداية المدرسة الابتدائية تظهر قدرته على التمييز بين الحروف الهجائية المختلفة الكبيرة المطبوعة ويستطيع تقليدها ، إلا أنه يخلط فى أول الأمر بين الحروف المتشابهة مثل : ب – ت – ث ، ج – ح – خ ، د – ذ ، ر – ز ، س – ش ، ص – ض ، ط – ظ ، ع – غ .

ويستمر السمع فى طريقه إلى النضج ، إلا أنه مازال غير ناضج تماما . ويظل البصر طويلا فى حوالى ٨٠٪ من الأطفال . بينما يكون ٣٪ فقط لديهم قصر نظر ، ويزداد التوافق البصرى . وتكون حاسة اللمس قوية (أقوى منها عند الراشد) .

وتدل بعض البحوث حول الحاسة الكيميائية أن التمييز الشمى للطفل فى سن السابعة لا يختلف كثيرا عن تمييز الراشد .

ملاحظات :

تعتبر الطريقة الكلية فى تعليم القراءة أنسب فى هذه السن من الطريقة الجزئية ، فالطفل فى هذه السن يشبه الفنان (ادراك كلى) أكثر مما يشبه العالم (ادراك جزئى) . والطريقة الكلية طريقة طبيعية تسير مع طبيعة عملية الادراك ونموها . فالانسان إذا رأى شيئا جديدا انشغلت حواسه وعقله بالصورة العامة الكلية لهذا الشئ ، أولا ، ثم أخذ فى تبين الأجزاء والتفاصيل المميزة بالتدريج . أن الطفل يدرك كلمة " بابا " قبل أن يدرك أجزاءها "ب . أ.ب.أ ".

ويستطيع الطفل تذوق الإيقاع الموسيقى إلا أنه لا يتذوق بعد الأغنية أو اللحن . ويستطيع وصف الصور تفصيلا ويدرك بعض العلاقات فيها .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **الاعتماد فى التدريس على حواس الطفل . وتشجيع الملاحظة والنشاط واستعمال الوسائل السمعية والبصرية فى المدرسة على أوسع نطاق .**
- **رعاية النمو الحسى واستخدام الحواس فى خبرات مناسبة .**
- **توسيع نطاق الادراك عن طريق الرحلات إلى المتاحف والمعارض وغير ذلك . ويمكن للمدرس أن يحسن دقة الادراك عن طريقة تنمية دقة الملاحظة وادراك أوجه الشبه والاختلاف بين الأشياء ، ودقة ادراك الزمن والمسافات والوزن والألوان ... إلخ .**
- **ملاحظة أن تكون كتب القراءة مصورة وخطها كبيرا .**

النمو العقلى :

يؤثر الالتحاق بالمدرسة فى نمو الطفل . والمدرسة هى المؤسسة التربوية الرسمية التى وكلها المجتمع بثقافته لتقوم بعملية التربية والتعليم والسلوك القويم القائم على القيم والمعايير الاجتماعية التى تحددها ثقافة المجتمع . ويلاحظ هنا أهمية وأثر اليوم الأول أو الأيام الأولى فى المدرسة حين تتم بالفعل عملية الانتقال من المنزل إلى المدرسة حيث حياة جديدة وخبرات جديدة . إن الذهاب إلى المدرسة يعتبر بداية رحلة تعليمية طويلة سوف تنتهى بالطفل إلى راشد . وتلعب المدرسة دورا هاما فى حياة الطفل حيث تعلمه أنماطا كثيرة من السلوك الجديد والمهارات الأكاديمية وتوسع حصيلته الثقافية

وتمكنه من ممارسة العلاقات الاجتماعية فى ظل إشرافها وتوجيهها . والمدرسة فى نفس الوقت تتطلب قدرا مناسبا من استعداد الطفل وإعداده للتوافق مع الحياة الجديدة . ويلاحظ ان اتجاهات الأطفال نحو الالتحاق بالمدرسة تكون عادة إيجابية . فالغالبية منهم يدخلون المدرسة بشغف ولهفة وبعد طول انتظار وفى نفس الوقت يلاحظ أن قلة منهم لا يرحبون هذه الخبرة الجديدة . ويظهر ذلك فى شكل بعض المشكلات السلوكية كالتعلق بوالديهم والباء عدما يتركونهم فى المدرسة ويهمون بالانصراف . ويكون يومهم الأول فى المدرسة يوما يسوده البكاء والانعزال ومحاولة العودة إلى المنزل . وربما يرجع ذلك إلى قلة التعود على البقاء مع جماعة أكبر من الأطفال أو التعامل مع راشد غريب أو الخوف من عقاب المدرس كما يكون قد سمعه من بعض سابقيه .

ولا بد من التأكيد على قيام الأم بزيارة مع طفلها إلى المدرسة قبل بدء دخولها فعلا أو مكث الأم مع طفلها لمدة ثلث ساعة مثلا فى بداية أول يوم فى المدرسة لأن ذلك يخفف من ردود الفعل الانفعالية للانفصال عن الأم فى أول يوم يدخل فيه الطفل المدرسة .

مظاهرة :

يستمر النمو العقلى بصفة عامة فى نموه السريع . ومن ناحية التحصيل يتعلم الطفل المهارات الأساسية فى القراءة والكتابة والحساب ويهتم التلميذ بمواد الدراسة ويحب الكتب والقصص . وفى نهاية هذه المرحلة يشاهد انشغال الطفل فى قراءات خاصة فى وقت

الفراغ . ويلاحظ هنا أهمية التعلم بالنشاط والممارسة . ويجب الاهتمام بالتحصيل فى هذه المرحلة ،حيث أن التحصيل فى هذه المرحلة يعتبر دليلا مقبولا للتنبؤ بالتحصيل فى المستقبل خلال مرحلة المراهقة والرشد .

ويطرد نمو الذكاء ويستخدم اختيار رسم الرجل فى تقدير الذكاء . وجد أن الطفل يستطيع رسم رجل وأن هناك فروقا فردية بين الأطفال فيما يتعلق بالتفصيلات التى تحتويها رسومعم ، وأن هناك علاقة بين هذا وبين درجة ذكائهم ، فكلما كثرت تلك التفاصيل دل ذلك على ذكاء الطفل .

أما عن التذكر فإنه ينمو من التذكر الآلى إلى التذكر والفهم (يتذكر الطفل ٥ أرقام فى سن ٧ سنوات) وتزداد قدرة الطفل على الحفظ (يستطيع حفظ حوالى ١٠ أبيات من الشعر فى سن السابعة و ١١ بيتا فى سن الثامنة و ١٣ بيتا فى سن التاسعة)

ويزداد مدى الانتباه ومدته وحدته ، إلا أن طفل السابعة ما زال لا يستطيع تركيز انتباهه فى موضوع واحد مدة طويلة وخاصة إذا كان موضوع الانتباه حديثا شفهيا .

وينمو التفكير من تفكير حسى نحو التفكير المجرد (أى تفكير لفظى مجرد ، تفكير فى معانى الكلمات) . فطفل السابعة يستطيع ان يجيب على بعض الأسئلة المنطقية البسيطة ويستعمل الاستقراء بمعناه الصحيح . ويميل إلى التعميم السريع وينقاد فى تعميمه هذا

من حالة فردية مرت به إلى معظم الحالات . وينمو التفكير الناقد . وفى نهاية هذه المرحلة يلاحظ أن الطفل نقاد للآخرين حساس لنقدهم .

وينمو التخليل من الإيهام إلى الواقعية والابتكار والتركيب ، وينمو اهتمام الطفل بالواقع والحقيقة .

وينمو حب الاستطلاع عند الطفل . ويزداد حب الاستطلاع لديه كلما كانت مشاعره الوالدين نحوه إيجابية ومحاذيرهم بالنسبة لسلوكه قليلة وكلما اهتما بتقديم الجديد للطفل واهتما باستطلاع الجديد حتى يقلدها .

ويميل الطفل إلى استماع الحكايات والقصص والاستماع للراديو ومشاهدة التليفزيون والسينما .

ويتضح فهم الطفل للنكت والطرائف . حيث أن هناك علاقة واضحة بين اطراد النمو العقلى فى هذه المرحلة وبين زيادة فهم الأطفال للنكتة وفهم الطرائف .

أما عن نمو المفاهيم ، ففى بداية هذه المرحلة يلاحظ أن الطفل مازال متمركزا حول ذاته ، ومازالت معظم مفاهيمه غامضة وبسيطة . وخلال المرحلة تحدث تغيرات هامة نلخصها فيما يلى :

- التقدم من المفاهيم البسيطة نحو المفاهيم المعقدة .
- التقدم من المفاهيم غير المتمايزة نحو المفاهيم المتمايزة .

- **التقدم من المفاهيم المادية والمحسوسة والخاصة نحو المفاهيم المجردة والمعنوية والعامة .**
- **التقدم من المفاهيم المتغيرة نحو المفاهيم الأكثر ثباتا .**

الفروق بين الجنسين :

فى بداية هذه المرحلة تتميز الإناث عن الذكور فى الذكاء بحوالى نصف سنة .

العوامل المؤثرة فيه :

يؤثر المستوى الاجتماعى الاقتصادى للأسرة ، والمدرسة ، ووسائل الإعلام تأثيراً واضحا فى النمو العقلى . فمثلاً يؤدى المستوى الاجتمااعى الاقتصادى المنخفض (مع العوامل الأخرى) إلى إعاقة نمو الذكاء . ويرجع ذلك إلى قلة ومحدودية فرص التعليم ونقص التشجيع من ناحية الوالدين ونقص الأثارة العقلية فى المنزل . وقد لوحظ ان الخلفية الاجتماعية الاقتصادية المنخفضة تؤثر على هذا النمو ملحوظ عند الأطفال ذوى القدرات المتوسطة والمنخفضة رغم أنها تعوق تقدم الأطفال ذوى الذكاء المرتفع .

وقد وجد أن سلوك الإنجاز (التحصيل) فى هذه المرحلة يشجعه ويدعمه التعزيز الاجتماعى (المدح والثناء بصفة خاصة) ، بل أن التعزيز الاجتماعى يعتبر أحد أهداف الأطفال ، ويسعون لتحقيقه عن طريق سلوك الإنجاز .

وتؤكد الدراسات الحديثة أن النمو العقلى يرتبط بالنمو الاجتماعى والانفعالى. فالأطفال الذين يظلون يعتمدون على والديهم

يكون تقديمهم العقلى أقل من أولئك الذين يقطعون شوطا أكبر فى طريق الاستقلال الاجتماعى والانفعالى . كذلك فإن الأطفال الذين يعانون من القلق يكون تحصيلهم ونموهم العقلى بصفة عامة أضعف من رفاقهم الذين لا يعانون من القلق .

ملاحظات :

يلتحق الأطفال – قانوناً – بالمدرسة الابتدائية حسب العمر الزمنى فقط دون اعتبار للعمر العقلى ونسبة الذكاء والاستعداد . ويوجد العديد من اختبارات الاستعداد التى يجب استخدامها قبل إلحاق الطفل بالمدرسة الابتدائية [1] .

وتعتبر المدرسة بديلة للأم . فالمعلم الأول للطفل يكون غالباً ، وهو يستجيب لها كما لو كانت بداية للأم . وتلعب المدرسة دوراً خطيراً فى تشكيل شخصية الطفل فى هذه المرحلة من النمو .

وفى المدرسة يكلف المدرسون الأطفال بعمل الواجبات المنزلية . وقد تكون هذه الواجبات مناسبة أو قليلة أو كثيرة أو سهلة أو صعبة بالنسبة للطفل ومن وجهة نظر الوالدين . ولكن الفيصل هنا هو استعداد الطفل وإمكاناته العقلية واتجاهات والديه ومربيه نحو العملية التربوية . وعلى العموم فإن الهدف من الواجبات المنزلية يجب ان يكون تعزيز وإثراء ما يحصله الطفل فى المدرسة ، ووصل المدرسة بالمنزل ويجب أن تشتمل على زيادة ومناقشات ومتابعة

([1]) من أمثلتها : اختبار الاستعداد : إعداد مصطفى فهمى .

البـرامج التعليميــة فــى التليفزيــون . ويجــب ألا يكــون الهــدف مــن الواجبات المنزلية مجرد شغل الطفل .

ويجب أن يكون واجب الوالدين هو تهيئة الظروف المناسبة للطفل الذى عليه وحده مسئولية عمل الواجب المنزلى ، ومساعدته فى أقل الحدود وحين تكون هذه المساعدة مطلوبة وضرورية . ويجب أن تكون طريقة الوالدين فى مساعدة الطفل فى عمل الواجب المنزلى مماثلة بقدر الإمكانية لطريقة المدرسين حتى لا يتشتت الطفل بين طرق شتى فى العملية التربوية . هذا ويجب ألا يقع الوالدين فى خطأ عمل الواجب نيابة عن الطفل أو تعوده عدم عمل الواجب إلا وهم بجواره ، أو تقييد حريته بحجة عمل الواجب إلى آخر هذه الأخطاء الشائعة . وإذا كان الواجب المنزلى فوق مستوى إمكانات الطفل فهنا يجب أن يجتمع الوالدين بالمدرس ويجب مناقشة الأمر معه .

ويدور حول النقل الالى فى المرحلة الابتدائية جدل ، إذ يجب أن يتم النقل فى ضوء نسبة الذكاء ونسبة التحصيل [1] لدى الطفل .

والتحصيل مظهر هام من مظاهر النمو العقلى للطفل وتؤثر عوامل مترابطة فى التحصيل . ولا يمكن الوصول إلى حقيقة أثر كل منها إذا تساوت العوامل الأخرى . فمثلا تدل الدراسات حول هذا الموضوع على أن التحصيل يرتبط بالمستوى الاجتماعى – الاقتصادى . فإذا تساوت العوامل الأخرى مثل حجم الأسرة وترتيب الفرد فى الأسرة

---

(1) نسبة التحصيل = $\frac{\text{العمر التحصيلى}}{\text{العمر الزمنى}} \times ١٠٠$

وأعمار الوالدين ... إلخ فغن الأفراد فى الطبقات الأعلى يكون تحصيلهم أعلى من تحصيل الأفراد فى الطبقات الأدنى .

وتختلف اختبارات التحصيل عن اختبارات الذكاء فى إنشائها وفى استعمالها. فاختبارات التحصيل تقيس مدى تعلم الطفل لأشياء معينة ، بينما اختبارات الذكاء تستخدم عينات معينة من التحصيل كدليل على مدى قدرة الطفل على التعلم عند مستوى معين من الصعوبة . وتفيد اختبارات التحصيل فى تشخيص حالة الطفل وتوجيهه فى المدرسة .

وتتضمن اختبارات الذكاء فقرات مثل :

- **سن ٧ سنوات : نقل رسم معين ، إعادة ثلاثة أرقام بالعكس ، معرفة أيام الأسبوع ، معرفة وجه الشبه بين شيئين ، حل مشاكل سهلة .**
- **سن ٨ سنوات : العد بالعكس (من ٢٠ – ١) ، إعادة جمل متوسطة الطول، معرفة اوجه الشبه والاختلاف بين شيئين ، اكتشاف السخافات اللفظية .**
- **سن ٩ سنوات : إعادة أربعة أرقام بالعكس ، معرفة أسماء الشهور ، اكتشاف السخافات اللفظية .**

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربيين مراعاة ما يلى :

- **أن الذى يحدد سن دخول الطفل المدرسة هو استعداده ، ولا يجب إجباره على عملية النمو والنضج .**

- انـه رغم ذهاب الطفل إلـى المدرسـة فإن المنـزل يجب أن يظل متحملا مسئولية كبيرة فـى نـواح معينـة من نمو الطفل كـالقيم الخلقية والدينية والنظام والصحة وغير ذلك من نـواحى النشاط فى تعاون مع المدرسة . ولا شك أو وراء كل طفل متفوق راشدا ذكيا .
- تنميـة الـدافع إلـى التحصيل بأقصى قدر تسمح بـه استعدادات الطفل .
- توفير المثيرات التربوية المناسبة للنمو العقلى السليم .
- تشجيع حب الاستطلاع عند الطفل وتنمية ميوله .
- جعل مستوى طموح الطفل متناسبا مع قدراته لا أكثر ولا أقل .
- مراعـاة الفـروق الفرديـة فـى قـدرات الأطفـال وتكييـف العمـل المدرسى حسب القدرات .
- الاهتمـام بقيـاس الـذكاء ، وتحديـد ذكـاء كـل طفـل ومسـتوى تحصيله حتـى يستفاد من ذلك فـى تقسيم التلاميذ فـى صفوف المدرسـة إلـى جماعـات متجانسـة عقليـاً بقـدر الإمكـان ، وفـى تـوجيههم التربـوى . وإنشـاء فصـول خاصـة لبطيئـى الـتعلم ، وإنشـاء فصـول ومـدارس خاصـة لضـعاف العقـول ، وفصـول ومـدارس خاصـة للمتفـوقين عقليـاً حتـى يمكـن رعـايتهم رعايـة تربويـة تناسـبهم مـع ضـرورة النظـر إلـى كـل مـن المتفـوقين والمتخلفين عقلياً على أنهم أطفال .

- **الاهتمام بالنمو العقلى للأطفال ذوى الاحتياجات الخاصة . وبذل جهود لإعداد اختبارات ومقاييس تساعد فى هذه الناحية .** [1]
- **تنمية الابتكار عند الطفل من خلال اللعب والرسم والأشغال اليدوية .**
- **التخفف من الاعتماد على التذكر الآلى ، وينبغى تأكيد هذا فى الكلمات والعبارات مع عدم إهمال تدريب الذاكرة عن طريق حفظ المحفوظات والأناشيد وقص القصص .**
- **تجنب الوقوع فى خطأ استعجال تكون المفاهيم وإقحامها على الطفل قبل الأوان فيردد الطفل كلمات جوفاء نحسبها مفاهيم قد تكونت .**
- **مساعدة الطفل فى تنمية تفكيره من الذاتية المركزية إلى الموضوعية النسبية على أن نتخفف من رعايتنا له عاما بعد عام حتى يعتمد على نفسه فى مشكلاته المختلفة . وحبذا لو واجهنا الطفل فى جميع مراحل نموه بمشكلات عقلية تتناسب فى درجة صعوبتها مع مستوى نضجه ، فلا تكون سهلة تمتهن تفكيره . ولا بصعبه تعجزه وتشعره بالفشل .**
- **الاهتمام بالتوافق المدرسى منذ الصف الأول وتكوين عادات الدراسة بالنسبة لاستفادة الطفل إلى أقصى حد من الخبرات**

---

(1) من أمثلة ذلك : اختبار ذكاء المكفوفين وضعاف البصر : إعداد : حامد زهران وفتحى عبد الرحيم ، القاهرة : المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين (وهو يتناسب المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية) .

التربوية التى تقدمها المدرسة ، وأهمية توفير الخبرات المباشرة فى المنهج .

- **النظر إلى الأطفال فى المدرسة على أنهم مواطنون صغار بدون أى تفرقة بالنسبة للمولد او الجنس أو الأصل أو اللون أو المستوى الاجتماعى أو اللغة أو الدين .**
- **تعاون الأسرة والمدرسة إلى أقصى حد ممكن . وتلعب مجالس الآباء والمعلمين دوراً كبيراً فى هذا الصدد وخاصة إذا كثرت المناسبات التى تجمع بين الأباء والمدرسين التى تجمع بين الأباء والمدرسين حيث يتناقشون معا حاجات الطفل النفسية ومدى تقدمه الدراسى وما قد يكون هناك من مشكلات .**
- **تعويد التلاميذ منذ هذه المرحلة على أن الإجازة الصيفية ليست إجازة من التحصيل وليست عطلة من التحصيل – خاصة وأنها تطول – حتى لا ينسوا ما حصلوا أثناء العام الدراسى السابق ، وحتى يستعدوا للعام الدراسى القادم .**

النمو اللغوى :

يعتبر النمو اللغوى فى هذه المرحلة بالغ الأهمية بالنسبة للنمو العقلى والنمو الاجتماعى والنمو الانفعالى .

مظاهرة :

يدخل الطفل المدرسة وقائمة مفرداته تضم أكثر من ٢٥٠٠ كلمة . وتزداد المفردات بحوالى ٥٠٪ عن ذى قبل فى هذه المرحلة .

وتعتبر هذه المرحلة مرحلة الجمل المركبة الطويلة . ولا يقتصر الأمر على التعبير الشفوى بل يمتد إلى التعبير التحريرى . وتنمو القدرة على التعبير اللغوى التحريرى مع مرور الزمن وانتقال الطفل من صف إلى آخر فى المدرسة ويلاحظ انه مما يساعد على طلاقة التعبير التحريرى التغلب على صعوبات الخط والهجاء .

أما عن القراءة فإن استعداد الطفل لها يكون موجودا قبل الإلحاق بالمدرسة، ويبدو ذلك فى اهتمامه بالصورة والرسوم والكتب والمجلات والصحف . وهناك عدة مؤشرات تشير إلى استعداد الطفل للقراءة . وهذه المؤشرات هى :

- السمع العادى (أو المصحح) .
- الإبصار العادى (أو المصحح) .
- مستوى الذكاء العادى (عمر عقلى من ٦ – ٦.٥سنوات) .
- التآزر الحركى (كما يستدل عليه من الرسم) .
- النمو السوى العادى للشخصية .
- النمو العادى للغة وفهمها .
- سلامة النطق .
- سواء السلوك بصفة عامة .
- الاهتمام بسماع القصص والقدرة على متابعتها .
- القدرة على تركيز الانتباه .
- القدرة على التوافق مع روتين المدرسة .

وتتطور القدرة على القراءة بعد ذلك إلى التعرف على الجمل وربط مدلولاتها بإشكالها ، ثم تتطور بعد ذلك إلى مرحلة القراءة الفعلية التى تبدأ بالجملة فالكلمة فالحرف . وعملية القراءة عملية مركبة معقدة تعتمد على الحركة والتفكير وغير ذلك من نواحى النمو العقلى . ويتقن الطفل القراءة الجهرية مثل اتقان القراءة الصامتة . ويلاحظ ان عدد الكلمات التى يستطيع الطفل قراءتها فى الدقيقة تزداد مع النمو . أى أن سرعة القراءة الجهرية تزداد مع انتقاله من صف دراسى إلى الصف الذى يليه . كذلك فإن عدد الأخطاء والقراءة الجهرية يقل مع الزمن . وتسير عملية القراءة الجهرية على النحو التالى : المثير (كلمة مثل "النمو") – أبصار – تسجيل المثير على شبكية العين – انتقال عبر العصب البصرى والأعصاب إلى مركز الإبصار فى المخ – انتقال من مركز الإبصار إلى المراكز الحركية الكلامية بالمخ – انتقال إلى الأعصاب المتصلة بالجهاز الكلامى (اللسان والشفة .. إلخ – تحرك أعضاء الجهاز الكلامى – تحدث الاستجابة وهى النطق بكلمة " نمو" . أما عن القراءة الصامتة فهى لا تقل أهمية فى حياة الطفل عن القراءة الجهرية . بل هى فى الواقع النوع الغالب من القراءة فى حياتنا . ويهتم العلماء بقياس القدرة على القراءة الجهرية والقراءة الصامتة [1] . ويتضح من الدراسات أن سرعة

(1) من أمثلة ذلك : اختبار سرس الليان فى القراءة الصامته للصفوف الأربعة الولى من المرحلة الابتدائية ، إعداد : محمود رشدى خاطر .

القراءة الصامتة تزداد مع النمو . ويستطيع الطفل فى هذه المرحلة تمييز المترادفات ومعرفة الأضداد .

وفى نهاية هذه المرحلة يصل نطق الطفل إلى مستوى يقرب فى إجادته من مستوى نطق الراشد .

الفروق بين الجنسين :

الإناث يسبقن الذكور ويتفوقن عليهم . ويرجع ذلك إلى سرعة الإناث عن الذكور خلال هذه السنوات ، وربما كذلك لأن الإناث يقضين وقتا أطول فى المنزل مع الكبار .

العوامل المؤثرة فيه :

كلما تقدم الطفل فى السن تقدم فى تحصيله اللغوى وفى قدرته على التحكم فى اللغة وكلما كان فى حالة صحية سليمة يكون أكثر نشاطا واكثر قدرة على اكتساب اللغة . والأطفال الذين يعيشون فى بيئة أعلى اجتماعيا واقتصاديا وافضل ثقافيا يكون نموهم اللغوى أفضل من الذين يعيشون فى بيئات أفقر .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربيين مراعاة ما يلى :

- **تشجيع الأطفال على الكلام والتحدث والتعبير الحر الطليق .**
- **تشجيع الاستعمال الصحيح للكلمات عن طريق تنمية عادة الاستماع والقراءة .**

- **أهمية النماذج الكلامية الجيدة التى تعتبر أساسا للنمو اللغوى فى المنزل والمدرسة .**
- **أهمية الخبرات العلمية فى النمو اللغوى .**
- **عدم الاسراف فى تصحيح أخطاء الأطفال اللغوية .**
- **الاكتشاف المبكر لأمراض الكلام مثل اللجلجة والتهتهة واللثغة وصعوبات الوضوح فى النطق ... إلخ . حتى يمكن علاجها .**

النمو الانفعالى :

تتهذب الانفعالات فى هذه المرحلة نسبيا عن ذى قبل ، تمهيدا لمرحلة الهدوء الانفعالى التالية .

مظاهره :

يلاحظ النمو فى سرعة الانتقال من حالة انفعالية على أخرى نحو الثبات والاستقرار الانفعالى إلا أن الطفل لا يصل فى هذه المرحلة إلى النضج الانفعالى ، فهو قابل للاستثارة الانفعالية ويكون لديه بواق من الغيرة والعناد والتحدى .

ويتعلم الأطفال كيف يشبعون حاجاتهم بطريقة بناءة أكثر من محاولة إشباعها عن طريق نوبات الغضب كما كان الحال فى المرحلة السابقة .

وتتكون العواطف والعادات الانفعالية ، ويبدى الطفل الحب ويحاول الحصول عليه بكافة الوسائل ، ويحب المرح ، وتتحسن علاقاته الاجتماعية والانفعالية مع الآخرين ، ويقاوم النقد بينما يميل إلى نقد الآخرين ، ويشعر بالمسئولية ويستطيع تقييم سلوكه

الشخصى . ويعبر الطفل عن الغيرة بمظاهر سلوكية منها الضيق والتبرم من مصدر الغيرة .

وتلاحظ مخاوف الأطفال بدرجات مختلفة . وتتغير مخاوف الأطفال فى هذه المرحلة ، فالخوف السابق من الأصوات والأشياء الغريبة والحيوان والظلام وغيرها يقل جداً ويكاد يختفى ليحل محله الخوف من المدرسة والعلاقات الاجتماعية وعدم الأمن اجتماعيا واقتصادياً . إلا أن بعض الأطفال يظل لديهم الخوف المكتسب من الكلام أو العسكرى . وقد نشاهد نوبات الغضب وخاصة فى مواقف الإحباط .

العوامل المؤثرة فيه :

تلعب الأسرة والمدرسة دوراً هاما فى تعليم السلوك الانفعالى للأطفال . ويساعد على الثبات والاستقرار الانفعالى عوامل منها :

- **اتساع دائرة الاتصال بالعالم الخارجى مما يؤدى إلى توزيع حياة الطفل الانفعالية على مختلف ما يحيط به من موضوعات وأفراد وجماعات جديدة فى المدرسة والمجتمع الخارجى .**
- **ميول الطفل للتنافس والعدوان والعناد تجد منفذا فى المنافسة المنظمة وتلقى ضبطا منظما فى المدرسة وتتحول بالتدريج إلى صداقات .**
- **التنظيم الملحوظ فى علاقات الطفل الاجتماعية فى إطار المعايير الاجتماعية فى إطار المعايير الاجتماعية التى يتعلمها من خلال عملية التنشئة الاجتماعية .**

- **ضغط الجماعة الجديدة فى المدرسة بصفة خاصة .**

ملاحظات :

توجد علاقة وطيدة بين الاضطراب الانفعالى والأعراض النفسية الجسمية ، وذلك عن طريق تأثير الانفعال فى الجهاز العصبى الذاتى الذى يؤثر بدوره فى أجهزة الجسم المختلفة مثل الجهاز الدورى والجهاز التنفسى والجهاز الهضمى والجهاز الغدى والجهاز البولى والتناسلى والجلد .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **رعاية النمو الانفعالى وتفهم سلوك الطفل واشعاره بالراحة والأمن وأنه مرغوب فيه ليستطيع أن يعبر عن انفعالاته تعبيرا صحيحا ، وفهم الكبار وتسامحهم بالنسبة للسلوك الانفعالى العادى بالنسبة لمرحلة النمو) وضرب المثل السلوكى الحسن لكى يحتذيه الطفل .**
- **علاج مخاوف الأطفال عن طريق ربط الشئ المخيف بأشياء متعددة سارة حتى يتعود الطفل على رؤيته مقترنا بما يحب ويسر لرؤيته ، وتشجيعه على اللعب مع الأطفال الذين لا يخافون نفس الشئ الذى يخافه ، وإزالة مصادر خوفه ، ومساعدته على تكوين الاتجاهات والمفاهيم السوية التى تساعد فى علاج مخاوفه .**

- **تجنب التركيز أكثر من اللازم على أى طارئ سلوكى انفعالى مالم يستدم ويؤثر فى توافق الطفل .**
- **اتاحة فرصة التنفيس والتعبير الانفعالى عن طريق اللعب والموسيقى والرسم والتمثيل ... إلخ . ونحن نعلم أن " التنفيس الانفعالى " يكفى الطفل شر " حبس الانفعال " فى داخله لمدة طويلة مما قد يؤدى إلى " الانفجار الانفعالى " . ونحن نعرف أن التنفيس الانفعالى يزيل التوتر ويفيد فى تعريف الكبار بما يضايق الطفل وبحاجاته غير المشبعة ، ومن ثم يمكن مساعدته .**
- **الالمام بالمشاعر الكامنة تحت الاستجابات الانفعالية السطحية والسلوك الظاهر .**
- **خطورة اتباع النظام الصارم الجامد المتزمت فى التعليم .**
- **خطورة مقارنة الطفل باخوته أو رفاقه على مسمع منه حتى لا يتولد الشعور بالنقص عند الطفل الأقل مرتبة فى أعين والديه أو مدرسيه .**
- **النظر إلى الاضطرابات السلوكية على أنها أعراض لحاجات غير مشبعة يجب اشباعها ، واحباطات مؤرقة يجب التغلب عليها وصراعات عنيفة يجب تعليم الطفل كيف يحلها أولا بأول .**

النمو الاجتماعى :

تستمر عملية التنشئة الاجتماعية . وتدخل المدرسة كمؤسسة رسمية لتقوم بدورها فى هذه العملية .

مظاهره :

فى سن السادسة تكون طاقات الطفل على العمل الجماعى مازالت محددة وغير واضحة ويكون مشغولا أكثر ببديلة الأم " المدرسة " .

وتتسع دائرة الاتصال الاجتماعى ويزداد تشعبها ، وهذا يتطلب أنواعا جديدة من التوافق . والطفل فى هذه المرحلة مستمع جيد .

ويذهب الطفل إلى المدرسة ويتوقف سلوكه الاجتماعى فى المدرسة مع جماعات أقرانه وفى البيئة المحلية ومع طبقته الاجتماعية على نوع شخصيته التى تمت نتيجة لتعلمه الماضى فى المنزل وفى البيئة المحلية وفى دار الحضانة إذا كان قد مر بها .

ويكون اللعب جماعيا . ومن خلال اللعب يتعلم الأطفال الكثير عن أنفسهم وعن رفاقهم وتتاح لهم فرصة تحقيق المكانة الاجتماعية .

وتكثر الصداقات عن ذى قبل لازدياد صلة الطفل بالأطفال الآخرين فى المدرسة . وتكون الصداقات محدودة العدد ويعتبر الأصدقاء حلفاء له بعد أن كان يعتبرهم منافسين له فى المرحلة السابقة . ولا يفوق الطفل فى هذه المرحلة فى صداقته بين الجنسين كثيراً . وقد يهتم بالأصدقاء ورفاق السن أكثر من اهتمامه بأفراد الأسرة .

ويزداد التعاون بين الطفل ورفاقه فى المنزل والمدرسة . وتكون المنافسة فى أول هذه المرحلة فردية ثم تصبح فى آخرها جماعية فى

الألعاب الرياضية والتحصيل المدرسى . وإذا كان التنافس نضالا من جانب الأفراد ضد بعضهم البعض فالتعاون جماعى نحو هدف مشترك .

وتميل الزعامة فى هذه المرحلة إلى الثبات النسبى . وأهم خصائصها هنا ضخامة التكوين الجسمى وزيادة الطاقة الحيوية والنشاط اللغوى والعضلى وارتفاع نسبة الذكاء والشجاعة والانبساط . ويحصل الطفل على المكانة الاجتماعية ويهتم يجذب انتباه الآخرين .

ويكون العدوان والشجار أكثر بين الذكور والذكور ، ويقل نوعا بين الذكور والاناث ، ويقل جدا بين الاناث والاناث . ويميل الذكور إلى العدوان اليدوى ، أما الاناث فعدوانهم لفظى . ويلاحظ أن مشاهدة نماذج العدوان لدى الكبار تزيد من السلوك العدوانى عند الأطفال .

وبالاضافة إلى ذلك فإن من أهم سمات النمو الاجتماعى فى هذه المرحلة ما يلى :

- السعى الحثيث نحو الاستقلال .
- بزوغ معان وعلامات جديدة للمواقف الاجتماعية .
- تعدل السلوك بحسب المعايير والاتجاهات الاجتماعية وقيم الكبار .
- اتساع دائرة الميول والاهتمامات .
- نمو الضمير ومفاهيم الصدق والأمانة .
- نمو الوعى الاجتماعى والمهارات الاجتماعية .

- **اضطراب السلوك إذا حدث صراع أو معاملة خاطئة من جانب الكبار .**

الفروق بين الجنسين :

يتضح الفرق بين الجنسين حيث يزداد تعلم الطفل لدوره الجنسى ، فالذكور يتجهون إلى أن يصبحوا أكثر خشونة واستقلالاً ومنافسة من الاناث اللاتى يتجهن إلى أن يصبحن أكثر أدبا ورأفة وتعاونا من الذكور .

العوامل المؤثرة فيه :

يتأثر النمو الاجتماعى وبصفة خاصة عملية التنشئة الاجتماعية فى المدرسة فى هذه المرحلة بعدة عوامل منها البناء الاجتماعى للمدرسة وحجمها وسعتها وأعمار التلاميذ والفروق الاجتماعية والاقتصادية بين الأطفال . وكذلك يتأثر بعمر المدرس وجنسه وحالته الاجتماعية وشخصيته ، ويتأثر أيضاً بالعلاقة بين المدرس والطفل والعلاقة بين التلاميذ بعضهم البعض ، والعلاقات بين المدرسة والأسرة .

وفى الأسرة تؤثر علاقة الطفل بالوالدين واستخدام الثواب والعقاب فى توافقه الاجتماعى . كذلك يتأثر النمو الاجتماعى فى هذه المرحلة بعوامل هامة مثل وسائل الاعلام والثقافة العامة والخبرات المتاحة للتفاعل الاجتماعى .

ملاحظات :

تـؤثر اتجاهـات الطفـل نحـو الأسـرة فـى توافقـه الاجتمـاعى والانفعالى . ومـن ثـم يجـب الاهتمـام بدراسـة مـا يعانيـه الأطفـال مـن صراعات داخلية تنشأ بسبب العلاقات التى تقوم داخل الأسرة إما بينهم وبين الوالدين وإما بينهم وبين خلطائهم من اخوة وأخوات . ويستعان فى ذلك ببعض الاختبارات النفسية مثل اختبار الاتجاهات العائلية [1] .

ويتطلـب النمـو الاجتمـاعى السـوى تحقيـق علاقـات اجتماعيـة أفضل من رفاق السن ، ويتطلب تعلم الألعاب الرياضية وتكوين مفهوم موجـب للـذات . ولا يظهـر فـى هـذه المرحلـة أثـر التعصـب الـدينى أو العنصرى أو الجنسى .

وتظهـر فـى هـذه المرحلـة مبـادئ أخلاقيـة جديـدة هـى المسـاواة والاخلاص والتسامح وتعبر عن نفسها فى خبرات الطفل الواقعية فى حياته اليومية .

ومـن السـمات الاجتماعيـة التـى يفضـلها رفـاق السـن فـى هـذه المرحلة النشاط والذكاء الاجتماعى والاهتمام بالآخرين وحسن المظهر والمـرح والصـداقة والتفـوق الدراسـى والصـحة العامـة . ومـن السـمات الاجتماعية غير المرغوب فيها الانطواء والخجل والشقاوة والتمرد .

والمستوى المطلـوب للنمـو الاجتمـاعى للطفل فـى هـذه المرحلـة كما يحدده مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعى هو :

---

(1) اختبار الاتجاهات العائلية تأليف ليديا جاكسون Jackson وتمصير مصطفى فهمى ، وهو اختبار اسقاطى يتكون من بطاقات مصورة مقننة يمثل كل منها موقفا عائليا ، ويناسب الأعمار من ٦ إلى ١٢ سنة ويستغرق حوالى ٣٠-٤٠ .

فى العام السابع :

- **يأكل مستخدما السكين إلى جانب الملعقة والشوكة . يحيك أشياء بسيطة إذا توافرت الابرة والخيط . يعمل أشكالا بسيطة من الطين الصلصال .**
- **يكتب بالقلم الرصاص عشر كلمات بسيطة أو أكثر هجايتها صحيحة إذا أمليت عليه .**
- **يعد الفراش بدون مساعدة ، ويأوى إلى النوم وحده ويخلع ملابسه ويذهب إلى دورة المياه ويطفئ النور وينام .**
- **يستحم دون إشراف ولكنه يحتاج إلى مساعدة فى الاعداد للاستحمام وغسيل الظهر وتجفيف الشعر .**

فى العام الثامن :

- **يقرأ الساعة لأقرب ربع ساعة ويعرف الوقت ويستخدم هذه المعرفة .**
- **يشارك فى اللعب الجماعى . ويفضل البنون ألعابا مثل الكرة وركوب الدراجة وتفضل البنات ألعابا مثل نط الحبل .**
- **يستخدم السكين لقطع اللحم ، وقد يحتاج إلى مساعدة فى حالة وجود عظم أو فى أكل بعض قطع الطيور .**
- **يصفف شعره دون مساعدة ، ويهيئ نفسه قبل الخروج أو استقبال الأصدقاء .**

فى العام التاسع :

- **يستخدم بعض الأدوات والعدد مثل المطرقة والمنشار أو المفك والابرة والمقص .**
- **يساعد فى أعمال المنزل مثل أعمال النظافة واعداد المائدة وغسل الأطباق واعداد غرفة النوم ويأخذ مسئولية جزء محدود من أعمال المنزل .**
- **يقرأ وحده ويفهم القصص البسيطة والأخبار البسيطة .**
- **يستحم وحده دون مساعدة وبعد الحمام ويجفف نفسه .**

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **الاهتمام بالتربية الاجتماعية للأطفال والتى تركز على الانتماء للمجتمع ، وتنمية القيم الصالحة والاتجاهات الايجابية ، ومراعاة حقوق الآخرين ، والتزام الآداب الاجتماعية العامة ، وقيام الأخصائى الاجتماعى المدرسى بدوره فى هذا المجال .**
- **تحميل الطفل مسئولية نظافته الشخصية وتعويده مبادئ النظام واحترام الغير .**
- **أهمية لعب الوالدين مع الطفل والتفاعل الاجتماعى المستمر معه وأهمية النزهات الأسرية .**
- **تنمية التفاعل الاجتماعى التعاونى بين الطفل ورفاقه وتنظيم القيادة والتبعية.**
- **أهمية اللعب الذى ينظمه الأطفال أنفسهم والذى يشارك فيه الكبار بأقل قدر من التدخل فى تحديده وتنظيمه .**

- **أهمية التعرف على البيئة الاجتماعية وامداد الطفل بخبرات اجتماعية سليمة وتعلم الطفل كيفية السلوك فى المواقف الاجتماعية المختلفة وفى مواقف الحياة الواقعية .**
- **الحرص على جعل الجو النفسى الاجتماعى للطفل جوا صالحا خاليا من التوتر .**
- **تجنب الاعتماد على التعاون وحده لأنه إذا اعتمد الطفل على النشاط الجماعى فحسب فإن ذلك قد يعوق تعلمه العمل منفردا . ويجب أن يكون التنافس موجها بحيث يكون بين أطفال متساويين فى الذكاء والمعرفة والمهارات الجسمية والنضج فإذا حدث بين أطفال غير متساوين فإن المتفوق سوف يشعر شعورا (غير واقعى) بالتفوق ، بينما يشعر منافسه غير المتفوق بمشاعر النقص التى لا مبرر لها .**
- **تعويد الطفل احترام والديه ومدرسيه والكبار دون رهبة أو خوف .**

النمو الجنسى :

تشارك مرحلة الطفولة الوسطى مرحلة الطفولة المتأخرة من حيث اعتبارهما فترة كمون سابقة للبلوغ الجنسى فى مرحلة المراهقة .

مظاهره :

يلاحظ أن الاهتمام قليل بشئون الجنس فى هذه المرحلة ، فالأطفال فى هذه المرحلة والتى تليها يكونون أكثر انشغالا بأشياء أخرى يهتمون بها مثل النشاط الاجتماعى والتربوى .

وتنمو الأعضاء التناسلية هنا بمعدل أبطأ نسبيا من باقى أعضاء الجسم .

وإذا صار النمو الجنسى فى المراحل السابقة سيرا طبيعيا وسارت عملية التربية الجنسية على ما يرام ، مرت هذه المرحلة " مرحلة كمون " جنسى Latency Period ، أما إذا لم يحدث هذا وبقيت المسائل الجنسية مشكلة سرية ، فقد يؤدى هذا إلى قلق وحاجة إلى اشباع وزادت مناقشات الأطفال مع بعض البعض فى هذه الموضوعات الجنسية .

وتشهد هذه المرحلة حب الاستطلاع الجنسى ، ويصر الأطفال على استطلاع الجسم ووظائفه ومعرفة الفروق بين الجنسين ، وقد يضطر الطفل تحت ضغط الوالدين والمدرسين وحتى الرفاق الذين مروا بسلام أن يكبت رغبته هذه . إلا أن عاقبة ذلك قد تكون حدوث انحراف جنسى فيما بعد عندما تندلع طاقاته الجنسية وتنفجر على غير أساس متين .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

*** اشعار الطفل بالطمأنينة وإجابة كل أسئلته وتزويده بكل المعلومات والحقائق الضرورية فى مثل سنة والتى يسأل عنها هو .**

الفصل السابع
الطفولة المتأخرة

- **النمو الجسمى**
- **النمو الفسيولوجى**
- **النمو الحركي**
- **النمو الحسى**
- **النمو العقلى**
- **النمو اللغوى**
- **النمو الانفعالى**
- **النمو الاجتماعى**
- **النمو الجنسى**

الفصل السابع

الطفولة المتأخرة LATE CHILDHOOD

(٩-١٢ سنة)

" المرحلة الابتدائية – الصفوف الثلاثة الأخيرة "

يطلق البعض على هذه المرحلة " قبيل المراهقة " Preadolescence وهنا يصبح السلوك بصفة عامة أكثر جدية فى هذه المرحلة التى تعتبر مرحلة إعداد للمراهقة . ونحن نرى أن التغيرات التى تحدث فى هذه المرحلة تعتبر بحق تمهيدا لمرحلة المراهقة.

وتتميز هذه المرحلة بما يلى :

- **بطء معدل النمو بالنسبة لسرعته فى المرحلة السابقة والمرحلة اللاحقة .**
- **زيادة التمايز بين الجنسين بشكل واضح .**
- **تعلم المهارات اللازمة لشئون الحياة ، وتعلم المعايير الخلقية والقيم ، وتكوين الاتجاهات ، والاستعداد لتحمل المسئولية ، وضبط الانفعالات .**

وتعتبر هذه المرحلة من وجهة نظر النمو أنسب المراحل لعملية التطبيع الاجتماعى .

إلا أنه من ناحية البحث العلمى تعتبر هذه المرحلة شبه منسية وذلك لزيادة الاهتمام بسابقاتها ولاحقاتها من مراحل النمو .

النمو الجسمى :

يهتم الطفل فى هذه المرحلة بجسمه ، وينمو مفهوم الجسم concept–body ويؤثر فى نمو الشخصية .

مظاهره :

تتعدل النسب الجسمية وتصبح قريبة الشبه بها عند الراشد . وتستطيل الأطراف ، ويتزايد النمو العضلى ، وتكون العظام أقوى من ذى قبل .

ويتتابع ظهور الأسنان الدائمة (تظهر فى السنوات من ١٠ – ١٢ ثمانى أضراس أمامية أولى تحل محل الأضراس المؤقتة ، وتظهر كذلك أربع أنياب تحل محل الأنياب المؤقتة) .

ويشهد الطول زيادة ٥٪ فى السنة ، وفى نهاية المرحلة يلاحظ ظفرة فى نمو الطول . ويشهد الوزن زيادة ١٠٪ فى السنة . وتزداد المهارات الجسمية وتعتبر أساسا ضروريا لعضوية الجماعة والنشاط الاجتماعى . ويقاوم الطفل المرض بدرجة ملحوظة ، ويتحمل التعب ويكون أكثر مثابرة .

الفروق الفردية :

تبدو الفروق الفردية واضحة . فجميع الأطفال لا ينمون بنفس الطريقة أو بنفس المعدلات ، فبعضهم ينمو بدرجة أكبر نسبيا فى الطول والبعض الآخر فى الوزن بما يؤدى إلى تنوع الأنماط الجسمية العامة مثل (طويل نحيف) أو (قصير ممتلئ) .

الفروق بين الجنسين :

يكون نصيب الذكور أكثر من الاناث فى النسيج العضلى . ويكون نصيب الاناث أكثر من الذكور فى الدهن الجسمى . وتكون الاناث أقوى قليلا من الذكور فى هذه المرحلة فى كل من الطول والوزن وتبدأ ظهور الخصائص الجنسية الثانوية لدى الاناث قبل الذكور فى نهاية هذه المرحلة .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **الاهتمام بالصحة الجسمية للطفل ، ومراعاة التغذية الكاملة الكافية .**
- **أهمية التربية الرياضية.**

النمو الفسيولوجى :

يستمر النمو الفسيولوجى فى اطراده ، خاصة فى وظائف الجهاز العصبى وجهاز الغدد .

مظاهره :

يستمر ضغط الدم فى التزايد حتى بلوغ المراهقة ، بينما يكون معدل النبض فى تناقص . ويزداد تعقد وظائف الجهاز العصبى وتزداد الوصلات بين الألباف العصبية ولكن سرعة نموها تتناقص عن ذى قبل . وفى سن ١٠ سنوات يصل وزن المخ إلى ٩٥٪ من وزنه النهائى عند الراشد ، إلا أنه مازال بعيداً عن النضج.

ويبدأ التغير فى وظائف الغدد وخاصة الغدد التناسلية استعدادا للقيام بالوظيفة التناسلية حين تنضج مع بداية المراهقة . وقد يبدأ الحيض لدى بعض البنات فى نهاية هذه المرحلة .

ويقل عدد ساعات النوم حتى يصل إلى ١٠ ساعات فى المتوسط فى هذه المرحلة .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **المبادرة بعلاج أى تغيرات فسيولوجية غير عادية .**
- **ملاحظة أى اضطرابات نفسية جسمية والمبادرة بعلاجها .**

النمو الحركى :

يطرد ، ويلاحظ أن الطفل فى هذه المرحلة لا يكل ولكنه يمل .

مظاهره :

هذه المرحلة تعتبر مرحلة النشاط الحركى الواضح . وتشاهد فيها زيادة واضحة فى القوة والطاقة . فالطفل لا يستطيع أن يظل ساكنا بلا حركة مستمرة . وتكون الحركة أسرع وأكثر قوة ، ويستطيع الطفل التحكم فيها بدرجة أفضل .

ويلاحظ اللعب مثل الجرى والمطاردة وركوب الدراجة ذات العجلتين والعوم والسباق والألعاب الرياضية المنظمة وغير ذلك من ألوان النشاط التى تصرف الطاقة المتدفقة لدى الطفل والتى تحتاج إلى مهارة وشجاعة أكثر من ذى قبل . وأثناء النشاط الحركى المستمر للطفل قد يتعرض لبعض الجروح الطفيفة . ويميل الطفل إلى

كل ما هو عملى ، فيبدو وكأن " الأطفال عمال صغار " . ممتلئون نشاطا وحيوية ومثابرة . ويميل الطفل إلى العمل ويود أن يشعر أنه يصنع شيئا لنفسه .

وينمو التوافق الحركى ، وتزداد الكفاءة والمهارة اليدوية إذ يسمح ما بلغته العضلات الدقيقة من نضج الطفل بالقيام بنشاط يتطلب استعمال هذه العضلات مثل النجارة عند الذكور وأعمال التريكو عند الاناث .. وهكذا . ويلاحظ أن بعض الأطفال يمكنهم فى نهاية هذه المرحلة التدرب على استعمال بعض الآلات الموسيقية .

وتتم السيطرة التامة على الكتابة . وينتقل الطفل فى الكتابة من الخط النسخ إلى الخط الرقعة .

وقد لوحظ أيضاً أن زمن الرجع يكون أسرع فى هذه المرحلة .

الفروق بين الجنسين :

يقوم الذكور باللعب المنظم القوى الذى يحتاج إلى مهارة وشجاعة وتعبير عضلى عنيف كالكرة والجرى (والعسكر والحرامية) . وتقوم الاناث باللعب الذى يحتاج إلى تنظيم فى الحركات كالرقص والحجلة ونط الحبل .

العوامل المؤثرة فيه :

تؤثر البيئة الثقافية والجغرافية التى يعيش فيها الطفل فى نشاطه الحركى . فرغم أن النشاط الحركى للطفل فى جميع أنحاء العالم متشابه بالمعنى العام ، فهم جميعا يجرون ويقفزون ويتسلقون ويلعبون ، إلا أن الاختلافات الثقافية والجغرافية تبرز بعض

الاختلافات فى هذا النشاط من ثقافة إلى أخرى . ويظهر هذا بصفة خاصة فى أنواع الألعاب والمباريات . فلعبة الكريكيت فى انجلترا لا يعرفها أطفالنا فى مصر ، والتزحلق على الجليد فى شمال أوربا لا يتيسر لأطفال وسط أفريقيا .

ويؤثر المستوى الاجتماعى الاقتصادى ونوع المهنة فى الأسرة فى نوع النشاط الحركى للأطفال ، فاللعبة التى يهتم بها طفل الأسرة الفقيرة تختلف كما وكيفا عن اللعبة التى تتيسر لطفل الأسرة الغنية ، وطفل الأسرة التى بها اهتمامات موسيقية يختلف نشاطه الحركى عن نشاط طفل الأسرة ذات الاهتمامات الميكانيكية ... وهكذا .

ملاحظات :

يحتاج الطفل أن يعرف النشاط الحركى الذى يقوم به ، وهو يريد أن يؤديه مستقلا بقدر الامكان . ويستطيب ذلك ويستمتع به ، ولكنه يحتاج إلى الارشاد فى حالة الاخفاق حتى يتحسن أداؤه .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **استغلال هذه المرحلة فى التدريب على المهارات الحركية .**
- **الاهتمام بالتعليم عن طريق الممارسة .**
- **تشجيع الأطفال على الحركة التى تتطلب المهارة والشجاعة .**
- **تشجيع الأطفال على تنويع نشاطهم الحركى وتوجيهه إلى ما يفيد .**
- **التدريب على بعض الألعاب الرياضية المنظمة .**

- **تشجيع الهوايات مثل الفلاحة وأعمال النجارة والبناء ... إلخ .**
- **تشجيع الطفل إذا أبدى استعدادا للتدريب على آلة موسيقية .**
- **التدريب على الحرف المختلفة .**
- **تدريب الأطفال على الأعمال المنزلية وخدمة أنفسهم .**

النمو الحسى :

يكاد نمو الحواس يكتمل فى هذه المرحلة .

مظاهره :

يتطور الادراك الحسى وخاصة ادراك الزمن إذ يتحسن فى هذه المرحلة ادراك المدلولات الزمنية والتتابع الزمنى للأحداث التاريخية . ويلاحظ أن ادراك الزمن والشعور بمدى فتراته يختلف فى الطفولة بصفة عامة عن المراهقة وعن الرشد والشيخوخة . فشعور الطفل بالعام الدراسى يستغرق مدى أطول من شعور طالب الجامعة . ويشعر الراشد والشيخ أن الزمن يولى مسرعا . وفى هذه المرحلة أيضاً يميز الطفل بدقة أكثر بين الأوزان المختلفة .

وتزداد دقة السمع . ويميز الطفل الأنغام الموسيقية بدقة ، ويتطور ذلك من اللحن البسيط إلى المعقد ، ويزول طول البصر ويستطيع الطفل ممارسة الأشياء القريبة من بصره (قراءة أو عملا يدويا) بدقة أكثر ولمدة أطول من ذى قبل .

وتتحسن الحاسة العضلية باطراد حتى سن ١٢ ، وهذا عامل هام من عوامل المهارة اليدوية .

ملاحظات :

تعتبر الحواس بمثابة المراصد الخارجية للجهاز العصبى . وكلما تعددت وتركزت حول مثير واحد كان ادراكه أكثر وضوحا ، فرؤية مثير وسماع صوته وتذوق طعمه وشم رائحته ولمسه يعطى صورة أوضح وأدق من مجرد الرؤية وحدها .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **يعتبر المدرس كفيلم متحرك ناطق أمام الطفل ، ولذلك يجب أن يراعى فيما يقدم للطفل أن يكون واقعيا يسهل تصوره بصريا .**
- **أهمية الوسائل السمعية والبصرية لأنها ذات فائدة بالغة فى العملية التربوية.**
- **أهمية النماذج المجسمة التى تتيح للطفل فرصة الادراك البصرى واللمسى ... إلخ .**
- **رعاية النمو الحسى للطفل بصفة عامة والعناية بالمهارات اليدوية أيضاً .**

النمو العقلى :

يظهر النمو العقلى فى هذه المرحلة بصفة خاصة فى التحصيل الدراسى . ويدعم ذلك الاهتمام بالمدرسة والتحصيل والمستقبل العلمى للطفل .

مظاهره :

يطرد نمو الذكاء حتى سن الثانية عشرة . وفى منتصف هذه المرحلة يصل الطفل إلى حوالى نصف امكانات نمو ذكائه فى المستقبل ، وتبدأ القدرات الخاصة فى التمايز عن الذكاء والقدرة العقلية العامة .

وتنمو مهارة القراءة ، ويحب الطفل فى هذه المرحلة القراءة بصفة عامة ويستطيع قراءة الجرائد ذات الخط الصغير ، ويستطيع أن يقرأ لنفسه ما يجذب اهتمامه للقراءة ، ويستثيره البحث عن الحقيقة والحاجة لفهم الظاهرات الطبيعية .

وتتضح تدريجيا القدرة على الابتكار Creativity . ويعرف الابتكار بأنه التفكير والعمل المبدع الجديد غير العادى . ومن الضرورى تقبل الجماعة لهذا التفكير أو ذلك العمل وفائدته لها . ومن الصفات التى يتصف بها المبتكرون الذكاء والأصالة والخيال وحب الاستطلاع والحماس والاندفاع والتسلطية ونقص الاتزان الانفعالى . ويلاحظ أن الأطفال المبتكرين لا يكونون على وفاق كبير مع معلميهم . فهم لا يقنعون بالنماذج السلوكية التى تتوافر فى معلميهم ولا يتوافقون مع هذه النماذج ، ويساعد النمو اللغوى بعض الأطفال فى الرسوم والنحت والتمثيل .

ويهتم علماء التربية وعلم النفس بظاهرة التفوق كما يهتمون بمشكلة الضعف العقلى . ولقد قامت دراسات كثيرة حول الأطفال المتفوقين عقليا وهم الذين تزيد نسبة ذكائهم عن ١٣٠ ، أما الذين

تزيد نسبة ذكائهم عن ١٤٥ فيعتبرون موهوبين . ومن خصائص الشخصية المميزة للأطفال المتفوقين أنهم يميلون إلى أن يكونوا أصح جسميا وأمهر فى اللغة والقراءة وأنجح فى الدراسة وأكثر أسئلة وحبا للاستطلاع وأميل إلى احتلال الأدوار القيادية فى الجماعة وأكثر توافقا من الناحية النفسية إذا قورنوا بالأطفال العاديين . وينمو مفهوم الذات فى الغالب نموا سويا موجبا لدى المتفوقين حيث تكون اتجاهاتهم نحو أنفسهم سوية صحيحة ، فإن الثناء الذى يلقاه المتفوق يعزز ذاته ويزيد ثقته فى نفسه . والمتفوق أحرص من غيره فلا يقع فى سلوك مشكل مما يجنبه العقاب ويجزيه الثواب .

ويستمر التفكير المجرد فى النمو ، ويقوم على استخدام المفاهيم والمدركات الكلية . ويستطيع التفسير بدرجة أفضل من ذى قبل ، كذلك يستطيع التقيم وملاحظة الفروق الفردية .

ويزداد مدى الانتباه ومدته وحدته ، وحبذا لو كانت موضوعات الانتباه منظمة تنظيما خاصا ، والعلاقة بينها بسيطة ، وتزداد القدرة على التركيز بانتظام . وتنمو الذاكرة نموا مطردا ، ويكون التذكر عن طريق الفهم (يتذكر ٦ أرقام فى سن ١٠ سنوات) .

ويتضح التخيل الابداعى ، وتزداد القدرة على تعلم ونمو المفاهيم ويزداد تعقدها وتمايزها وموضوعيتها وتجريدها وعموميتها وثباتها ، ومن أمثلة ذلك مفهوم العدل والظلم والصواب والخطأ ، ويتعلم المعايير والقيم الخلقية والخير والشر بغض النظر عن المواقف

أو الظروف التى تحدث فيها ، وتقرب هذه المعايير وتلك القيم من معايير وقيم الكبار .

ويزداد استعداد الطفل لدراسة المناهج الأكثر تقدما وتعقيدا ، ويمكنه استيعاب الدراسات الاجتماعية ، ويزداد اهتمامه بأوجه النشاط الخارجة عن المنهج ويتحمس الطفل لمعرفة الكثير عن البيئة المباشرة وعن بلده وعن البلاد الأخرى وعن العالم من حوله .

ويزداد لديه حب الاستطلاع[1] . وقد وجد أن الأطفال الذين لديهم حب استطلاع أعلى يكون مفهوم الذات لديهم أكثر ايجابية وتكون اتجاهاتهم الاجتماعية وتفاعلهم الاجتماعى أفضل إذا قورنوا بزملائهم الذين لديهم حب استطلاع أقل .

ويلاحظ النقد الموجه إلى الكبار والنقد الذاتى . والطفل وإن كان يهتم بآراء وأفكار الآخرين إلا أنه بين الحين والآخر يتحدى هذه الآراء وتلك الأفكار فى أسلوب جدلى .

الفروق الفردية :

تظهر الفروق الفردية واضحة خاصة فى الذكاء والتحصيل ، وتتأثر بالتفاوت فى الخبرة المدرسية .

الفروق بين الجنسين :

يمتاز الذكور عن الاناث فى الذكاء خاصة فى التاسعة والعاشرة .

---

(1) يقصد بالاستطلاع هنا الاستجابة الايجابية للعناصر الجديدة والغريبة والمجهولة ف البيئة والتعامل معها والرغبة والحاجة لمعرفة نفسه بيئته والبحث عن الخبرات الجديدة وفحص واستكشاف المثيرات لمعرفة المزيد عنها .

ملاحظات :

تدل بعض الدراسات على أن المستوى الاجتماعى الاقتصادى يرتبط ارتباطا موجبا بالدرجات فى اختبار الذكاء . فالأطفال من الطبقة العليا والوسطى يحصلون على درجات أعلى من الدرجات التى يحصل عليها الأطفال من الطبقة الدنيا ، إذا تساوت الظروف الأخر . ويفسر البعض ذلك بأن أطفال الطبقة الدنيا يميلون إلى قلة الاهتمام ببعض المهارات التى تتطلبها اختبارات الذكاء مثل الفهم اللغوى والاستدلال الحسابى . ولا شك أن خبرات الأسرة واتجاهاتها وتشجيعها ودرجة اهتمامها بالنمو العقلى للطفل يساعد على حصوله على تقديرات أعلى فى اختبارات الذكاء واختبارات التحصيل ، بل وربما تزيد أيضاً نسبة ذكائه وتوفيقه تحصيليا خلال سنوات المدرسة .

وتشير بعض البحوث إلى وجود علاقة بين نسبة الذكاء وكل من الشخصية والخبرات الأسرية . وتلعب الشخصية والعوامل البيئية دورا حيويا فى كيف ونوع الأداء العقلى . وهناك علاقة وثيقة بين نسبة ذكاء الطفل من ناحية وبين رغبته فى اتقان الأعمال العقلية وقلقه من الاخفاق فى مواقف الاختبار ومكافآت السرة له على كفايته من ناحية أخرى .

ويلاحظ أن اهتمام الوالدين بالمدرسة والتحصيل المدرسى والمستقبل العلمى للطفل أكثر فى الطبقة الوسطى والعليا منه فى الطبقة الدنيا . إلا أن الآباء فى جميع الطبقات والمستويات

الاجتماعية والاقتصادية يعترفون تماما بقيمة المدرسة من الناحية التربوية .

وقد وجدو أن هناك معامل ارتباط سالبا دالا بين حجم وكثافة الأسرة وبين الذكاء . فكلما كانت الأسرة أكبر حجما والفرق فى العمر بين أفرادها أقل كلما قلت درجة الذكاء المقاس لدى أطفالها.

كما أن الأطفال يفضلون بعض الأنماط السلوكية عند المدرسين أهمها الصفات الانسانية (رحيم – بشوش – طبيعى – معتدل المزاج) والصفات التأديبية (عادل – ثابت – يحترم الأطفال) والمظهر العام (أنيق – صوته حسن – جذاب على وجه العموم) والصفات التعليمية (يساعد الأطفال – ديموقراطى – بشوش فى تدريسه – متحمس) .

وتتضمن اختبارات الذكاء فقرات مثل :

- **سن ١٠ سنوات : إعادة ٦ أرقام ، ذكر ٢٨ كلمة فى دقيقة ، تكملة سلاسل الأرقام ، اعطاء الأسباب .**
- **سن ١١ سنة : فهم المعانى المجردة ، إعادة جمل طويلة ، معرفة أوجه الشبه بين ثلاثة أشياء ، تكملة سلاسل الأرقام ، الاستدلال .**
- **سن ١٢ سنة : إعادة خمسة أرقام بالعكس ، الفهم ، التفكير ... إلخ .**

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **توفير امكانات التعليم الذى يضمن نمو قدرات الطفل إلى أقصى حد ممكن ليصبح إنسانا صالحا فى المجتمع له خلفية ثقافية عامة كافية .**
- **أهمية العلاقة السليمة بين المدرس والطفل .**
- **تقصير مدة الانتباه وزيادة مدته فى العملية التربوية .**
- **العمل على تنمية المواهب والميول وتشجيع هذه المواهب والميول بالاجابة عن كل أسئلة الأطفال .**
- **تدريب الأطفال على سلوك النقد والنقد الذاتى عن طريق تقديم نماذج سلوكية حية .**
- **تنمية الابتكار عند الأطفال من خلال تعلم الموسيقى والتمثيل والفنون الأخرى .**
- **العمل على توسيع الاهتمامات العقلية وتنمية حب الاستطلاع واستغلال استعداد الطفل لاستكشاف البيئة المحلية .**
- **العمل على نمو المفاهيم قبل العمل على تكديس المعلومات فى عقول الأطفال ، والتدريب على استعمال الأفكار المعنوية غير المحسوسة .**
- **استمرار تعاون الوالدين والمدرسين عن طريق اجتماعات مجلس الآباء والمعلمين ومؤتمرات الآباء والمدرسين واجتماعاتهم غير الرسمية ولقاءاتهم فى حفلات المدرسة ومناسباتها المختلفة . وعادة ما يكون الاتصال الشخصى بين**

الوالدين والمدرسين عن هذا الطريق سببا فى تعاونهم وفهمهم السليم للأطفال .

- **عدم إلقاء الوالدين العبء كاملا فى النمو العقلى والتحصيل على المدرسين أو العكس . ويستطيع كل من الطرفين القيام بدور هام فى هذا الصدد .**
- **تشجيع الطفل على أن يتعلم من خبراته الخاصة أكثر مما يتعلم من خبرات الكبار . وهو سيحتاج أثناء تعلمه إلى مساعدة الكبار على تقبل ما يقع فيه من أخطاء وتحمل اخفاقه وفشله .**
- **أن يكون الهدف النهائى لتدريب الطفل فى المنزل والمدرسة هو تنمية قدرته على توجيه سلوكه الخاص واصدار قراراته وتكوين قيمه .**

النمو اللغوى :

يتضح تقدم النمو اللغوى فى هذه المرحلة فى كلام الطفل وقراءته وكتابته .

مظاهره :

تزداد المفردات ويزداد فهمها ، ويدرك الطفل التباين والاختلاف القائم بين الكلمات ويدرك التماثل والتشابه اللغوى .

ويزيد اتقان الخبرات والمهارات اللغوية ، ويتضح ادراك معانى المجردات (مثل الصدق – الكذب – الأمانة – العدل – الحرية – الحياة – الموت) ،ويلاحظ طلاقة التعبير والجدل المنطقى ، ويظهر الفهم والاستمتاع الفنى والتذوق الأدبى لما يقرأ .

الفروق بين الجنسين :

يلاحظ أن الاناث يفقن الذكور فى القدرة اللغوية .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

*** أهمية القصص وفهمها وتلخيصها ، والتدريب اللغوى السليم . والعناية باللغة الفصحى .**

النمو الانفعالى :

تعتبر هذه المرحلة مرحلة هضم وتمثل الخبرات الانفعالية السابقة .

مظاهره :

يحاول الطفل التخلص من الطفولة والشعور بأنه قد كبر ، وهذه تعتبر مرحلة الاستقرار والثبات الانفعالى emotional stability ولذلك يطلق بعض الباحثين على هذه المرحلة اسم " مرحلة الطفولة الهادئة " .

ويلاحظ ضبط الانفعالات ومحاولة السيطرة على النفس وعدم افلات الانفعالات ، فمثلا إذا غضب الطفل فإنه لن يعتدى على مثير الغضب اعتداء ماديا بل يكون عدوانه لفظيا أو فى شكل مقاطعة .

ويتضح الميل للمرح ، ويفهم الطفل النكتة ويطرب لها ، وتنمو الاتجاهات الوجدانية وتقل مظاهر الثورة الخارجية ، ويتعلم الطفل كيف يتنازل عن حاجاته العاجلة التى تغضب والديه ، ويكون التعبير عن الغضب بالمقاومة السلبية مع التمتمة ببعض الألفاظ وظهور تعبيرات الوجه ، ويكون التعبير عن الغيرة بالوشاية والايقاع بالشخص الذى يغار منه .

ويحاط الطفل ببعض مصادر القلق والصراع ، ويستغرق فى أحلام اليقظة وتقل مخاوف الأطفال وإن كان الطفل يخاف الظلام والأشباح والل .

ملاحظات :

تؤثر الضغوط الاجتماعية تأثيراً واضحا فى النمو الانفعالى ، ويلاحظ بعض الأعراض العصبية ، والعادات واللازمات والكذب .

وقد يؤدى الخوف والشعور بتهديد الأمن والشعور بنقص الكفاية إلى القلق الذى يؤثر بدوره تأثيراً سيئاً على النمو الفسيولوجى والنمو العقلى والنمو الاجتماعى للطفل .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **مساعدة الطفل فى السيطرة على انفعالاته وضبطها والتحكم فى نفسه .**
- **فهم وتقبل مشاعر الطفل نحو نفسه ونحو العالم المحيط به .**
- **أهمية اشباع الحاجات النفسية خاصة الحاجة إلى الحب والشعور بالأمن والتقدير والنجاح والانتماء إلى جماعة .**
- **أهمية الميل نحو العمل واتاحة الفرص أمام الطفل لقدح ميوله حتى يمكن توجيهها توجيها صحيحا .**
- **أهمية الهوايات وتنميتها .**
- **أهمية التوافق الانفعالى . ومساعدة الطفل فى حل الصراعات أولا بأول بنفسه .**

النمو الاجتماعى :

تطرد عملية التنشئة الاجتماعية فى هذه المرحلة فيعرف الطفل المزيد عن المعايير والقيم والاتجاهات الديموقراطية والضمير ومعانى الخطأ والصواب ... إلخ. ويهتم بالتقييم الأخلاقى للسلوك .

مظاهره :

يـزداد احتكـاك الطفـل بجماعـات الكبـار . واكتسـابه معـاييرهم واتجاهاتهم وقيمهم ، فالذكر يتابع بشغف ما يجرى فى وسط الشباب والرجال ، والأنثى تتابع فى لهفة ما يدور فى وسط الفتيات والنساء . ونجد أن الطفل يحب صحبة والديه ويفخر بوالده ويعجب بالأبطال . ويكون وديعا فى وجود الضيوف والغرباء . إلا أنه يلاحظ زيادة نقد الطفل لتصرفات الكبار حتى ليقال أنه ينقد كل شئ وكل فرد ، وتضايقه الأوامر والنواهى ويثور على الروتين .

ويزداد تأثير جماعة الرفاق ، ويكون التفاعل الاجتماعى مع الأقران على أشده ، يشوبه التعاون والتنافس والولاء والتماسك . ويستغرق العمل الجماعى والنشاط الاجتماعى معظم وقت الطفل . ويفتخر الطفل بعضويته فى جماعة الرفاق . ويسود اللعب الجماعى والمباريات . ولكى يحصل الطفل على رضا الجماعة وقبولها له نجده يساير معاييرها ويطيع قائدها . ويرافق زيادة تأثير جماعة الرفاق تناقص تأثير الوالدين بالتدريج .

ويبدأ تأثير النمط الثقافى العام . وتنمو فردية الطفل وشعوره بفردية غيره من الناس . ويزداد الشعور بالمسئولية والقدرة على الضبط الذاتى للسلوك .

ويعتبر نمو المسئولية الاجتماعية أساسا محددا للسلوك المعبر عن الايثارية والكرم ومساعدة الآخرين عند الأطفال . وتؤكد البحوث العلمية ضرورة جعل الطفل يحيا خبرات يتعلم منها تحمل المسئولية

الاجتماعية وتعلم الايثار وسلوك الكرم ومساعدة الآخرين وتعزيز هذا السلوك لديه حيث لا يكفى مجرد التوجيه والوعظ والارشاد .

وتتغير الميول وأوجه النشاط الطفولية إلى الاستقلال وحب الخصوصية وتميل الميول إلى التخصص أكثر ، وتصبح أكثر موضوعية . وتبزغ الميول المهنية، ولا يهتم الطفل بعمل إلا إذا كان يميل إليه ، ويقل الاعتماد على الكبار ، ويطرد نمو الاستقلال .

ويتوحد الطفل مع الدور الجنسى المناسب sex role وتتضح عملية التنميط الجنسى typing–sex . والتنميط الجنسى هو تبنى الدور الجنسى ، وهو عملية التوحد مع شخصية نفس الجنس واكتساب صفات الذكورة بالنسبة للذكور وصفات الانوثة بالنسبة للاناث . ويبدأ التنميط الجنسى مبكرا بالتوحد مع شخصية الوالد والكبار من نفس الجنس . ويتضمن التنميط الجنسى اكتساب المعايير السلوكية والميول والاهتمامات ونوع الألعاب والنشاط العام . فنجد الذكور يهتمون بالنشاط التنافسى مثل الألعاب الرياضية وركوب الدراجة وما شابه ذلك ، بينما تهتم الاناث بالحياكة والأشغال اليدوية وأعمال المنزل وما شابه ذلك . ونحن نعرف أن الجنسين يختلفان حيويا بحكم الوراثة والبنية العضوية ووظائف الأعضاء . ومع النمو يتمايز الجنسان اجتماعيا من حيث الملابس والميول والاتجاهات والمعايير السلوكية وأشياء مثل مقاييس الجمال والقوة وبعض خصائص الشخصية الأخرى . فمثلا يلاحظ السائد من إلباس الرضيع

الذكر ملابس زرقاء والأنثى ملابس حمراء تمييزاً لجنس الرضيع قبل أن يعى هو نفسه ذلك . ومع اطراد النمو يتميز كل جنس بلباس تقليدى مميز . وتعتمد عملية التنميط الجنسى على الثواب وعلى التعلم بالتقليد وعلى التوحد ، وتتأثر بوجود الوالد من نفس جنس الطفل أو غيابه . فالذكر الذى يعيش مع والده يظهر لديه السلوك الجنسى الذكورى أكثر من زميله الذى يغيب والده عن البيت . وتتأثر عملية التنميط الجنسى أيضاً بالطبقة الاجتماعية حيث يتم التنميط الجنسى فى الطبقة الدنيا أسرع منه فى الطبقتين الوسطى والعليا . وبصرف النظر عن الطبقة الاجتماعية فإن الذكور يسبقون الاناث فى عملية التنميط الجنسى ربما بسبب نظرة المجتمع إلى جنس الطفل والميل إلى تفضيل جنس الذكر . ويلاحظ أيضاً أن الطفل الذى له أخوة أكبر منه من نفس جنسه يسبق زميله الوحيد ، وأن الذكور الوحيد مع الاخوات الاناث والطفلة الأنثى الوحيدة مع الذكور يكون التنميط الجنسى عندهما أبطأ من الأطفال فى الأسرة التى تجمع عددا من الذكور والاناث .

ويتضح التوحد مع الجماعات أو المؤسسات ، فيفخر الطفل بفوز فريق مدرسته فى مباراة أو مسابقة .

ويبتعد كل من الجنسين فى صداقته عن الجنس الآخر . ويظل الحال هكذا حتى المراهقة . وتكون الاتصالات الاجتماعية بين

الجنسين مشوبة بالفظاظة ونقص الاستجابة والمضايقات والخجل والانسحاب .

الفروق بين الجنسين :

يلاحظ أن الجماعات لا تضم أفرادا من الجنس الآخر وأن جماعات الذكور أكبر عددا من جماعات الاناث . ويعطى الآباء حرية أكبر لجماعات الذكور ويضعون قيودا أكبر على جماعات الاناث .

العوامل المؤثرة فيه :

تؤثر الثقافة ووسائل الاعلام والخلفية الثقافية للأسرة والطفل والطبقة الاجتماعية التى نشأ فيها فى نموه الاجتماعى . ويلاحظ أن أثر الصحبة فى هذه المرحلة أقوى من أثرها فى المرحلة السابقة فالصداقة هنا أكثر بقاء واستقرارا .

ملاحظات :

يحتاج الطفل إلى النمو الاجتماعى فى جو أسرى دافئ هادئ مستقر . وهو يحتاج إلى مساندة والديه فى هذه المرحلة الانتقالية . ويحتاج الطفل كذلك إلى الشعور بالتقبل فى إطار الأسرة (والمجتمع بصفة عامة) . ونحن نعلم أن شعور الطفل بالرفض يؤدى إلى سلوك غير مقبول وأعراض واضطرابات أخرى . وهذه بدورها تؤدى إلى رد فعل الرفض من الوالد ، مما يؤدى إلى زيادة شعور الطفل بالرفض ، وهكذا تتم الحلقة المفرغة التى يجب تجنب تكوينها حتى ينمو الطفل متوافقا اجتماعياً .

ويؤثر الأخوة الأكبر من الطفل فيه ، وهو بدوره يؤثر فى اخوته الأصغر منه ويتعالى عليهم ، وتلعب النوادى والمعسكرات دورا هاما حيث تنظم النشاط الاجتماعى وتشبع الميول والحاجات تحت اشراف الكبار .

وفى سن المدرسة تظهر ميول الطفل ويهتم ببعض الهوايات ويقوم مفهوم الهواية على أساس وقت الفراغ المتاح أو الممكن بالنسبة للطفل مع قيامه بالنشاط المدرسى والواجبات المنزلية وعلى أساس ميوله واهتماماته ومدى نشاطه الاجتماعى واتصاله برفاق سنة والامكانات المادية المتاحة . وقد تكون الهوايات فردية أو جماعية . ومن الهوايات المعروفة جمع الطوابع والنقود التذكارية وصور المشاهير والتحف الأثرية وبناء النماذج وأعمال النجارة والميكانيكا والقراءة والكتابة والموسيقى والرسم والتصوير والتمثيل وتربية الطيور والحيوانات الأليفة ... إلخ . وتلعب النوادى دوراً هاما فى تشجيع الهوايات الجماعية . وتقوم كثير من الشركات بتصنيع مجموعات مخصصة لهواة النجارة والميكانيكا والكهرباء والكيمياء . ويجب تشجيع الهوايات التى تستهوى الطفل وتستوعب وقت فراغه وتنمى العادات الحسنة مثل النظافة والمعرفة والتفكير البناء والانشاء والصداقات الاجتماعية .

وإذا توافرت أسباب الجناح المبكر تظهر بدايات الفشل الدراسى والتشرد والهروب والسرقة والتخريب ... إلخ .

وقد يتعرض الأطفال خلال عملية التنشئة الاجتماعية إلى مؤثرات تكسبهم التعصب ، والتعصب هو اتجاه نفسى مشحون انفعاليا نحو أو ضد جماعة أو فكرة معينة وقد وجد فى بعض الدراسات أن بذور التعصب تبدأ فى الطفولة المبكرة حيث يفضل الطفل أفراد جنسه وسلالته على غيرهم،ولا يظهر التعصب ضد الأجناس والسلالات الأخرى ومع النمو يلاحظ أن الطفل يكتسب التعصب ضد أفراد جنس أو سلالة معينة ليس لعيوب شخصية فى هؤلاء الأفراد ولكن لمجرد انتمائهم إلى هذا الجنس أو تلك السلالة التى يتعصب الأهل أو المجتمع ككل ضدها . والحقيقة ان التعصب يعتبر أحد الأمراض الاجتماعية وله بضع نواح سيئة ، فهم عنصر مضايقة لأولئك الذين يتعصب المواطنون ضدهم ، وهو حالة غير صحية فى الفرد المتعصب، وهو يؤدى إلى مشكلات للجماعة والمجتمع . ومن مساوئ التعصب عند الذين يتعصبون أن يصاحبه القلق وتهديد الأمن والعدوان والتسلطية ، وعند الذين يتعصب ضدهم يؤدى إلى مشاعر الغضب كاستجابة طبيعية وتكوين تعصب مضاد .

والمستوى المطلوب للنمو الاجتماعى للطفل فى هذه المرحلة كما يحدده مقياس فاينلاند للنضج الاجتماعى هو :

فى العام العاشر :

- يعد الأكل لنفسه ، ويساعد نفسه وهو يتناول طعامه .

- **يشترى أشياء مفيدة ويختار وهو يشترى وحده ويحسب بدقة ثمن ما يشترى .**
- **يتجول فى البيئة المحلية بحرية وحده أو مع أصدقائه . وقد يكون هناك أماكن ممنوعة .**
- **يقوم ببعض المهام المفيدة ، ويوصل الرسائل .**

فى العام الحادى عشر :

- **يكتب خطابات قصيرة إلى الأصدقاء ، والأقارب من تلقاء نفسه أو بقليل من المساعدة فى هجاية بعض الكلمات الصعبة ويكتب العنوان على الظروف ويضع طابع البريد .**
- **يقوم ببعض الأعمال المنزلية من تلقاء نفسه .**
- **يجيد قراءة الجرائد والاستماع إلى الراديو ومشاهدة التليفزيون ويستفيد من المعلومات التى تقدم فى البرامج .**
- **يستعمل التليفون ويجيد المحادثة .**

فى العام الثانى عشر :

- **يعمل بعض الأعمال المفيدة ويقوم باصلاح الأشياء . ويستطيع عمل بعض الأشياء فى المطبخ وفى الحديقة . ويكتب قصصا مختصرة ويرسم لوحات بسيطة .**
- **يقرأ الكتب والصحف والمجلات والمقالات والأدب .**
- **يرعى نفسه جيدا عندما يترك وحده فى المنزل أو فى العمل ويمكن أن يرعى الأطفال الأصغر منه إذا تركوا فى رعايته .**

- **يغسل شعره ويجففه .**

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **أن تكون الاتجاهات الوالدية نحو الطفل وتربيته موجبة بحيث يتجنب التسلط والحماية الزائدة ، والاهمال والرفض ، والتدليل والقسوة ، واثارة الألم النفسى ، والتذبذب ، والتفرقة . ويجب أن يفحص الكبار ما لديهم من اتجاهات ويعدلونها ، وأن يكون ذلك من وجهة نظر الطفل ، لأن هذه الاتجاهات هى التى سيعتنقها الطفل ويسترشد بها فى حياته .**
- **استخدام الأساليب العلمية بقدر الامكان فى تكون الجماعات .**
- **أهمية الانضمام إلى جماعات الكشافة والأشبال فى المدرسة .**
- **أهمية الرحلات والمعسكرات والتدريب على القيادة وتحمل بعض المسئولية الاجتماعية .**
- **تعليم التفاعل والتعاون الاجتماعى السليم مع الأصدقاء ، واتساع دائرة المعارف وإعطاء الطفل فرصة ممارسة مسئولية اختيار أصدقائه .**
- **تعليم الطفل مراعاة الفروق الفردية بين الناس واحترام هذه الفروق الجسمية والعقلية والفروق فى القيم والعقائد ... إلخ .**
- **أهمية مشاركة الطفل فى الخبرات الاجتماعية مع كل من الأطفال والكبار وتنمية حساسيته لحاجات ورغبات الآخرين**

واستعداده للتوافق معهم وتنمية المهارات الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية اللازمة للتوافق الاجتماعى .

- **اتاحة الفرصة أمام الطفل للمشاركة فى إعداد قواعد السلوك ومعاييره وفى مناقشة ما ينبغى اتخاذه من خطوات لتحسين سلوك الفرد والجماعة .**
- **تقدير فردية الطفل ، وتنمية شخصيته الاجتماعية . وعلى الأخصائية الاجتماعية دور هام فى هذا الصدد .**
- **تشجيع الاستقلال عند الطفل والتخفيف من سلطة الضبط كلما أبدى استعداده لضبط نفسه .**
- **حماية الطفل – فى حالة خروجه إلى العمل وهذا يجب ألا يحدث – من الاهمال والقسوة والاستغلال فلا يعمل فى مهنة تعوق تعليمه أو تؤذى صحته أو تعوق نموه**
- **أهمية التوافق الاجتماعى والحرص من انضمام الطفل إلى جماعة جانحة ، وعلاج أى انحراف و شذوذ فى النمو الاجتماعى .**
- **الاهتمام بالنمو الاجتماعى للأطفال أثناء العطلات الصيفية وذلك بفتح أبواب المدارس والنوادى أمامهم لتمضية أوقات الفراغ فى نشاط اجتماعى مفيد تحت الاشراف والتوجيه الاجتماعى .**

النمو الجنسى :

هذه مرحلة ما قبل البلوغ الجنسى . إنها مرحلة ما قبل المراهقة .

مظاهره :

ما زال أكثر الاهتمام الجنسى كامنا أو موجها نحو نفس الجنس ، وقد تتجدد الأسئلة الخاصة بالولادة والجنس والجماع ، وإنما فى مستوى أرقى ويلاحظ اللعب الجنسى .

تطبيقات تربوية :

يجب على الوالدين والمربين مراعاة ما يلى :

- **القيام بواجبهم فى التربية الجنسية .**
- **ملاحظة أى نوع من أنواع الاضطرابات الجنسية وعلاجها مبكرا .**
- **العمل على اعتبار النمو الجنسى والناحية الجنسية جزءا عاديا من الحياة وليس أمرا شاذا أو قبيحا ، وتجنيب الطفل أى نوع من الشعور بالاثم والخطيئة .**
- **تنمية الارتياح والرضا بالجنس الذى ينتمى إليه الطفل (خاصة الاناث) .**
- **الاعداد التربوى السليم لاستقبال التغيرات الجنسية التى ستطرأ فى مستهل مرحلة المراهقة .**

الفصل الثامن
المراهقة

الفصل الثامن

مرحلة المراهقة

عندما يصل النمو بالفرد إلى نهاية الطفولة المتأخرة فإنه يسير قدماً نحو البلوغ الذى لا يتجاوز عامين أو ثلاثة من حياة الفرد ، ثم يتطور البلوغ إلى مرحلة المراهقة التى تمتد حتى تصل بالفرد إلى اكتمال النضج فى سن الرشد وذلك عندما يبلغ العمر الزمنى حوالى ٢١ سنة فالبلوغ إذن بهذا المعنى هو القنطرة التى تصل الطفولة المتأخرة بالمراهقة ، والمراهقة هى مرحلة الإعداد للشباب .

معنى البلوغ :

يعرف البلوغ بأنه مرحلة من مراحل النمو الفسيولوجى العضوى التى تسبق المراهقة وتحدد نشأتها وفيها يتحول الفرد من كائن لا جنسى إلى كائن جنسى قادر على أن يحافظ على نوعه واستمرار سلالاته ، وتتميز مرحلة البلوغ بأنها المرحلة الثانية فى حياة الفرد التى تصل فيها سرعة النمو إلى أقصاها ، هذا وتمتد المرحلة الأولى للنمو السريع من قبل الميلاد إلى منتصف السنة الأولى بعد الميلاد ، ويؤدى النمو السريع فى البلوغ إلى إحداث تغيرات جوهرية عضوية ونفسية فى حياة الفرد ولذا يختل اتزان البالغ لاختلاف السرعة النسبية للنمو والسرعات الجزئية المصاحبة لها ، وهذا يشعر الفرد بالارتباك ويميل أحياناً إلى ما يشبه الشذوذ ، وهو بذلك لم يعد طفلاً فلا ينتمى إلى عالم الطفولة ولم يصبح راشداً ، إنه مخلوق حائر لا يدرى أين يجد عالمه الذى يستجيب له ومعه .

المدى الزمنى لمرحلة البلوغ :

يختلف المدى الزمنى لمرحلة البلوغ تبعاً لاختلاف الجنس ذكراً كان أم أنثى ، ويختلف أيضاً تبعاً لاختلاف العوامل الوراثية التى تحدد السلالة التى ينحدر منها الفرد ، وتبعاً لاختلاف البيئة الجغرافية الطبيعية التى يعيش الفرد فى إطارها إذ من المعروف الآن أن سكان المناطق المعتدلة يبلغون أسرع من سكان المناطق الحارة والباردة ، ومن المعروف أن سكان المدن يبلغون قبل سكان القرى ، ومهما يكن من أمر هذه النواحى فالفتاة تبلغ مثل الفتى وتمتد بها مرحلة البلوغ من حوالى سن العاشرة

إلى أن يصل عمرها إلى ١٣ سنة ، ويختلف الفتى عنها فلا يبلغ حتى يصل عمره إلى ١٢ سنة وتمتد به هذه المرحلة إلى أن يصبح عمره مساوياً لـ ١٤ سنة

هذا ولا يعنى هذا التحديد أن كل فتاة تبلغ فى سن ١٠ سنوات ولا أن كل فتى يبلغ فى سن ١٢ سنة ، وذلك لأن الفروق الفردية تؤثر تأثيراً واضحاً فى هذه الظاهرة ، ولذا فقد يصل مدى هذه المرحلة إلى أربع سنوات أو يزيد عليها أو ينقص علنها ، ومعنى هذا أن هذه الحدود هى فى جوهرها متوسطات عامة ، وينطبق عليها كل ما ينطبق على المتوسطات من خواص وصفات ، أى أنها لا تمثل إلا الخواص العامة للظاهرة التى نقيسها .

أسباب البلوغ :

تبدأ الإرهاصات الأولى للبلوغ فى الطفولة المتأخرة ، وذلك بما يقرب من ٥ سنوات قبيل البلوغ حيث تبدأ الغدة النخامية بتنشيط الغدد التناسلية ونضجها وهكذا يبدأ إفراز الهرمونات الجنسية للذكور والإناث تبعاً لهذا التأثير ، وهذه الهرمونات الجنسية تعمل بدورها على نمو الأعضاء التناسلية حتى تصل إلى نضجها الصحيح فى نهاية مرحلة البلوغ ، وبذلك يعتمد البلوغ على التفاعل القائم بين هرمونات الغدة النخامية والهرمونات التناسلية .

هذا ويعتمد البلوغ على مدى تحكم القشرة المخية فى النضج الجنسى للفرد وتسيطر القشرة المخية على النشاط الجنسى عن طريق ما يسمى بما دون الجذع العصبى Hypothalmus وقد دلت التجربة التى قام بها شرينر Sehreiner وكلينج Kiling على أن إزالة بعض الأجزاء من مخ القطة يجعلها فى حالة تهيج جنسى مستمر .

ويتأثر البلوغ بنوع وكمية الغذاء الذى يتناوله الفرد فكثرة البروتين تؤدى إلى التكبير بالبلوغ ، وكثرة المواد الكربوهيدارتية تؤدى إلى تأخير البلوغ ، ونقص الغذاء يؤخر بدء البلوغ ، ويؤثر أيضاً على النشاط الجنسى للفرد كما تدل على ذلك التجارب التى تجرى على تجويع الفئران ، وكما يدل على ذلك سلوك الأفراد فى معتقلات الحرب ، وذلك حينما يتعرضون للجوع فتضعف تبعاً لذلك رغبتهم الجنسية

مراحل البلوغ :

تمر مرحلة البلوغ بثلاث مراحل جزئية نلخصها فيما يلى :

١- المرحلة الأولى :

ويبدأ ظهور المظاهر الثانوية للبلوغ مثل خشونة الصوت عند الذكور ، وبروز الثديين عند الإناث .

٢- المرحلة الثانية :

وفيها إفراز الغدد الجنسية فى الأعضاء التناسلية المختلفة عند الذكور والإناث ، ويستمر أيضاً ظهور ونمو المظاهر الثانوية للبلوغ التى بدأت فى المرحلة السابقة .

٣- المرحلة الثالثة :

عندما تصل المظاهر الثانوية إلى اكتمال نضجها وعندما تصل الأعضاء التناسلية إلى تمام وظيفتها تصل هذه المرحلة الثالثة من مراحل البلوغ إلى نهايتها وفى الحالة يكون الفرد قادر على الزواج والإنجاب بأذن الله .

تعريف المراهقة :

المراهقة هى : مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الرشد والمصطلح فى اللغة العربية هو مصدر لفعل " راهق " أى قارب الحلم .

والمصطلح فى اللغة الإنجليزية Adolescence مشتق من الفعل اللاتينى Adolescere ومعناه التدرج نحو النضج .

ويشير بياجيه إلى أن المراهقة من وجهة نظر علم النفس تعنى العمر الذى يندمج فيه الفرد مع عالم الكبار والعمر الذى لم يعد فيه الطفل يشعر أنه أقل ممن هم أكبر منه سناً ، بل هو مساوٍ لهم فى الحقوق على الأقل .

وتبدأ المراهقة بالبلوغ وتمتد حتى سن الرشد فى ٢١ سنة تقريباً ، وهى الطور الذى يمر فيه الناشئ وهو الفرد غير الناضج جسمياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً – نحو بدء النضج الجسمى والعقلى والانفعالى والاجتماعى . (أحمد زكى صالح ، ١٩٧٢، ١٩٣)

وتمثل المراهقة فترة حرجة فى حياة الفرد ، بمعنى أنها تحتاج إلى تكيف من نوع جديد يختلف تماماً عما كان الفرد قد تعود عليه من قبل .

وهى تبدأ عادة بنهاية مرحلة الطفولة وتنتهى بابتداء مرحلة الرشد أو النضج ، إذ عندما يصل النمو بالفرد إلى نهاية الطفولة المتأخرة ، فإنه يسير قدماً نحو البلوغ الذى لا يتجاوز عامين أو ثلاثة من حياة الفرد ، ثم يتطور البلوغ إلى مرحلة المراهقة التى تمتد حتى تصل بالفرد إلى اكتمال النضج فى سن الرشد وذلك عندما يبلغ من العمر الزمنى حوالى ٢١ سنة ، فالبلوغ إذن هو القنطرة التى تصل الطفولة المتأخرة بالمراهقة ، والمراهقة هى مرحلة الإعداد للرشد .

ويتراوح المدى الزمنى للمراهقة بين الطول والقصر حسب نوعية الأسرة وبنيتها ومستواها الاجتماعى الاقتصادى وثقافتها ، كما أن طول هذه الفترة أو قصرها يتذبذب من وقت لآخر فى المجتمع الواحد وفق الظروف الاقتصادية وغيرها

وكان من المعتقد حتى وقت قريب أن مرحلة المراهقة هى بطبيعتها مرحلة زوابع وعواصف نفسية ، أى أن الاعتقاد الذى كان يسود هو أن الضغوط والاضطرابات النفسية التى نلاحظها على المراهق هى نتيجة طبيعية لما يمر به من تحولات بيولوجية ، وقد لاقت هذه الفكرة الكثير من الذيوع فى بداية القرن الحالى على يد " ستانلى هول " الذى اعتقد أن من طبيعة المراهق أن يتأرجح بين النقيض والنقيض من الحالات النفسية فى تتابع سريع متلاحق، فالمراهق قد يبدوا سعيداً متفائلاً فى يوم ما ، ثم تعيساً متشائماً مكتئباً فى اليوم التالى .

وأصبح هذا الميل للانتقال من حالة مزاجية إلى أخرى فى خلال فترة وجيزة عند المراهق يعرف " بأزمة المراهقة " إشارة إلى حتمية التلازم بين فترة المراهقة والأزمات النفسية الاجتماعية ، بل وقد شبه البعض سلوك المراهق فى حالاته القصوى بنوبات الفصام ، فالكثير من الخصائص التى تميز سلوك المراهق العادى فى بعض الأحيان قد تشبه السلوك الفصامى إلى حد كبير مثل

الشـــعور بـــالاختلال وســـهولة الانقيـــاد وســـرعة التقلـــب والحـــديث عـــن الانتحار .

وقد أيدت بعض النظريات هذه النظرة إلى مرحلة المراهقة ومنها نظرية التحليل النفسى التى تعتبر مرحلة المراهقة مرحلة نفسية بيولوجية لها خصائصها العامة فى جميع البشر أينما عاشوا بصرف النظر عن نوع الثقافة التى يعيشون فيها ، غير أن الكثير من الدراسات التى أجريت أظهرت ما يعارض هذه النظرة ، مما دعا إلى الاعتقاد بأن مشكلات المراهقة – إن وجدت – فإنها ترجع إلى الظروف الثقافية التى يعيش فيها الفرد ، وليس إلى مجرد تطوره البيولوجى ، وقد أيدت الدراسات التى أجرتها " مارجريت ميد " فى جزيرة " ساموا " لبعض القبائل البدائية التأثير الثقافى على المراهقين حيث أن ما يسمى بأزمة المراهقين لا وجود له فى هذه المجتمعات البدائية .

واجبات النمو فى مرحلة المراهقة :

(يشير محمد عماد الدين إسماعيل ، ١٦٠ – ١٦٤) إلى أن أهم واجبات النمو فى هذه المرحلة هى :

١ – الاستقلال الذاتى :

يدخل كل من الولد والبنت مرحلة المراهقة وهما فى حالة اعتماد على أبويهما طول مدة الطفولة إلا أن هذه العلاقة ليست هى المميز للشخص الراشد والمراهق يتعجل الوصل إلى هذه المرحلة ، أى مرحلة الرشد ، وبالتالى فإنه يتعجل الاستقلال ، الاستقلال أمر طبيعى إذ أن المراهق سوف لا يصبح راشداً بمعنى الكلمة إذا كان أبواه هما اللذان يقرران له كل شئ ويتصرفان فى شئونه دون رأيه أو مشورته وعلى ذلك تصبح مرحلة المراهقة مرحلة حساسة من هذه الناحية ، كيف يتخلص المراهق من السلطة الأبوية أو غيرها من السلطات التى تمارس عليه ضغطاً أو مجرد عدم اعتراف وهو الذى وصل إلى هذه الدرجة من النضج الجسمى والعقلى ما يمكنه من معرفة مصلحته الشخصية على الأقل هذا هو شعوره الذى يكون لديه.

٢ – تكوين علاقات سوية بجماعة الرفاق :

ويدخل فى هذا الإطار علاقات المراهق بأصدقائه وبجماعة الرفاق وبزملائه فى الدراسة ، أو بغيرها ممن يتصل بهم فى حياته بشكل عام ، خارج أعضاء السلطة فى المنزل أو فى المدرسة ، وتلعب هذه العلاقات دورها فى أزمات المراهق ، من حيث ما يمكن أن يقوم بينه وبين الآخرين من الزملاء ، مثلاً من خلافات على التعاون أو الانقياد أو الزعامة أو غير ذلك من أشكال العلاقات التى قد لا ترضى ذاتية المراهق ورغبته فى الشعور بالتفرد ، كيف يتخلص المراهق من الاعتماد الكلى أو الخضوع التام لفكرة الجماعة عنه ، حيث أنه لم يعد صغيراً كما كان ؟ كيف يمكنه أن يحتفظ بعلاقته بهم دون تسلط وانزواء ؟ هذه هى بعض الأسئلة التى تعبر عن المواجهة بين المراهق وبين أعضاء مجتمعه من الرفاق ، والتى قد يترتب عليها الكثير من الأزمات النفسية والاضطرابات فى علاقاته وسلوكه الاجتماعى ، وهذا أمر طبيعى بالنسبة لشخص مازال فى مرحلة انتقال بين الطفولة والرشد ، لم يتدرب بعد على المهارات الاجتماعية التى يمكن أن تقيه من هذه الأزمات .

٣- الاستقلال الاقتصادى اختيار المهنة :

إن الشخص لا يكون راشد بمعنى الكلمة ، ما لم يكن قادراً على كسب عشيه بنفسه ، وهذا هو ما يصبو إليه المراهق ، فهل يبدأ من الآن أم يكمل تعليمه ؟ ولأى مهنة يعد نفسه ؟ لما يميل إليه هو أم لما قد يجبره عليه أبوه ، وهل تستمر البنت فى التعليم أم لا ؟ وإذا تعلمت فهل تتعلم تعليماً خاصاً لم لا فرق بينها وبين الولد ؟ كل هذه وأمثالها من مواقف يواجه فيها المراهق مجتمعه (المنزل بشكل خاص) ، ويترتب على ذلك الكثير من الأزمات التى قد يكون لها تأثير كبير فى نمو الفرد فى هذه الفترة الحرجة .

إن اختيار المهنة والإعداد لها هو نقطة تحول كبير فى مجتمعاتنا المعاصرة ، ومن هنا تأتى أهمية المواجهة فى هذه المواقف التى تتصل بالاستقلال الاقتصادى

٤- تحديد الدور الجنسى :

لقد سبق للطفل أن حدد دوره الجنسى فى مرحلة الطفولة المبكرة ، فأستطاع أن يفرق بين الذكر والأنثى ، واستطاع كذلك أن يتعرف على ما يتوقعه المجتمع – سلوك

الأطفال الذكور وسلوك الأطفال الإناث وربما كان التأكيد هنا على صفتين أساسيتين هما العدوانية فى مقابل الأتكالية ، ففى حين لا يقبل من الطفلة وبالعكس حين لا يقبل منها أن تكون عدوانية قوية قد يؤكد ذلك بالنسبة للولد .

على أن الصورة بالنسبة للمراهق لا تتوقف عند هذه التفرقة البسيطة بل تضاف إليها عدة ملامح هامة تحدد ما يجب أن يكون عليه كل من الرجل والمرأة فى مجتمع الراشدين ، ففى تصور المراهق أن الثقافة قد تتوقع من الرجل أن يكون أميل إلى السيطرة أكثر عدوانية ، أقدر على المبادأة ، أشد اهتماماً بالتحصيل ، وذلك فى الوقت الذى يتوقع فيه من المرأة أن تكون أميل إلى التنازل أو الإذعان ، أكثر عاطفية أشد حنواً وأكثر إظهار للرعاية .

وفى الوقت الذى كان فيه الطفل قبل مرحلة المراهقة يركز ميوله وعواطفه نحو أقرانه من نفس الجنس ، نجد أنه عند المراهقة وخاصة قرب نهايتها يبدأ الجنس الآخر يحتل مكاناً هاماً فى حياته العاطفية ذلك أنه خلال هذه المرحلة يستعد لاختيار شريك حياته من الجنس الآخر ، ولاشك أن التغيرات الجسمية التى تحدث فى بداية مرحلة المراهقة يكون لها تأثير كبير فى استثارة هذا الميل الجديد .

وإذن فبنهاية مرحلة المراهقة تتوقع الثقافة من الفرد أن يكون رجلاً أو امرأة بالمعايير التى تتبناها سواء من الناحية الجسمية أو من الناحية السلوكية ، والمراهق فى عجلة من أمره أو من حيث المظهر العام الذى يعد نفسه لأدائه فى مرحلة الرشد أو من حيث المظهر العام الذى سيكون عليه ، أما الثقافة التقليدية فموقفها محدد من هذه الأمور جميعاً مما قد يتعارض أو يتوافق مع حاجات المراهق الملحة ، وعلى ذلك إذا لم يستطيع المراهق أن يتصور إمكانية تحقيقه توافق ما بين حاجاته العاجلة وبين توقعات المجتمع منه فسوف يقع فى أزمات تختلف حدة أو خفة تبعاً للثقافة الفرعية التى ينتمى إليها .

٥- تبنى إطار خلقى :

إن من خصائص النمو للمراهق هى قدرته على إدراك المجردات وبالتالى قدرته على التفكير المجرد ، ولكن فى الوقت الذى يشعر فيه المراهق أنه يستطيع أن يفكر " كالكبير " فإن الموقف التقليدى للثقافة التى يعيش فيها يؤكد أنه لازال صغيراً وأن

المرحلة التى يمر بها ما هى إلا امتداد لطفولته ، بدلاً من أن يعتبرها إعداداً للمرحلة القادمة ، وكنوع من الثورة على هذا الموقف وتأكيداً لنمو قدراته العقلية الجديدة فقد يبدأ المراهق يشك ويستجوب ، وأحياناً يستنكر جميع الأوامر والنواهى والحقائق التى كان يتلقاها وُيلقنها عندما كان صغيراً ، يبدأ يناقش الأمور التى كان يسلم بها تسليماً ، كالدين والنظم الاجتماعية والمعايير الخلقية ، والتقاليد والعادات ، وكل ما يحيط به من قضايا فكرية ، بل قد يصل الأمر بالمراهق إلى أبعد من ذلك ، فى مواجهة هذه الأمور المجردة ، فقد يصل إلى الحد الذى يبدأ عنده يتساءل عن ماهية الحياة وقيمتها ، عن المثل الأعلى الذى يمكن أن يقتدى به ، وباختصار فإنه يكون فى حاجة إلى فلسفة عامة للحياة تقوده عبر كل هذه المشاكل والمواجهات .

أهمية مرحلة المراهقة :

يعد الشباب فى مرحلة المراهقة ثروة بشرية هائلة فهذه المرحلة هى المرحلة التى يتخير فيها المراهق نوع الدراسة أو المهنة وهى السن التى يتعلم فيها المهارات اللازمة لإتقان المهنة التى يختارها وهى المرحلة التى تتبلور فيها قيمه واتجاهاته العقلية والخلقية والاجتماعية مما يجعلها مرحلة بالغة الأهمية لكل من الفرد والمجتمع .

ففى هذه المرحلة يعد الفرد نفسه ليبدأ العطاء والبذل لمجتمعه ، ويلزمنا هذا ببذل كل ما فوسعنا للحفاظ على هذه الطاقة البشرية ، والعمل على تنميتها واستثمارها بأفضل صورة ممكنة ، فالإنسان هو محور عملية التقدم ، ولا يمكن لأى عملية تنمية تجاهله والاهتمام فقط باستثمار الثروات الطبيعية وإهمال العنصر البشرى والذى يعنى أن نخسره كطاقة بناء وإنتاج ، وقد يفضى هذا الاهتمام إلى تحول الشباب فى هذه المرحلة إلى طاقة تدمر نفسها ومجتمعها ، هذا بالنسبة لأهمية مرحلة المراهقة من ناحية المجتمع .

أما من ناحية الفرد ، فتعد هذه المرحلة من أكثر مراحل النمو حرجاً لأنها يتحدد فيها مستقبل الفرد بدرجة كبيرة كما أنها فترة تكتنفها الكثير من الصعوبات والصراعات والقلق ، والفرد فيها عرضة للجنوح ما لم يجد العون اللازم من الآخرين ، وبالنسبة

لكثير من الأفراد المنحرفين والمضطربين سلوكياً كانت بذور وبدايات انحرافهم فى هذه المرحلة .

كما أن بعض الأعراض النفسية والعقلية تنفجر فى مرحلة المراهقة ، حيث تكون البذور كامنة منذ الطفولة ، وتهيئ الصعوبات والتوترات والصراعات المرتبطة بالمراهق المناخ الملائم للظهور فتبدأ الاضطرابات النفسية والعقلية كمؤشر على إخفاق الفرد فى مواجهة الصراع ، وعدم قدرة " الأنا " لديه على حل الصراعات بنوعيها الصراعات بنوعيها الداخلى والخارجى ، وتمثل هذه الاضطرابات أساليباً غير سوية للتوافق لدى الفرد مع ذاته ومجتمعه .

ويتضح ما سبق أهمية مرحلة المراهقة بالنسبة لكل من الفرد والمجتمع مما يجعل من رعاية المراهقين أمراً بالغ الأهمية .

المميزات العامة لمرحلة المراهقة :

تشير " هيرلوك " (سيد محمود الطواب ، ٣٢٤ – ٣٣١) إلى أن مرحلة المراهقة تتسم بمميزات تنفرد بها عن باقى مراحل النمو السابقة واللاحقة والتى تتمثل فيما يلى :

١ – المراهقة مرحلة هامة فى حياة الفرد :

فبينما كل مراحل النمو هامة بالنسبة للفرد إلا أن بعضها أكثر أهمية من الآخرى ، وذلك إما بسبب تأثيراتها الحالية على الاتجاهات والسلوك أو بسبب تأثيراتها تكون طويلة المدى فى حياة الفرد ، ولكن مرحلة المراهقة تجمع بين الأهميتين حيث أن لها تأثيرات حالية وتأثيرات طويلة المدى .

وإذا كانت بعض المراحل هامة بسبب تأثيراتها الجسمية أو بسبب تأثيراتها النفسية ، فإن مرحلة المراهقة هامة لأنها تجمع بين السببين أيضاً ، كما يصاحب النمو الجسمى السريع الهام ، خاصة فى المراهقة المبكرة تطور عقلى سريع أيضاً يتطلب توافقات عقلية جديدة ، كما يتطلب بناء اتجاهات وقيم وميول جديدة أيضاً .

٢ – المراهقة مرحلة انتقالية :

ولا يعنى الانتقال تغير عما حدث من قبل ، ولكنه يعنى مروره إلى مرحلة أخرى وهذا يعنى أ ما حدث من قبل سوف يترك بصماته على ما يحدث الآن ، وما سوف يحدث فى المستقبل .

إن الأطفال عندما ينقلون من الطفولة إلى الراشد خلال المراهقة يجب أن يتخلصوا من الأشياء الطفلية (الصبيانية) ، كما يجب أن يتعلموا أشكالاً جديدة من السلوك والاتجاهات بدلاً من الأشكال القديمة التى تخلوا عنها ، إن ما يحدث فى المراهقة ، وسوف يؤثر فى الأنماط الجديدة من السلوك والاتجاهات .

فالتغيرات الجسمية التى تحدث خلال سنوات المراهقة الأولى تؤثر فى مستوى سلوك الفرد وتقوده إلى إعادة تقييم لاتجاهاته وقيمه السابقة وكذلك لكل عملياته التوافقية .

إن حالة الفرد فى أى مرحلة انتقالية غالباً ما تكون غامضة خاصة بالنسبة للأدوار الاجتماعية التى يمكن أن يلعبها ، فالمراهق فى هذا الوقت ليس طفلاً ، كما أنه ليس راشداً ، فإذا سلك مثل الأطفال فإن يؤنب من جهة الكبار ، ويطلب منه أن يسلك وفقاً لسنه ، أما إذا سلك مثل الكبار فإنه يتهم بأنه صغير على هذا السلوك .

وهذه الحالة الغامضة للمراهقين لها مميزات من حيث أنها تعطيهم الوقت الكافى لمحاولة تجريب أنماط من الحياة حتى يحددوا أى الأنماط السلوكية والقيم لاتجاهات التى تناسب حاجاتهم بصور أفضل .

٣- المراهقة مرحلة تغير :

حيث تحدث تغيرات سريعة فى جميع جوانب الفرد وفى سلوكه واتجاهاته ، وتؤدى هذه التغيرات إلى النتائج التالية :

أ) زيادة الانفعالية التى تعتمد شدتها على معدل التغيرات الجسمية والنفسية التى تحدث ، وعادة ما تحدث هذه التغيرات بسرعة أكبر خلال المراهقة المبكرة ، لذا يكون الجانب الانفعالى أكثر شدة فى بداية المراهقة أكثر من نهايتها .

ب) أن التغيرات السريعة التى تصاحب النضج الفسيولوجى تجعل المراهقين الصغار غير متأكدين من أنفسهم وقدراتهم وميوله ، إن لديهم إحساساً قوياً بعدم

الاستقرار ذلك الشعور الذى تؤكده المعاملة الغامضة التى يتلقاها المراهقون من الوالدين والمعلمين والكبار بصفة عامة .

ج) إن التغيرات الجسمية وما يصاحبها من تغيرات فى الميول وفى الأدوار الاجتماعية المتوقع أن يلعبها المراهقون تخلق مشكلات جديدة تبدو لهم أكثر عدداً وأقل حلاً مقارنة بالمشكلات التى واجهوها من قبل وحتى يستطيعوا حل هذه المشكلات إلى المستوى المرضى ، يظل المراهقون مشغولين بها وبأنفسهم .

د) وكما تتغير الميول وأنماط السلوك تتغير أيضاً القيم فما كان هاماً لهم كأطفال يبدو أقل أهمية لهم الآن وهم على حافة الرشد ، فمثلاً لم يعد معظم المراهقين يرون أن عدد الأصدقاء أكثر أهمية من نوعية هؤلاء الأصدقاء ، أنهم بدأوا يتعرفون بأن النوع أكثر أهمية من الكم .

هـ) يتردد معظم المراهقين أمام هذه التغيرات التى يمرون بها حيث توجد لديهم مشاعر متصارعة مترددة ، أنهم يريدون الاستقلال ، لكن غالباً ما يفزعون من المسئولية التى تتمشى مع هذا الاستقلال ويتساءلون عن ذى إمكانية التأقلم مع هذه المسئوليات .

٤- مرحلة المراهقة تمثل مشكلة :

حقيقة أنه لكل عمر مشكلاته الخاصة ، إلا أن مشكلات المراهقة غالباً ما تكون صعبة فى التأقلم معها سواء بالنسبة للفتيان أو الفتيات على حدً سواء ويعود ذلك إلى سببين :

أ) خلال الطفولة استطاع الأطفال حل مشكلاتهم جزئياً على الأقل عن طريق الوالدين والمدرسين ، ونتيجة لذلك ، فإن كثيراً من المراهقين لم يخبروا من قبل مواجهة المشكلات بمفردهم .

ب) يريد المراهقين غالباً الشعور بالاستقلال ، ولهذا فهو يطلب حق التكيف مع المشكلات بمفرده رافضاً محاولات الوالدين والمعلمين لمساعدته ، وبسبب عدم قدرته على التأقلم مع المشكلات بمفرده مع اعتقاده بأنه قادر على ذلك ، لا تأتى الحلول دائماً حسب توقعات كثير من المراهقين .

٥- المراهقة مرحلة البحث عن الهوية :

إن المسايرة لمعايير الجماعة فى الطفولة المتأخر عملية أكثر أهمية للأطفال الأكبر سناً ، حيث يكون اهتمامهم الأول الجماعة أكثر من الفردية ، ويبدو ذلك فى الكلام والملبس والسلوك حين يحاول الأطفال الكبار أن يكونوا مثل أقرانهم تماماً فى الجماعة ، وأن أى انحراف عن معايير الجماعة فيه نوع من التهديد فى عملية الانتماء لهذه الجماعة .

أما فى سنوات المراهقة المبكرة فبالرغم من أن عملية المسايرة مازالت هامة بالنسبة للجنسين إلا أنهما بالتدريج يبحثان عن الهوية والذاتية ، لم يعد هؤلاء المراهقين يهتمون بالتشبيه بأقرانهم فى كل مجال كما كانوا من قبل .

إن الحالة الغامضة للمراهق فى عدم كونه طفلاً أو راشداً ، تسهم بدرجة كبيرة فى أزمة الهوية أو ما يسميه إريكسون " بالهوية الذاتية Ego Identity " ويري إريكسون أن الهوية التى يبحث عنها المراهق تتمثل فى الآتى :

من هو؟ ما دوره فى المجتمع ، هل هو طفل أم راشد ؟ هل يمكن أن يشعر بالثقة بالنفس بالرغم من أن بعض الناس ينظرون إليه على أنه أقل منهم وفقاً لجنسيته أو دينه أو لطبقته الاجتماعية ؟ وبصفة عامة هل سيكون ناجحاً أم فاشلاً فى المستقبل ؟

إن إحدى الطرق التى يلجأ إليها المراهقون للشعور بأنفسهم كأفراد لديهم كيانهم الخاص هى استخدام الرموز سواء فى الملابس أو الأدوات الشخصية أو السيارات أو الكتب ، والتى تشير إلى الانتماء إلى جماعة أو نادى معين أو مستوى معين .

ويأمل المراهقون بهذه الطريقة جذب انتباه الآخرين إليهم ليعرفوهم كأفراد مستقلين محتفظين فى نفس الوقت بانتمائهم إلى جماعة الأقران .

٦- المراهقة مرحلة مفزعة :

تتضمن الكثير من الاعتقادات الشائعة عن المراهقين آراء سلبية عنهم فتنظر للمراهقين على أنهم جماعة صبيانية لا يمكن الاعتماد عليها ، وغالباً ما تتجه إلى التخريب والسلوك المضاد للمجتمع ، الأمر الذى جعل كثير من الراشدين المسئولين عن إرشادهم يكونوا غير متعاطفين فى اتجاهاتهم ومعاملتهم لسلوك المراهقين العادى ، كما أثرت هذه النمطية الشائعة عن المراهقين فى مفهوم الذات واتجاهاتهم نحو أنفسهم الأمر الذى جعل الانتقال من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد عملية صعبة .

٧- المراهقة مرحلة البعد عن الواقعية :

يميل المراهقون إلى النظر إلى الحياة بنظارة وردية ، فهم يرون أنفسهم وأصدقائهم كما يريدون أن يروهم ، وليس كما هم عليه بالفعل ، ويظهر هذا بصورة جلية فى مستويات طموح المراهقين ، هذه الطموحات غير الواقعية ليست لهم فقط بل تشمل أسرهم وأصدقائهم والتى تعود فى جزء كبير منها إلى الانفعالية العالية التى تميز المراهقة المبكرة .

وكلما زادت طموحات المراهقين غير الواقعية ، كانوا أكثر غضباً وتوتراً وخيبة أمل عندما يشعرون أن الآخرين قد سبقوهم أو أنهم لا يستطيعون تحقيق الأهداف التى وضعوها لأنفسهم .

لكن مع زيادة الخبرات الشخصية والاجتماعية للمراهق وزيادة قدرته على التفكير السليم ، يرى المراهقون الأكبر سناً أنفسهم وأسرهم وأصدقائهم والحياة بصفة عامة بصورة أكثر واقعية ، مما يقلل من خيبة الأمل التى خبروها فى المراهقة الأولى عندما كانوا صغاراً الأمر الذى يسهم فى تحقيق السعادة للمراهقين الكبار .

٨- المراهقة عتبة المرور إلى الرشد :

عندما يقترب المراهق من النضج الكامل ، فإنه يكون قلقاً للتخلى عن سلوك المراهقة ، وعليه أن يخلق الانطباع لدى الآخرين بأنه اقتراب من مرحلة الرشد ، ويكتشف أن الملبس والسلوك مثل الراشدين ليس كاف فيركز على أنواع جديدة تؤكد

فيـــــــه هـــــــذه الناحيـــــــة ، فيلجـــــــأ الفتـــــــى أحيانـــــــاً إلـــى التـــدخين ، كمـــا تلجـــأ الفتـــاة إلـــى اســـتخدام أدوات التجميـــل مثلهـــا مثـــل الكبار ، إنهما يعتقدان أن مثل هذا السلوك سوف يؤدى إلى الصورة التى يرغبوها .

مظاهر النمو فى مرحلة المراهقة

أولاً : النمو الجسمى :

فى المراهقة يستعيد النمو الجسمى سرعته السابقة والتى كان عليها فى مرحلة المهد مما يؤدى إلى سوء التآزر الحركى وانخفاض التوازن البيولوجى الذى ينجم عنه سرعة التعب وقصر مدة الانتباه وقلة الاحتمال .

تزداد سرعة النمو الجسمى لدى البنات فيما بين سن ١٠ –١٤ وتصل أقصى سرعة للنمو الجسمى لدى البنات فى سن ١٢ سنة ويستمر النمو الجسمى لدى البنات حتى سن ١٨ سنة ، بينما يزداد معدل سرعة النمو الجسمى لدى البنين فيما بين سن ١٢ – ١٦ سنة ، ويصل أقصى سرعة فى سن ١٤ سنة ويستمر النمو الجسمى لدى البنين حتى سن ٢٠ سنة وعلى وجه العموم تصل أقصى سرعة للنمو الجسمى فى المرحلة الإعدادية بالمقارنة بمرحلة التعليم الثانوى ومرحلة التعليم العالى ، وقد تعزى هذه التغيرات إلى الهرمونات التى تفرزها الغدد الصماء لاسيما الغدة النخامية التى تستثير عدداً من هرمونات الغدد الأخرى كالدرقية والأدرينالية والتناسلية التى تفرز هرمون الذكورة الأندروجين Endrogens هرمون الأنوثة أو الستروجين Estrogens وتتفاعل هذه الهرمونات بعضها مع بعض محدثة تغيرات فسيولوجية وجسمية .

تتغير بعض ملامح الوجه وتزول ملامح الطفولة ويتضح عدم التناسق بين مكونات الوجه مما يجعل المراهق كثير النظر إلى نفسه ويتدرج الناشئ فى نموه إلى صورة رجل إن كان ذكراً والمرأة إن كانت أنثى فيعمق صوت الولد ويرق صوت البنت ، ويتعرض الجنسين نتيجة النمو السريع إلى فقر الدم ، ويزداد اتساع المنكبين عند الأولاد وزيارة نمو قوس الحوض لدى البنات استعداداً لوظيفتى الحمل والأمومة .

يتأخر توافق النمو فى الجهاز العضلى عن نمو الجهاز العظمى مقدار سنة تقريباً ، وهذا يسبب التعب والإرهاق للمراهق ، فنجده يشعر بالتعب ولو لم يبذل مجهوداً ، وهذا حاصل نتيجة لتوتر العضلات وانكماشها ، مع نمو العظام السريع وحركتها .

تحدث طفرة فى طول الجسم ووزنه – خاصة بالنسبة للهيكل العظمى – ويتعرض الفرد خلال هذه المرحلة ، ذكراً كان أو أنثى لمظاهر وتغيرات جسمية واضحة تصاحب الحدث الهام فى حياة الإنسان وهو البلوغ والذى يعنى انتقال الإنسان إلى سن الرشد والتكليف ، وهذه التغيرات تشمل جميع أعضاء الجسم الخارجية والداخلية ، بما فى ذلك القلب والرئتين ، والمخ فكل هذه الأعضاء ، تأخذ فى النمو الزيادة ، وتصل فى نهاية هذه المرحلة إلى مستوى النضج التام ، وتصاحب هذه التغيرات أحاسيس نفسية واضطرابات عصبية متعددة .

هذه المرحلة تتميز بظهور نشاط فائق ، وفترات خمول وفترات حساسية شديدة فى النشئ وتصاحبها حالات انفعالية واضحة ، يجب على المربين حسن رعايتها وتوجيهها وفى بداية المراهقة تظهر أعراض اكتئابية ومشاعر سلبية نحو التصور الذاتى للتغيرات الجسمية .

فى المراهقة المبكرة – المرحلة الإعدادية أو المتوسطة يتميز النمو الجسمى فى هذه المرحلة بسرعته الكبيرة وفى المراهقة الوسطى – المرحلة الثانوية يعلق المراهقون والمراهقات أهمية كبيرة على النمو الجسمى ، ويتضح الاهتمام بالمظهر الجسمى والصحة الجسمية وفى المراهقة المتأخرة مرحلة التعليم العالى تعد هذه المرحلة قمة الصحة والشباب ، ويتضح النضج الجسمى فى نهايتها والجدول التالى يوضح متوسط أطوال وأوزان الأفراد فى مرحلة المراهقة .

جدول ٢ متوسط أطوال وأوزان المراهقين

	المراهقة المبكرة			المراهقة الوسطى			المراهقة المتأخرة			
السن	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
الطول	١٤٣.١	١٤٨.٢	١٥٣.٥	١٥٩.١	١٦٤.٦	١٦٧.٦	١٦٩.٣	١٧٠.٠	١٧٠.٦	١٧٠.٨
الوزن	٣٧.١	٣٩.٤	٤٤.١	٤٨.٨	٥٤.٢	٥٨.٨	٦٠.٤	٦٢.٥	٦٣.٦	٦٥.٧
الطول	١٤٧	١٥١.٢	١٥٤.٦	١٥٧.١	١٥٧.٥	١٥٧.٨	١٥٨.٨	١٥٨.٨	١٥٩.١	١٥٩.٣
الوزن	٣٩.٥	٤٤.٦	٤٦.٩	٥٠.٥	٥١.٤	٥٣.٨	٥٤.٣	٥٤.٤	٥٥.٦	٥٥.٨

فقى المراهقة المبكرة يزداد نمو العضلات والعظام وتزداد القوة العضلية وتظهر الفروق بين متغيرات النمو الجسمى ، وفى المراهقة الوسطى تتباطأ سرعة النمو الجسمى بالمقارنة بالمرحلة السابقة ، وتتحسن الحالة الصحية بصفة عامة وتزداد الحواس دقة وإرهاقاً كاللمس والذوق والسمع ويزداد الوزن والطول عند كلا الجنسين فى مرحلة المراهقة المتأخرة نعدل نسب الوجه وتستقر ملامح وجه الراشد ، ويزداد الطول زيادة طفيفة عند كل من الجنسين وتكتمل الأسنان الدائمة ، وفيما بين السنة النهائية فى المرحلة الثانوية وحتى نهاية مرحلة التعليم العالى تظهر أربع أضراس تعرف باسم " أضراس العقل " وقد أسفرت نتائج بعض الدراسات إلى أن لتذبذب الهرمونات فى المراهقة تأثير فعال على السلوك عامة ، ويتباطأ النمو الجسمى وتزول علامات الإعياء ويكتمل النضج الجسمى والمظاهر الجسمية الدالة عليه .

النمو الفسيولوجي :

ويقصد به نمو الأجهزة الداخلية أثناء البلوغ وبعده حيث يحدث نمو للجهاز الدورى والتنفسى والهضمى والعصبى والغدد الصماء (المرتبطة بالنضج الجنسى) نمو الأجهزة الداخلية :

يقاس النمو الوظيفة للأجهزة الداخلية بما يسمى معيار الاستحالة الغذائية أى بقدرة الأجهزة المختلفة على تمثيل المواد الغذائية وتحويلها إلى دم وخلايا جديدة وإصلاح الخلايا التالفة ، وتزويد الجسم بالطاقة الحيوية الضرورية له ، وتخضع هذه

الاستحالة الداخلية فى وظيفتها وعملها إلى نشاط الغدة الدرقية فى تنظيمها وتنسيقها فى الوظائف المختلفة .

الدورة الدموية :

يتضاعف وزن القلب خلال هذه المرحلة بتغير حجم الشرايين والأوردة مما يرتبط بتزايد الضغط تدريجياً وانخفاض النبض بتقدم العمر .

الجهاز التنفسى :

يزداد حجم الرئتين بسرعة فى هذه المرحلة وتزداد القدرة الحيوية لدى البنين عنها لدى البنات .

الجهاز الهضمى :

يزداد حجم المعدة ويزداد حجم قدرتها على الهضم مما يستلزم حصول المراهق على كمية كبيرة من الغذاء .

الجهاز العصبى :

ينمو الجهاز العصبى بصورة محدودة جداً ويقتصر النمو على الألياف فى الطول والسمك وتزداد الوصلات بين الألياف العصبية مما يسهم فى تطور التفكير وتعقيده لدى المراهق .

الغدد :

تضمر الغدة الصنوبرية والغدة التيموسية فى المراهقة وتنشط الغدد الجنسية ويظل هرمون النمو الذى تفرزه الغدد النخامية مؤثراً على النمو العظمى ، بينما يزداد نشاط هرمونات الغدة الدرقية فى بدء المراهقة وتقل فى نهايتها ، كما تسترجع الغدة الكظرية قوتها ووزنها ويزداد وزن الغدة التناسلية (أهميتها المبيضان عند الأنثى والخصيتين لدى الذكر) ويؤثر النشاط الغددى على جميع مظاهر النمو .

ثانياً : النمو العقلى والمعرفى :

مقدمة :

تتطور الحياة العقلية المعرفية للمراهق تطوراً ينحو بها نحو التمايز والتبيان توطئة لإعداد الفرد للتكيف الصحيح لبيئته المتغيرة المعقدة ، ولهذا تبدو أهمية المواهب أو القدرات الطائفية التى تؤكد الفروق العقلية الواسعة العرضية بين الأفراد

المختلفين وهكذا تكتسب حياة الفرد ألواناً عدة خصبة تساير فى جوهرها تباين المستويات الواحدة فى المجتمعات المختلفة ، وتفاوت المستويات العديدة فى المجتمع الواحد ، وتساير حياة الفرد الحياة الإنسانية نفسها فى تنظيمها العام وفى تباينها وتفاوتها واختلافها وتنوعها وخصوبة ميادينها .

ولقد بينا فى تحليلنا للنمو الجسمى العصبى أهمية الألياف العصبية فى بناء الدعائم العضوية لهذا التباين الشديد وأهمية الذكاء فى الطفولة والقدرات فى البلوغ والمراهقة ، وسنحاول فى هذا الفصل أن نفرق بين الذكاء والقدرات ، والقدرات والعمليات ، والذكاء والقدرات والميول العقلية ، ثم نستطرد بعد ذلك لنوضح الخطوات الأساسية لنمو العمليات والقدرات والميول ، وننتهى من ذلك كله إلى تحليل الأسس العقلية للتوجيه التعليمى والمهنى فى مرحلة المراهقة .

الذكاء والقدرات :

يدل الذكاء على محصلة النشاط العقلى كله ، وتدل كل قدرة طائفية على نوع ما من أنواع هذا النشاط العقلى كما يبدو عند بعض الأفراد ، فالقدرة العددية مثلاً تبدو بوضوح فى قدرة بعض الأفراد على إجراء العمليات الحسابية الأساسية فى سهولة ودقة .

هذا وتختلف سرعة نمو الذكاء باختلاف مراحل النمو فيبدأ نمو الذكاء فى الطفولة المبكرة وتزيد سرعته فى الطفولة المتأخرة ويهدأ نموه فى أوائل المراهقة ثم يهدأ تماماً فى منتصفها ، ثم يستقر استقراراً تاماً فى الرشد مما يتيح الفرصة لظهور القدرات الطائفية كما بينا ذلك فى تحليلنا لنمو الذكاء خلال الطفولة .

ولقد أثبتت أبحاث فيرنون F. E. Vernon التى أجراها على عينة من الأفراد تتراوح أعمارهم بين ١٤ و ٢٠ سنة أن الذكاء العام يتناقص فى سرعته فيما بين ١٤ و ١٧ سنة وخاصة عند الفتيان الذين يتركون المدرسة فى هذا المدى من العمر ، وأن هذا التناقص يتأثر إلى حد كبير بالمستوى التعليمى الذى يحصله الفرد فى مدرسته فى سن مبكرة ، أى أن الذكاء ، كما نقيسه الآن يتأثر إلى حد كبير بالتحصيل المعرفى وذلك لعجزنا عن تنقية مقاييسه الحالية من شوائب التعلم والمعرفة ، ولكن المواهب أو القدرات الأخرى تظل فى نموها وتباينها وخاصة القدرات اللغوية ، والميكانيكية والمكانية

أى قدرة الفرد على فهم الألفاظ واستخدامها ، وقدرته على حل الأجزاء الميكانيكية وتركيبها وقدرته على فهم الأوضاع المختلفة للأشكال الهندسية تظل فى نموها المطرد خلال المراهقة .

وتؤكد أبحاث ثورنديك R. L. Thorndike وسليتر P. Slater النتائج التى وصل إليها فرنون ، ولهذه النتائج أهمية قصوى فى فهم الأسباب الجوهرية للتعارض الذى كان قائماً بين دعاة الذكاء ودعاة القدرات الطائفية ، فلقد أسفرت أبحاث سبيرمان C. Sperman فى أوائل هذا القرن عن وجود الذكاء كقدرة عقلية عامة تهيمين على جميع ألوان النشاط العقلى بنسب مختلفة ، وأسفرت أبحاث ثيرستون L. L. Thursone عن أفكار وجود هذه القدرة وتأكيد وجود القدرات العقلية الطائفية المختلف اللغوية والميكانيكية ، وأعلن جاريت H. E. Garrett أن الذكاء يبدو بوضوح فى الطفولة لتقارب المستويات العقلية المختلفة بعضها من بعض وأن القدرات تبدو بوضوح فى المراهقة لتباعد هذه المستويات ولتنوع حياة الفرد العقلية ولتباين واختلاف مظاهر نشاطها ، ولقد أنكر بعض الباحثين عليه هذا الرأى وخاصة دويلت J. E. Doppelt وكيرتس H. A. Curtis ولكن أبحاث سجل D. Segel وديامونند S. Diamond أقامت المعالم الأولى لفكرتنا العلمية المعاصرة عن أهمية الذكاء فى الطوفة ، وأهمية القدرات العقلية الطائفية فى المراهقة وأيدت بذلك آراء جاريت ومن سبقه من الباحثين فى هذه المشكلة .

هذا ولقد أثبتت أبحاث الدكتور فؤاد البهى أن القدرات العقلية الطائفية ذاتها تنقسم فى أواخر المراهقة إلى قدرات أخرى متمايزة متنوعة فالقدرة المكانية التى اكتشافها الدكتور عبد العزيز القوصى عند الأطفال البالغين من العمر ١١– ١٣سنة والتى تتسع فتشمل قدرة الفرد على تصور حركة الأشكال الهندسة على سطح الورقة أو حركة المجسمات فى الفراغ الثلاثى، وتؤلف من هذه العمليات العقلية المختلفة قدرة واحدة انقسمت فى البحث الذى أجراه فؤاد البهى عام ١٩٥١ إلى قدرتين متمايزتين وخاصة فيما بين ١٦، ١٨ سنة وهكذا بدأ يتأكد أهمية القدرات العقلية الطائفية فى دراسة النمو العقلى للمراهق .

القدرات والعمليات العقلية :

بينا فى دراستنا للطفولة أهمية العمليات العقلية المختلفة فى النمو العقلى المعرفى للفرد ودرسنا الخطوات الرئيسية لنمو الإدراك والتذكر والتفكير والتخيل ، ثم انتهينا من ذلك كله إلى دراسة نمو الذكاء .

هذا وتختلف العملية العقلية عن القدرة فى أن الأولى تتصل اتصالاً مباشراً بما حدث للعقل ذاته ، وأنمها تتصل بما يحدث للعقل وهو يستجيب للمثيرات المختلفة أى أن القدرة تشمل العملية العقلية ، ونوع مثيرها والأشكال المختلفة لاستجاباتها ، ثم تؤكد الناحية المهنية من هذه الأقسام ولذلك قد تؤكد القدرة الناحية العقلية البحتة كالقدرة الاستقرائية وقد تؤكد المثير ومادته كالقدرة الغددية وقد تؤكد شكل الاستجابة كالقدرة التى تدل على السرعة أو تدل على الصبر ومدى احتمال الفرد للأعمال العقلية الطويلة .

ولقد حاول بعض الباحثين وخاصة بيرت Burt والدكتور عبد العزيز القوصى والدكتور فؤاد البهى وضع تنظيم جديد للقدرات العقلية على أساس شكلها ومادتها ووظيفتها ، ولقد نجح جليفورد فى تصنيف القدرات العقلية الطائفية إلى أبعاد ثلاثة هى العمليات والنواتج والمحتويات .

الذكاء والقدرات والميول العقلية :

تتضح فى المراهقة الميول العقلية للفرد وتبدو فى اهتمامه العميق بأوجه النشاط المختلفة التى يصل بها من قريب أو بعيد ، وتتأثر هذه الميول بمستوى ذكائه وبقدراته العقلية الطائفية وتنشأ فى جوهرها من تمايز هذه القدرات ، وتهدف به إلى الأنماط العملية التى سيسلكها فى حياته العقلية والمهنية المقبلة ، ولهذا يهتم العلماء بدراسة هذه الميول العقلية توطئة لتوجيه دراسة الفرد أو لاختيار المهنة التى تناسب مواهبه المختلفة .

وتبدو هذه الميول فى اختيار المراهق للمواضيع التى يهوى له قرأتها وفى البرامج الإذاعية التى يهوى الاستماع لها وفى غير ذلك من دروب النشاط العقلى المعرفى .

نمو العمليات العقلية :

١- عملية الإدراك :

يتأثر إدراك الفرد بنموه العضوى الفسيولوجى العقلى الانفعالى الاجتماعى ولهذا يختلف إدراك المراهق عن إدراك الطفل لتفاوت مظاهر نموهما وتدل أبحاث إسكالونا S. Escalona على أن الحساسية الإدراكية فى عتباتها العليا والدنيا تتأثر بالمجال الذى يهيمن على الفرد وبالمواقف المحيط به ، أى أن هذه الحساسية تخضع لمدى تفاعل الفرد مع مقومات هذا الموقف ولنوع ولشدة ولمستوى إدراكه له فمدى إدراك الطفل للأصوات المرتفعة والمنخفضة يختلف عن مدى إدراك المراهق لهذه العتبة الصوتية ، وهكذا تؤكد الأبحاث الحديثة أن إدراك الفرد للعالم المحيط به مظهر من مظاهر نموه .

هذا ويختلف إدراك الطفل عن اختلاف المراهق اختلافاً ينمو بالفرد نحو التطور الذى يرقى به المستوى الحاسى المباشر إلى المستوى المعنوى البعيد ، أى أن إدراك المراهق يمتد عقلياً نحو المستقبل القريب والبعيد ، بينما يتمركز إدراك الطفل – إلى حد كبير – فى حاضره الراهن .

والمراهق أقوى انتباهاً من الطفل لما يحدث ويفهم وأكثر ثبوتاً واستقراراً فى حالته العقلية ، وترتبط هذه الناحية من قريب بتطور قدرة الفرد على التركيز العقلى والانتباه الطويل .

وهكذا نرى أن إدراك الفرد يتطور من الطفولة إلى المراهقة ، فيمتد فى المستقبل ويتسع فى المدى ، ويعلو فى المستوى،ويهدأ بعد تحول وتقبل ويستقر بعد تذبذب وتشتت ، ويسفر فى هذا كله عن مظاهر النمو المختلفة ويتفاعل معها متأثراً بها ومؤثراًفيها .

٢- عملية التذكر :

تنمو عملية التذكر فى المراهقة ، وتنمو معها قدرة الفرد على الاستدعاء والتعرف ، وتقوى الحافظة ويتسع المدى الزمنى الذى يقوم بين التعلم والتذكر فيزداد تبعاً لذلك باع الذاكرة فى نوعه ومداه .

هذا وتؤكد الأبحاث الحديثة خطأ الرأى القائل بأن الطفولة هى المرحلة الذهبية للتذكر ، ذلك بأن التذكر أعقد من أن يشمله تعميم كهذا التعميم ، فالتذكر المباشر يختلف عن التذكر غير المباشر والتذكر الآلى يختلف عن التذكر المعنوى ، وهكذا يستطرد بنا التحليل إلى تباين المظاهر المختلفة للتذكر وإلى تأكيد نمو كل مظهر من مظاهره وإلى تعليل نتائج بعض الأبحاث الحديثة فى القدرات العقلية التى عجزت عن الكشف عن قدرة واحدة تهيمن على جميع هذه المظاهر.

هذا ويستطرد النمو بالتذكر المباشر حتى يبلغ ذروته فى السنة الخامسة عشر لميلاد الفرد ثم يضعف وينحدر فى سرعته وقوته ومداه ويظل التذكر المعنوى فى نموه طوال المراهق والرشد ويتأثر تذكر الفرد للموضوعات المختلفة بدرجة ميله نحوها أو عزوفه عنها ، واستمتاعه بها أو بغضه لها ، وبانفعالاته وخبراته المختلفة ولهذا تقل أهمية التذكر المباشر للأرقام والألفاظ فى قياسنا للذكاء كلما زاد عمر الفرد وكلما اقترب من الرشد .

وترتبط عملية التذكر فى آفاقها المختلفة بنمو قدرة الفرد على الانتباه ولهذا يتأثر مدى تذكر الطفل تأثراً كبيراً بالنشاط العقلى الذى يعقب حفظه مباشرة ، ويقرر لاهى M. F. Lahey أن الانتقال المفاجئ من عملية تعليمية لأخرى يعوق حفظ العملية الأولى،وتقل شدة هذه الإعاقة فى المراهقة لنمو مقدرة الفرد على الفهم العميق والانتباه المركز لما يتعلم ، ولذلك يستطيع أن ينتقل عقلياً من موضوع إلى موضوع آخر بعد إجادته الموضوع الأول وتسمى هذه الظاهرة" الكف الرجعى" أى إعاقة النشاط العقلى الثانى للنشاط العقلى الأول إعاقة رجعية وهكذا نرى أن حواشى المتن قد تعوق تعلم الطفل إعاقة تامة ولا تعوق تعلم المراهق إلا إعاقة يسيرة ، لذلك يستطيع المراهق أن ينتبه إلى موضوعين فى وقت واحد إذا ارتبطا من قريب ارتباطاً كلياً – جزئياً ، أو إذا قامت بينهما علاقات قوية تهدف إلى تنظيمها فى وحدة عامة .

٣- عملية التفكير :

يتأثر تفكير المراهق بالبيئة تأثيراً يحفزه إلى ألوان مختلفة من الاستدلال وحل المشاكل حتى يستطيع الفرد أن يكيف نفسه تكيفاً صحيحاً لبيئته المعقدة المتشابكة المتطورة مع نموه ولهذا نرى أهمية الخبرة

الواسعة العريضة فى نمو التفكير المراهق،هذا وتؤكد أبحاث بروكس F.D.Brooks وغيره من العلماء أهمية هذه البيئة فى نمو التفكير ذلك بأنها تسفر فى جوهرها عن نوع ومدى وشدة المشكلة .

٤- عملية التخيل :

يرتبط التخيل بالتفكير ارتباطاً قوياً خلال مراحل النمو المختلفة ويزداد هذا الارتباط كلما اقترب الفرد من الرشد واكتمال النضج وتؤكد دراسات فالنتنر T. Valentiner الفروق المختلفة القائمة بين تخيل الطفل وتخيل المراهق .

هذا وتقترب مفاهيم المراهقين فى مستوياتها العليا الصحيحة من التعميم الرمزى ، ولهذا يستطيع المراهق أن يفهم الخير والفضيلة والعدالة بينما يعجز الطفل عن إدراكه لهذه المفاهيم المعنوية كما بينا ذلك فى تحليلنا لتفكير الأطفال .

وتؤكد دراسات ميلر E. Miller وتانر J. M. Tanner وغيرهما من الباحثين ميل المراهقين فى حل مشاكله العملية والعقلية إلى فرض الفروض المختلفة وإلى تحليل الموقف تحليلاً منطقياً منسقاً ويصطبغ استدلال الفرد فى أوائل مراهقته بالصبغة الاستنباطية ، ثم يتطور به النمو حتى تغلب الناحية الاستقرائية على استدلاله ثم ينتهى بعد ذلك إلى مرتبة سوية من المرونة العقلية التى تهيئه لمواجهة الموقف بالطريقة المثلى ، استنباطاً كانت أم استقراء ، وهكذا نرى أن العالم الفكرى للمراهق أكثر تناسقاً وانتظاماً من عالم الطفل ، وأكثر معنوية وتجريداً ، ولهذا يستمتع المراهق بالنشاط العقلى ، ويلذ له أن يمضى وقتاً طويلاً فى فهمه الفكرى العميق لكل ما يحيط به .

ويتميز أسلوب المراهق بطابع فنى جمالى بينما يخلو أسلوب الطفل من هذا اللون الجمالى ، وتدل إجابات الفتيات على خيال خصب يفوق فى مراميه خيال الفتيان .

نمو القدرات الطائفية :

تكاد تجمع أغلب الأبحاث الإحصائية النفسية الحديثة على أن أهم القدرات الطائفية تتخلص فى :

١- القدرة اللفظية : وتبدو بوضوح فى مقدرة بعض الأفراد على فهم الألفاظ والتعبيرات اللغوية المختلفة ، ومعرفة مترادفات الكلمات وأضدادها فهى لذلك ترتبط ارتباطاً وثيقا بالأسلوب اللغوى للفرد ، وبثروته اللفظية وبفهمه الدقيق لتباين الألفاظ واختلاف معانيها.

٢- القدرة المكانية : وتبدو فى مقدرة بعض الأفراد على فهم الأشكال الهندسية المختلفة وإدراك العلاقات المكانية فى سهولة ويسر ، وتصور حركات الأشكال والمجسمات .

٣- القدرة العددية : وتبدو فى سهولة إجراء العمليات الحسابية الأساسية وخاصة عملية الجمع .

٤- قدرة التذكر المباشر : وتبدو فى مقدرة بعض الأفراد على استدعاء الأرقام والألفاظ استدعاء مباشر وقد تسمى بقدرة التذكر الآلى السريع .

٥- القدرة الاستقرائية : وتبدو فى سهولة اكتشاف القاعدة من جزئياتها .

٦- القدرة الاستنباطية : وتبدو فى سهولة معرفة الجزئيات التى تنطوى تحت لواء قاعدة معروفة .

٧- السرعة الإدراكية : وتبدو فى الإدراك السريع للأمور البسيطة فهى بهذا المعنى قدرة إدراكية .

هذا وتتصل بعض هذه القدرات بنسب مختلفة لتؤلف من ذلك كله قدرت طائفية مركبة كالقدرة الرياضية التى تعتمد فى بعض نواحيها على القدرة الاستقرائية والاستنباطية والمكانية والعددية أو كالقدرة المنطقية الاستدلالية التى تقوم على القدرة الاستنباطية والقدرة الاستقرائية .

ولقد أسفرت الأبحاث الحديثة عن انقسام بعض القدرات الطائفية وخاصة المكانية إلى قدرات أخرى متمايزة كما سبق أن بينا ذلك فى تحليلنا لعلاقة القدرات العقلية بالعمليات المختلفة .

تدل الدراسات التى قام بها باليسنكى B. Balinsky على أن هذه القدرات تقترب من بعضها فى الطفولة المتأخرة ويبلغ ارتباطيها ٠.٤٣ حتى مطلع المراهقة ثم تقل هذه الصلة وتتمايز القدرات تمايزاً قوياً خلال المراهقة والرشد ولا يكاد ارتباطها يزيد

على ٠.١٨ فيما بين ٢٥ ، ٢٩ سنة ثم تعود لتقترب من بعضها فى فجر الشيخوخة يصل هذا الارتباط ٠.٤٣ فيما بين ٥٣ سنة و ٦٠ سنة .

وتدل أبحاث كورسينى R. T. Corsini وفاسيت K. K. Fasett على أن القدرات الطائفية المختلفة تظل تستطرد فى نموها خلال المراهقة والرشد ما عدا القدرة الطائفية التى تبدو فى سرعة الإدراك فإنه وحدها تضعف فى أواخر المراهقة وتظل فى إنحدارها حتى الشيخوخة .

معنى الميل :

تتضح الميول فى المراهقة ، وتتصل من قريب بتمايز مظاهر الحياة العقلية للفرد فى هذه المرحلة ، وتتصل أيضاً بالدعائم الأخرى للحياة النفسية الإنسانية وبأنماط الشخصية وسماتها ، ولهذا تختلف أنواع الميول تبعاً لاختلاف هذه المظاهر ، هكذا يواجه الباحث فى هذا الموضوع أنواعاً عدة للميول التى تستطرد فى آفاقها حتى تشمل الميول العقلية والدينية والخلقية ، والاجتماعية والفنية ، ومن الباحثين من يقسمها إلى ميول تعليمية ومهنية وميول أخرى تبدو فى هوايات الفرد .

ويعرف الميل بأنه شعور يصاحب انتباه الفرد واهتمامه بموضوع ما وهو فى جوهره اتجاه نفسى يتميز بتركيز الانتباه فى موضع معين أو فى ميدان خاص فالانتباه بهذا المعنى أهم عنصر من عناصر الميل ، فغالباً ما ينتبه الفرد إلى ما يميل ، ويميل إلى ما ينتبه له .

ويفرق ثورنديك R. J. Thorndike وهاجن E. Hagen بين الاتجاه والميل على أساس العمومية والخصوصية ذلك بأن الاتجاه النفسى لا يقتصر على مجرد النشاط الذى يميل بالفرد نحو موضوع ما بل يتسع حتى يشتمل على مجرد تهيئة الفرد لهذا الميل .

وهكذا يصبح الميل ناحية من نواحى النشاط التى تجعل الفرد ينتبه لموضوع ما ، ويهتم به ويرغب فيه فيختار من بيئته ما يثير انتباهه وميله ، ويقترب بذلك مما يختار ، ويبتعد عما يترك فالناحية السلبية توضح حدود تمايزه ومعالمه ويؤثر هذا الاختيار على العمليات

العقلية للفرد فيتذكر ما يميل إليه ، وينشط بتفكيره وخياله فى إطار ميله ، ويدرك ما يهتم به ويصبغ ما يدرك بألوان ميوله .

المظاهر الرئيسية للميول :

تتباين الميول فى أنواعها تبعاً لتباين موضوعاتها وأهدافها ويتفاوت كل نوع منها فى مداه الزمنى ، وفى اتساع ميدانه ، وفى شدته وقوته ، وتفاوتاً يضفى عليها صفات ومظاهر نفسية مختلفة .

١- المدى الزمنى :

من الميول ما يمتد فى حياة الفرد حتى يكاد يستغرق أغلب مراحل نموه ومنها ما يظهر بوضوح فى طور خاص من أطوار الحياة ثم يختفى بعد ذلك فالإعجاب بالبطولة ميل يبدو بوضوح فى طور خاص من أطوار حياة بعض الناس ، وقد يمتد حتى يكاد يهيمن على أغلب مراحل حياة الآخرين .

٢- الاتساع :

وقد يتسع ميدان الميل حتى يكاد يهيمن على أى مظهر عام من مظاهر النشاط النفسى ، أو يضيق حتى يقتصر على ناحية خاصة منه ، ولنضرب للأولى مثل الميل الميكانيكى العام الذى يبدو فى اهتمام الفرد وبجميع الآلات والأجهزة التى يراها وفى رغبته الملحة لفهمها أو تعديلها أو اختراعها ، ولنضرب للثانية مثل الاهتمام بالأجهزة الدقيقة للساعات المختلفة وقصور هذا الميل على هذه الهواية .

٣- الشدة :

يمكننا أن نرتب ميل كل فرد تبعاً لشدته وقوته ، فمن الناس من يفضل ميلاً على آخر ، فيسفر بذلك عن مدى شدة قوة بعض ميوله وهكذا قد يدل على أن ميله للقراءة أقوى وأشد من ميله للألعاب الرياضية .

تطور الميول ونموها :

تتأثر الميول فى تطورها بمراحل النمو المختلفة التى يمر بها الفرد خلال حياته ، فتخضع فى جوهرها لعمره الزمنى ولنسبة ذكائه ولجنسه ذكراً كان أم أنثى ، وللمستويات الاجتماعية والاقتصادية لبيئته :

١- العمر الزمنى :

تتميز الميول فى الطفولة المبكرة بأنها ذاتية المركز ، تدور فى جوهرها حول شخصية الفرد ذاته ، ثم تتطور مع مظاهر نموه الحركى ويبدو فى أنواع لعبه ، وفى ضروب هواياته المختلفة ، فيلذ له بادئ ذى بدء أن يلعب بالدمية الصغيرة أو بالكورة الملونة ثم يتطور به نموه الحركى حتى يهو اللعب بالدراجة فى طفولته المتأخرة ثم يتخفف من هذه النواحى ليميل فى مراهقته إلى الألعاب الرياضية ، فيهتم أولاً بممارستها ثم يتطور به الأمر حتى يكتفى بمشاهدتها ويتتبع أخبارها ، هذا وتتميز مرحلة المراهقة بوضوح الميول الجنسية والعقلية المهنية ولهذا تتخذ بعض هذه الميول أساساً للتوجيه التعليمى والاختيار المهنى .

وتؤكد أبحاث ديموك H. S. Dimock التى أجراها على ١٧٠٠٠ مراهق أن أهم ميول المراهقين تتلخص فى قراءة الصحف والمجلات والكتب والاستماع للبرامج الإذاعية ، ومشاهدة القصص السينمائى ، وقادة السيارة والألعاب الرياضية المختلفة ، وخاصة المصارعة وكرة السلة وكرة القدم ، وتدل نتائج هذا البحث على أن هذه الميول تتطور فى حياة المراهقة تبعاً لمظاهر نموه ، فيبدأ اهتمامه فى فجر مراهقته بالألعاب الرياضية المختلفة ، ثم يتخفف منها نوعاً من خلال نموه ليهتم بميوله الأدبية ومطالعاته وحواره ومسيقاه التى ينصت إليها ومهنته التى يرغب فيها ويعد نفسه لها .

وتدل الدراسات التى قام بها بوروجيا A. Porugia على عينة من الأفراد تتراوح أعمارهم فيما بين ١١ – ٣٢ سنة على أن الميول الأدبية والدينية تزداد تبعاً لزيادة العمر الزمنى وأن الميول الخلقية والاجتماعية والمهنية تزداد بسرعة بعد ١٥ سنة وأن الميول الفنية تقف إلى حين عندما يبلغ عمر الفرد ١٣ سنة ثم تظل بعد ذلك فى زيادتها حتى يبلغ العمر ١٦ سنة وأن الميل للمخاطرة يهبط بعد ١٥ سنة وتقل بذلك سرعة نموه .

٢- الذكاء :

تدل الدراسات التى قام بها ثورنديك R. L. Thorndike ولويس W. D. Lewis على أن الميول تتأثر إلى حد كبير فى تطورها بدرجة ذكاء الفرد فالأذكياء يميلون فيما بين ٩ و ١١ سنة إلى قصص الحيوانات بينما يميل الأغبياء إلى نفس

هذا النوع من القصص فيما بين ١٢ – ١٤ سنة ، ويميل الأذكياء إلى القصص الغرامية فيما بين ١٢– ١٤ سنة ، بينما لا يميل إليها الأغبياء إلا بعد ١٤ سنة هذا وتتميز ميول الأذكياء بأنها متنوعة واسعة خصبة عميقة بينما تتصف ميول الأغبياء بالضيق والفقر والضحالة .

٣– الجنس والميل للقراءة :

تؤكد أبحاث إبراهات WE. Eberhart ولهمان H. C. Lehman أن الميل للقراءة يبلغ ذروته فيما بين ١٢ – ١٣ سنة ويميل بنوع خاص إلى قصص البطولة وتراجم العظماء ، ولهذا تسمى هذه المرحلة بمرحلة عبادة البطولة ، ويميل أيضاً إلى الموضوعات التى تدور حلول المخاطر والرحلات وتهدف هذه المطالعة إلى إشباع روح المخاطرة والمغامرة والترحال عند الأفراد ثم تتطور موضوعات القراءة فيما بين ١٣ – ١٩ سنة ، وتتجه فى جوهرها نحو كسب المعلومات توطئة للتخصص التعليمى والمهنى .

وتدل دراسات تيرمان M. Terman وليما M. Lima على أن الذكور يميلون إلى قراءة الموضوعات التى تدور حول الآلات الميكانيكية والهوايات العلمية والاختراعات الحديثة وخاصة فيما بين ١٤ – ١٥ سنة وأنهم يميلون إلى قراءة الأخبار المحلية والعالمية وجمع المعلومات المختلفة فيما بين ١٥ – ١٦ سنة ثم يستطرد بهم النمو حتى يميلوا إلى القصص الغرامية فى أواخر المراهقة أما الإناث فيملنّ فى ١٤ سنة إلى القصص الغرامية ثم يتطور بهن النمو حتى يملنّ إلى القصص التاريخى والمسرحيات المختلفة والشعر العاطفى قبيل الرشد .

البيئة والميول المهنية :

تتطور ميول الفرد المهنية خلال المراهقة تبعاً لعمره الزمنى ولنسبة ذكائه ولجنسه ، وللمستويات الاجتماعية والاقتصادية لبيئته .

وتدل دراسات بستولا C. Pistula على أم ميل الفرد فى أوائل مراهقته يتجه نحو الجندية بصورها المختلفة ونحو السينما والألعاب الرياضية ، وغالباً ما يميل المراهق إلى أن يصبح ضابطاً أو نجماً من نجوم السينما أو لاعباً مشهوراً فى كرة القدم أو السلة ثم يتطور الأمر بالمراهق فيدرك إلى حد ما بعض آثار القوى الاجتماعية

والاقتصادية التى تحدد لـه بعض مستويات حياتـه فيتخفف إلى حد كبير من أحرمـه ، ويميـل إلـى مـا يتفـق وقدرتـه وإمكانيتـه الاقتصـادية وهكـذا تتضـح الميول المهنية فى إطارها الاجتماعى الصحيح ، ويتأكد ميل الفتى إلى الجندية على أساس صحيح أو إلى الطلب أو القانون أوالهندسة أوالتدريس والمهن الأخرى تبعاً لميولـه فـى الزعامـة وقيـادة الجماعـات البشـرية أو غيـر ذلـك مـن الميـول العلميـة الاجتماعية والميكانيكية وغيرها .

وهكـذا تتـأثر هـذه الميـول المهنيـة بمعـايير الجماعـة ومسـتوياتها الاقتصـادية والثقافية وبيئته المنزلية والمدرسية وبخبرته واستعداداته وقدراتـه ونـواحى نضجه ونموه العقلى المعرفى الانفعالى والاجتماعى .

أهمية الميول فى التوجيه التعليمى والمهنى :

يعتمد نجاح الفرد فى تحصيله المدرسى وفى تفوقه المهنى على نسبة ذكائـه ، ومستوى قدراته الطائفية ، ودرجة ونوع ميوله إلى المواد الدراسية والمهن المختلفة .

وقد يميل الفرد إلى عمل لا تؤهله له قدراته وذكاؤه فيفشل ويعجز عن القيام بـه وقـد تـدل مسـتويات ذكائـه وقدراتـه علـى اسـتطاعته للقيـام بعمـل مـا لكنـه يفشـل أيضـاً فـى أدائـه لبغضـه إيـاه ، فالنجـاح فـى أى عمـل يعتمـد علـى المسـتوى العقلـى الضـرورى لهـذا العمـل وعلـى درجـة ميـل الفـرد إليـه ، هـذا وقـد يصـبح النجـاح ذاتـه دعامـة مـن الـدعامات القويـة لتكـوين ميـل جديـد نحـو موضـوع مـا .

ويعتمـد التوجيـه التعليمـى وخاصـة فـى مراحلـه العليـا ، والاختيـار المهنـى علـى القياس الدقيق للصفات العقلية المختلفة الضرورية لكل دراسة ولكل مهنة وعلى درجة الميل ثم قياس مواهب الفرد وميوله المختلفة ، ومقارنة مظاهر الدراسة والعمل بصفات الفرد وميوله توطئه لتوجيهه توجيهاً تعليمياً ومهنياً .

رابعاً : النمو الانفعالى :

– مقدمة :

ترتبط الانفعالات ارتباطاً وثيقاً بالعالم الخارجى المحيط بالفرد عبر مثيراتها واستجاباتها وبالعالم العضوى الداخلى عبر شعورها الوجدانى وتغيراتها الفسيولوجية الكيميائية ويخضع ارتباطها الخارجى خضوعاً مباشراً لنمو الفرد فتتغير المثيرات تبعاً لتغير العمر الزمنى وتتغير الاستجابات تبعاً لتطور مراحل النمو وتبقى مظاهرها الداخلية أقرب إلى الثبات والاستقرار منها إلى التطور والتغير كما تدل على ذلك دراسات كول L. Cole .

العوامل المؤثرة فى انفعالات المراهقة :

تتأثر انفعالات المراهقة فى مثيراتها واستجاباتها بعوامل عدة تصبغها بصبغة جديدة تختلف إلى حد كبير عن طابع طفولتها وتتلخص أهم هذه العوامل فى التغيرات الجسمية الداخلية والخارجية والعمليات القدرات العقلية والتآلف الجنسى والعلاقات العائلية ومعاييرها الجماعية والشعور الدينى .

١- التغيرات الجسمية الداخلية والخارجية :

تتأثر انفعالات المراهق بالنمو العضلى الداخلى ، وخاصة بنمو أو ضمور الغدد الصماء ، فنشاط الغدد التناسلية بعد سكونها طوال الطفولة ، وضمور الغدة الصنوبرية والغدة التيموسية بعد نشاطهما طوال الطفولة مظاهر فسيولوجية عضوية داخلية لتطور الفرد من الطفولة إلى المراهقة ، ولهذه المظاهر آثارها النفسية الانفعالية كما تدل على ذلك أبحاث دافيدسن H. H. Davidson وجوتليب L. S. Gotileb التى أجرياها على طائفتين من الفتيات تتساويان فى أعمارهما الزمنية وتختلفان فى بلوغهما فالجماعة الأولى تتكون من الفتيات البالغات والثانية من غير البالغات ، ولقد أثبتت نتائج هذا البحث أهمية العوامل الفسيولوجية فى انفعالات المراهقة ومدى تأثيرها فى المثيرات والاستجابات الانفعالية . وتتأثر انفعالات المراهق أيضاً بالتغيرات الخارجية التى تطرأ على أجزاء جسمه ، وبتغير النسب الجسمية لنمو أعضائه .

٢- العمليات والقدرات العقلية :

تهبط سرعة الذكاء فى المراهقة حتى تقف قبل نهايتها ويزداد التباين والتمايز القائم بين القدرات العقلية المختلفة ويسرع النمو

ببعض العمليات العقلية فى نواحيها وآفاقها المعنوية ، ويتغير بذلك إدراك الفرد للعالم المحيط به نتيجة لهذا النمو العقلى فى أبعاده المتباينة وتتأثر انفعالات المراهق بهذا التغير وتؤثر بدورها فى استجابات فهو قادر فى مراهقته على أن يفهم استجابات الأفراد الآخرين فهما يختلف فى مستواه ومدراجه عن فهم طفولته وهو قادر أيضاً على أن يخفى بعض استجاباته لأمر فى نفس يسعى لتحقيقه ، وهكذا يناد وينعطف فى مسالك ودروب تحول بينه وبين إعلان خبيئة نفسيه .

٣- التآلف الجسمى :

يتباعد الجنسان فى الطفولة المتأخرة ثم يتآلفان فغى المراهقة ويبدأ هذا التآلف شاقاً قاسياً على الجنسين لأنه تحول مضاد ، ولذا يشعر المراهق بالحجر فى باكورة علاقته بالجنس الآخر ، وقد تعوق هذه المثيرات الجديدة تفكيره ونشاطه العقلى فلا يجد فى مخيلته كاملاً مناسباً للمواقف الجديدة فيقف صامتاً كالمشدوه ساخطاً أحياناً على نفسه التى زجت به فى هذا المأزق الشديد فلا هو راضى بها ولا هو راغب عنها ثم يتطور به التدريب والنمو حتى يتفق سلوكه ومقومات الموقف . فالتآلف الجنسى فى تطوره يؤثر على مثيرات المراهقين ويصبغها بصبغة جديدة ويؤثر على استجاباتهم الانفعالية المختلفة .

٤- العلاقات العائلية :

يتأثر النمو الانفعالى للمراهق إلى حد كبير بالعلاقات العائلية المختلفة التى تهيمن على أسرته فى طفولته ومراهقته وبالجو الاجتماعى السائد فى عائلته فأى مشاجرة تنشأ بين والده وأمه تؤثر فى انفعالاته وتكرار هذه المشاجرات يؤخر نموه السوى الصحيح ويعوق اتزانه الانفعالى ، ومغالاة الأب أو الأم فى السيطرة على أمور حياته اليومية ، والاستمرار فى معاملته كطفل صغير يحتاج إلى إرشاد دائم متصل وإعاقة ميوله وهواياته وإلزامه بالخضوع التام لآراء والديه فى اختيارهما لمهنته المقبلة ورغم نفوره وشعوره بالحرمان المالى السليب الذى يهبط بمكانته بين رفاقه والدته وإهماله تدريبه على ضبط انفعالاته منذ طفولته المبكرة ، كل ذلك حرى يؤثر تأثيراً ضاراً على نموه الانفعالى .

وقد يثور المراهق على بيئته المنزلية أو يكبت هذه الثورة فى أعماق نفسه ليعانى بذلك ألواناً مختلفة من الصراع النفسى الذى يقف به على حافة الهاوية فإما الخضوع وإما العصيان وإما الانقسام على نفسه .

والعلاقات العائلية الصحيحة السوية تساعده على اكتمال نضجه الانفعالى وتسير قدماً نحو مستويات الاتزان الوجدانى وتهيئ له حساً نفسيا صالحاً لنمو . وهكذا قد تعوق العلاقات العائلية النمو الانفعالى للمراهق ، وقد تساعده فى تطوره وبلوغه نضجه المرجو .

٥- معـايـير الجماعة :

يختلف أثر المثيرات الانفعالية تبعاً لاختلاف مراحل النمو المتتابعة المتعاقبة وتختلف الاستجابات أيضاً تبعاً لعمر الفرد فى طفولته ومراهقته فبعض الأمور التى تضحك الفرد فى طفولته لا تثير ضحكه فى مراهقته وبعض الأمور التى كانت تثير آلامه فى طفولته تثير هذه الآلام فى مراهقته ، وهكذا يرى المراهق نفسه بين إطارين مختلفين إطار طفولته وهو لهذا يشعر بالحرج بين أهله ورفاقه لشعوره باختلاف سلوكه ومثيراته ويخشى أن يشذ بسلوكه الجديد عن إطار الجماعة التى يتفاعل معها ، أو يهبط بعيداً عن معاييرها وقيمتها وتؤثر هذه الخشية فى انفعالاته فتنجو به أحياناً نحو الشك فى أفعاله وأفعال الآخرين .

وهكـــذا تتـــأثر اســـتجاباته الانفعاليـــة بمســـتويات المعـــايير والقيم التى تفرضها الجماعة والثقافة القائمة على أفرادها المختلفين .

٦- الشعـور الدينى :

يكمـن المظهـر الانفعـالى الـدينى فيمـا يحـيط بالإيمـان مـن مشـاعر وعواطـف مختلفة وسنرجئ مناقشة المظهر الاجتماعى للدين إلى تحليلنا المقابل للناحية الخلقية عند المراهقين .

فالفرد يؤمن فى طفولته بالشعائر والطقوس الدينية المختلفة ولكنه فى مراهقته يتخفف كثيراً من هذا الإيمان الشديد ويتجه بعقله نحو مناقشتها وفهمها والكشف عن أسبابها وعلاتها ولهذا قد ينحدر به الشك إلى الصراع وقد يخشى أن يناقش أهله فى تلك الأمور وخاصة إذا كانت الأولى متزمتة جامدة ويزيد فى آلامه النفسية شعوره

بالإثم لشكه فى تلك الطقوس التى أمن بها فى طفلته وشعوره بالذنوب التى يقترفها وأخطائه التى يقع فيها .

وحرى به أن يرى الذين فى ضوء عقله النامى المتطور حتى يتجنب هذه الآلام الانفعالية الوجدانية وأن يتجه بإدراكه إلى تفسير الكون فى العالم المحيط به فى ضوء مفاهيمه الدينية الجديدة وأن يرى فى هذا الشك خطوة رئيسية لفهمه العميق وإيمانه القوى بالله والحياة والموت ، وما وراء الموت من آفاق قد يصل إليها بوجدانه عندما يضل عقله أو يتعسف فى هذه الأعماق السحيقة .

ولا ضير عليه أن يناقش ويفكر ويقدر ويؤمن ليجتاز إطار شكوكه كما اجتاز إطار طفولته ، وهكذا تتأثر مثيرات المراهق الانفعالية بعلاقته بالدين عبر والدته المباشرة بفلسفة الحياة ذاتها وأهدافها وماضيها وحاضرها ومستقبله ، وتتأثر استجاباته أيضاً بهذه العلاقات فيخفى بعضها ويسر نجواه ، ويجهر بالبعض الآخر فى حذر وحرص .

فالشعور الدينى فى المراهقة عامل قوى فى تغيير مثيرا واستجابات المراهق الانفعالية .

المظاهر الانفعالية للمراهق :

ترجع الأصول الخصبة الدائمة لجميع الانفعالات إلى الطاقة الحيوية النفسية التى تتخذ لنفسها ألواناً مختلفة تتناسب ومراحل النمو التى يمر بها الفرد فى حياته المتطورة المتغيرة ولهذا تختلف المظاهر الانفعالية للطفولة فى بعض معالمها ومناحيها عن المظاهر الانفعالية للمراهقة ، وتتميز انفعالات المراهق بأنها مراهقة سريعة الاستجابة ، وتميل إلى الكآبة والانطلاقة .

١ – الرهافة :

يتأثر المراهق تأثراً سريعاً بالمثيرات المختلفة نتيجة لاختلاف اتزانه الغدى الداخلى ولتغير المعالم الإدراكية لبيئته المحيطة به فيرتطم عليه أمره وتسد عليه مذاهبه ومسالكه القديمة ، فهو لذلك لا يطمئن اطمئنان الطفل الساذج البرئ ، ولشدة

ما يستجيب لتلك الانفعالات التى تثور فى أعماق نفسه ويبذل فى استجابته جهد نفسه ، وهو لهذا مرهف الحس فى بعض أمره تسيل مدامعه سراً وجهراً ويذوب أسى وحزناً وحينما يسمه الناس ينقد هادئ بعيد ، ولسرعان ما يشعر بالضيق والحرج حينما يتلو مقطوعة نثرية على جماعة فصله أو يلقى حديثاً أمام مدرسته .

٢- الكـآبـة :

يتردد المراهق أحياناً فى الإفصاح عن انفعالاته ، ويكتمها فى نفسه خشية أن يثير الناس ولومهم فينطوى على ذاته ويلوذ بأحزانه وهمومه وهواجسه ، ليصبح حائر النفس تقيل الظل يخادن نفسه وينأى عن صحبة الناس ، ولقد يسترسل فى كآبته حتى يشعر بضآلة أحلامه وآماله فى ضوء الحقائق اليومية فيخلد إلى التأمل هروباً من الواقع ويظل فى غلوائه حتى تثوب إليه نفسه حينما يجد فى هوايته وميوله ما يملأ به فراغه ويجد ما يخفف به آلام نفسه وكابة شعوره .

٣- الانـطـلاق :

يندفع المراهق أحياناً وراء انفعالاته حتى يسمى متهوراً يركب رأسه فيقدم على الأمر ثم ينخذل عنه فى ضعف وتردد ويرجع باللائمة على نفسه ، ولذلك سرعان ما يستجب لسلوك الجمهرة الصاخبة الثائرة فى طيش قد يرمى به إلى التهلكة ، وقد تسيطر عليه أحياناً نزوة من نزوات انفعالاته فيقهقه ضحكاً عندما يسر إليه أحد رفاقه فكاهة عابرة وهما يستمعان إلى خبطة الجمعة أو يسيران فى جنازة شخص ما ، ثم يندم على فعلته ، يلوم نفسه وينقلب كئيباً يسوم نفسه خسفاً وذلاً وهواناً .

ولا تثريب عليه فى انطلاقه الانفعالى ذلك بأنه ظهر من مظاهر تأثره السريع وأثر من آثار طفولته القريبة ، وعلامة من علامات سذاجته البريئة فى المواقف العصبية التى لم يألفها من قبل وصورة من صور التخفف من شدة الموقف المحيط به ووسيلة لتهدئة التوتر النفسى فى مصل هذه المواقف الشاذة .

تطور انفعال الخوف فى المراهقة :

تدل نتائج الأبحاث التى قامت بها أناستازى **A. Anastasi** وغيرها من الباحثين على أن مخاوف المراهقة تدور حول العمل المدرسى والشعور بالنقص والمغالاة فى تأكيد المكانة الاجتماعية ، ولقد تنشأ من مجرد حديث عابر بين الرفاق أو

الأقارب أو من قراءة المواضيع التى تثير القلق والارتباط وتهدف فى تطورها إلى التخفيف من المخاوف الذاتية الفردية وإلى تأكيد النواحى الاجتماعية .

هذا ويستجيب الفرد عادة لمواقف الخوف استجابة بدنية فسيولوجية تبدو فى تغير لونه وفى ارتعاد فرائصه وفى تصبب جسمه عرقاً ، وقد ينزع إلى الهروب أو يكتم مخاوفه ولا تبدو آثارها إلا فى محاولة أحاديثه وأقواله ، وقد يتطور به الأمر فيمتد بأفكاره وخياله إلى المستقبل ويستنتج المواقف المخيفة قبل حدوثها وينأى بنفسه بعيداً عنها حتى لا يواجهها .

وتدل دراسات نوبل G. V. Noble ولند S. B. Lund على أن الفرد يحتفظ فى بدء مراهقته ببعض مخاوف طفولته كالخوف من الأشباح والثعابين ، ثم يتخفف منها بعد ذلك حتى يوشك أن ينتصر عليها فى أواخر مراهقته .

وتتطور مخاوف المراهقة فى موضوعها ومظاهرها تطوراً يميزها فى جوهرها عن مخاوف الطفولة .

أ) موضوع المخاوف :

هذا ويمكن أن نلخص أهم مخاوف المراهقة بالنسبة إلى موضوعها فى الأنواع الرئيسية التالية :

١- مخاوف مدرسية :

كمثل الخوف من الامتحانات والتقصير فى الواجبات واحتمال الطرد من المدرسة ، وسخرية المدرسين والزملاء والاضطرار إلى الاشتراك فى مناظرة منا أو إلقاء خطبة أو محاضرة .

٢- مخاوف صحية :

وتبدو فى الخوف من الإصابات والحوادث والعاهات والمرض والموت .

٣- مخاوف عائلية :

وتبدو فى القلق على الأهل حينما يمرضون أو يتشاجرون أو يضطهدون .

٤- مخاوف اقتصادية :

وتبدو فى جوهرها حول الفقر والبطالة وهبوط المستوى الاقتصادية للأسرة ، والكفاح المهنى والخوف من إتلاف ممتلكات الأفراد الآخرين .

٥- مخاوف خلقية :

وتبدو فى شعور المراهق بالإثم عندما يقترف ذنباً أو يرتكب خطيئة ، وتبدو أيضاً فى خشيته من أن يتردى فى المهاوى التى يقع فيها رفاقه.

٦- مخاوف تتصل بالعلاقات الاجتماعية :

وتبدو فى مخاوف المراهق من آثار التعصب الذى قد يمحق به لانتمائه لجماعة الأقليات وتبدو أيضاً فى ظنونه التى تحمله على الشك فى سلوكه خشية إزاء الناس .

٧- مخاوف جنسية :

وتبدو فى علاقة المراهق بالجنس الآخر وخاصة فى أوائل مراهقته ، وتبدو أيضاً فى مدى تأثره بمظاهر بلوغه الأولية والثانوية وشعوره بالحرج والضيق لاختلال تناسب أعضاء جسمه وتشوه معالم وجهه ومدى خضوعه لدوافعه الجنسية الجديدة .

ب) مظاهر الخوف :

يصطبغ فى المراهقة بصبغة اجتماعية ، تتطور مثيراته واستجاباته وتتخذ لنفسها أشكالاً متعددة تخضع أهم هذه الأشكال فى القلق والخجل والارتباك والكآبة .

١- القلق :

ويرف بأنه إحدى الحالات الانفعالية التى قد تصاحب الخوف وينشأ القلق من ترقب الفرد للمثيرات والمواقف المؤلمة ، وقد يؤدى به إلى التهيج والاضطراب ، وقد يعوق التفكير والعمليات العقلية المختلفة .

والقلق بهذا المعنى يدور حول خوف الفرد من النتائج المجهولة المستقبلة للمواقف المختلفة .

٢- الخجل :

ويعرف بأنه إحدى الحالات الانفعالية التى تصاحب الخوف عندما يخشى الفرد الموقف الراهن المحيط به وينشأ الخجل من شعور المراهق بالذات ويبلغ ذروته عند البنين فى سن ١٥ سنة ، والخجل اتجاه نفسى خاص وحالة عقلية انفعالية تتميز بالشعور بالضيق فى اجتماع الخجول بالناس وفى محاولته المستمرة لكفل ومنع الاستجابات الاجتماعية العادية ، وقد يكون الخجل هروباً من

الواقع وتجنباً له فهو ذلك مظهر للمرض النفسانى المعروف باسم (فصام الشخصية الشيزوفرانيا SCHZOPHRENIA)

والخجل بهذا المعنى يدور حول الخوف من الحاضر الذى يحيا المراهق فى إطاره ويعوق بذلك مظاهر النشاط المقبلة .

٣- الارتباك :

ويعرف بأنه إحدى الحالات الانفعالية التى قد تصاحب الخوف عندما لا يجد المراهق لنفسه مخرجاً من الموقف الراهن المحيط به وعندما يشعر بسخرية الآخرين منه أو مغالاتهم فى مدحه ، فلا يطمئن إليهم ويشك فى نواياهم ويختلط عليه الأمر .

والارتباك بهذا المعنى خوف من الحلول المتناقضة للموقف المحيط بالفرد .

٤- الكآبة :

وتعرف بأنها إحدى الحالات الانفعالية التى قد تصاحب الخوف وتهبط بالنشاط النفسى إلى مستوياته الدنيا ، وتقترن بالمواقف الفاشلة والخيبة والإخفاق واليأس والقنوط والذلة .

والكآبة بهذا المعنى أثر من آثار المواقف الماضية التى مرت بالفرد وذكرى الإخفاق أو الحزن .

وهكذا يرتبط القلق بالخوف من المستقبل والخجل بالهروب من الحاضر والارتباط بالصراع والتردد فى الحاضر والكآبة بآثار الماضى .

تطور انفعال الغضب فى المراهقة :

تتأثر مثيرات واستجابات الغضب فى تطورها بالعمر الزمنى وبالمواقف المختلفة المحيطة بالفرد وبنوع ومستوى إدراكه خلال مراحل نموه .

أ) تطور المدى الزمنى لانفعال الغضب :

تدل الدراسات التى قام بها ملتزر M . Meltzer على أن ٩٨٪ من حالات الغضب عند الأطفال لا تستمر أكثر من خمس دقائق ،

بينما يبلغ متوسط المدى الزمنى لحالات الغضب فى المراهقة ١٥ دقيقة ويتراوح مدى هذه الحالات بين دقيقة واحدة وبين حوالى ٤٨ ساعة .

ب) مثيرات الغضب فى المراهقة :

يغضب المراهق عندما يشعر بما يعوق نشاطه ويحاول بينه وبين غاياته ، وعندما يشعر بالظلم والحرمان ، وعندما يتأثر مزاجه بالأمور الطبيعية الخارجية .

١- الإعاقة :

فهو يغضب عندما يفشل فى إصلاح دراجته أو دمية أخيه الصغير فيثور على الدراجة والدمية ويعبر بذلك عن غضبه ، وقد يغضب عندما يحال بينه وبين المذاكرة أو النوم أو عندما يوقظه أهله وهو لم يستمتع بنومه بعد ولم يأخذ منه كفايته وقد يغضب أيضاً عندما يصيبه الصداع وهو فى طريقة إلى الامتحان ، أى أنه يغضب على كل ما يعوق نشاطه ويحول بينه وبين بلوغ هدفه .

٢- الظلم والحرمان :

ويغضب المراهق عندما يظلمه الأهل والرفاق والمدرسون أو عندما يرى الظلم يقع على أسرته وعائلته ، أو عندما يرى قسوة الناس فى تعذيبهم للحيوانات والأطفال الصغار ، ويغضب أيضاً عندما يشعر بأنه قد حرم من بعض حقوقه ومميزاته أو عندما يعتدى أخوته على بعض ممتلكاته وحقوقه ، وقد يثور عندما لا يعترف والده بنموه وتطوره فيعاملانه كطفل صغير وكأنه لم يصبح مراهقاً بعد .

٣- المزاج :

يتأثر مزاج المراهق إلى حد ما بالعوامل الطبيعية الخارجية فيستجيب غاضباً للجو العاصف والبرد القارس ، وللحر اللافح ،

وللزوابع والأعاصير .

ج) استجابات الغضب فى المراهقة :

يتخفف المراهق من استجابات الطفولة خلال المراهقة حتى تكاد تتلاشى كلها فى الرشد ، ولا تبقى منها إلا ما يبدو منه عندما يضرب الأرض بقدمه أو يركل الأشياء الملقاة فى الحجرة أو الطريق ، وخاصة عند البنين أما البنات فإنهن قد يستجبن لغضبهن بالبكاء .

هذا وقد تتطور استجابات الغضب فى المراهقة وتتخذ لنفسها أشكالاً حركية ولفظية وقد تسفر عنها فى تغييرات الوجه ، وفى لوم المراهق لنفسه سراً وجهراً .

١- المظاهر الحركية :

ويبدو عندا يحاول المراهق أن ينفس عن غضبه بالنشاط الحركى المتباين ، وذلك عندما يذرع الغرفة جيئه وذهاباً فى ثورة واضطراب أو عندما يترك الدار ويهيم على وجهه فى الطرقات ، أو عندما يشغل نفسه بميل شاق يستنفذ جزءاً من طاقته الانفعالية الغضبية .

٢- المظاهر اللفظية :

يطرد النمو الانفعالى بالمراهق فيحفف من سلوكه العدوانى الحركى وتتحول استجاباته الغضبة إلى مظاهر لغوية تبدو فى خصومته ومناجاته فيبسط على النسا والأشياء والمواقف ألواناً متباينة من وعيده وتهديده وشتائمه وقد يرتج عليه القول ويطرب أمره إذ أشطت به حدة الغضب ولا يكاد يدرى لأمره مخرجاً .

٣- تعبير الوجه :

قد يكظم المراهق غيظه ويربأ بنفسه عن الضرب والشتائم ويرخى السر على ما يحتدم به صدره من الغيظ والغضب ولا يكاد يبدى من هذه الثورة الدفينة إلا وجهاً مربدا وسحنة عابسة ، وهكذا ليستجيب لرجاحة رأيه ورباطة جأشه ، ويصبر على ما أصابه حتى تثوب إليه نفسه .

٤- اللوم :

قد يقع فى حدس المراهق أنه مجحف ظالم ، مبطل ، غير محق ، فينحو على نفسه باللائمة ، ويمسها بنقد لاذع أليم ، ويتجه بغضبه نحو ذات نفسه ، وقد تسيل مدامعه من فرطا الألم لرقة حواسه ورهافة مشاعره .

٥- النية والفعل :

يحاور المراهق نفسه حواراً داخلياً صامتاً عنيفاً إبان غضبه ، لكنه يتخفف كثيراً من المظاهر الداخلية حينما يعلنها على الناس فى استجاباته الغضبية وتدل أبحاث مليتزر H. Meletzer على أن أعلى نسبة لهذه النوايا الداخلية تبدو فى رغبة المراهق فى البكاء والصراخ والوعيد والإهانة وإن أوسطها تبدو فى السخرية والعتاب والهرب ، لكن الاستجابات الخارجية الفعلية التى ترتبط ارتباطاً قوياً بهذه النوايا العدوانية لا تكاد تتجاوز ٤٪ وأن المظهر اللغوى الهادئ يبلغ ٤٠٪ ، وهكذا لا يسفر المراهق عن نواياه إلا بقدر ، ويخضع فى أنماط سلوكه لرقابة ضميره فهو لا يبين أو يفصح عن حقيقة غضبه وشدة ثورته إلا بما يتفق ومقومات الموقف المحيط به ومستوى تدريبه ونضجه .

تطور الحب فى المراهقة :

تروى الأساطير ليونانية أن كل فرد من أفراد النوع الإنسانى كان فى نشأته الأولى مزيجاً متآلفاً من ذكراً وأنثى ولأمر ما غضب الإله زيوس على هذه المخلوقات الغريبة فشطر كل مخلوق إلى شطرين وقذف بكل شطر إلى بقعة جديدة من بقاع الأرض الواسعة العريضة ومنذ ذلك الحين يسع كل نصف ليبحث عن نصفه الآخر وكل ذكر ما يفتأ باحثاً عن أنثاه ، وهكذا نشأ الحب بين الأفراد النوع الإنسانى .

وترمز هذه الأسطورة إلى أن الحب جواً عاطفى يتجه نحو الخارج ليساعد الذات فى تكاملها .

والحب فى تكامله اتجاه نفسى يميل بالفرد نحو ما يحب ومن يهوى ويرتبط من قريب بشحنة انفعالية مركبة معقدة ، تتناسق عناصرها وتهدف إلى إقامة علاقات مؤتلفة تصل الفرد بدعائم عالمه المحيط به وبأفراده وأفكاره ومسالكه التى تتصل بحفظ

النوع الإنسانى فى صوره المختلفة ، وهذا يرتبط الحب من قريب بالدافع الجنسى ويتطور فى مراحله المتعاقبة من حب الذات إلى حب النظير إلى حب الجنس الآخر .

أ) الحب والدافع الجنسى :

يذهب فرويد Froid إلى أن الحياة الجنسية لا تبدأ فى المراهقة بل تمتد بجذورها الأولى العميقة إلى الطفولة ، ويستدل على ذلك بشغف الأطفال بأعضائهم التناسلية ، ويقرر أن الليبدو Libido أو الطاقة الانفعالية الفطرية والبدائية جنسية فى جوهرها رغم تعدد مسالكها وتباين مناهجها وأساليبها وقد اضطر فرويد فى كتاباته الأخيرة أن يضيف إلى هذه الطاقة غريزة الموت ليفسر بهما مظاهر المرض النفسى فى الحروب والانتحار .

وهكذا يرى فرويد أن رغبة الطفل فى أن يحب وأن يحب وحاجته الملحة الحيوية إلى هذه النتيجة تنبع فى أصولها الأولى من الدافع الجنسى الكامن فى النفس ، وأن الحب الجنسى يتطور مع الفرد خلال موه فى مراحل متعاقبة تبدأ بالرضاعة وعملية الإخراج بنوعيها ثم تتطور إلى الاهتمام بالأعضاء التناسلية ، ثم تبدو فى الحب الذكور لأمهاتهم وغيرتهم من آبائهم وحب الإناث لآبائهن وغيرتهن من أمهاتهن ، ثم يضطر الطفل إلى قمع أغلب المظاهرة الجنسية لهذه النواحى فى الخامسة من عمره ويكمن هذه الدوافع حتى يبلغ ، ولهذا يسمى فرويد المرحلة التى تمتد من الخامسة وإلى البلوغ بمرحلة الكمون الجنسى حيث يتباعد فيها الجنسان فى ألعابهما وعلاقاتهما الاجتماعية ثم تنشط الغدد التناسلي فى المراهقة فيحاول الفرد أن يستبعد حرياته الجنسية بعد كونها ، فإذا اضطربت حياته تحت عبء العوائق الاجتماعية فإنه يجنح فى سلوكه ويرتد إلى أنماط الطفولة المبكرة لإشباع هذه الدوافع الجنسية .

فالطفولة بهذا المعنى تكيف جنسى فى إطار الأسرة والمراهقة ولادة فى المجتمع فالأسرة إرهاص لهذه الولادة الثانية وإعدادها لها .

هذا ولا تستقيم أغلب الآراء فى ضوء النقد العلمى الدقيق ، ولهذا يعتقد هافلوك إلـــــيس Havelock Ellis وبريرلـــــى M. Brirley أن فرويد يغالى فى تأكيد وظيفة الأب والضمير فى عمليتى القمع والكتب ويغالى أيضاً

فـــــــى تعميقـــــــه الســـــــريع ، ويـــــــذهبان إلـــــــى هـــــــذه الأدوار المختلفـــة تتبـــاين تبعـــاً لتبـــاين مســـتويات الثقافـــة المهيمنـــة علـــى جو الأسرة وأن عقدة أوديب التى تبدو فى كبت الطفل لبغضه لأبيه وغيرته منه وإظهاره للحب الذى يقرره المجتمع تختلف تبعاً لنوع النظام العائلى القائم وتبعاً لمدة شدة الأب وتبعاً لاختلاف المستوى الحضارى للمجتمعات المتعددة وقد تختفى تماماً فى المجتمعات البدائية .

هذا وبالرغم من ارتباط النمو الجنسى فى المراهقة بنشاط الغدد التناسلية والتغير البيولوجى الوظيفى فى نوع ونسبة إفراز الهرمونات المختلفة فإن الدوافع الجنسى يختلف فى بعض نواحيه عن الحب فالحب فى معناه العلمى الحديث أعم من التحديد الجنسى الضيق الذى يذهب إليه علماء التحليل النفسى وذلك لأنه يصل بالشخصية كلها فى تكاملها وميلها نحو الأشياء التى يحبها أو الأشخاص أو الأفكار المعنوية التى تهواها والفرق الجوهرى بين الدافع الجنسى والحب هو أن الحب يجاوز إطار الذات ويمتد بالفرد إلى الآفاق الخارجية الواسعة العريضة ولهذا تختفى ثورة الدافع الجنسى عند إشباعه بينما يظل الحب يصبغ حياة الفرد ويميل بها دائماً إلى مسالكه ودروبه ومنهجه وشرعه ، والحب بهذا المعنى – كما بينا من قبل – اتجاه نفسى يكتسب بتكامل الخبرة وبالتقليد وبغير ذلك من العوامل التى تؤدى إلى تكوين الاتجاهات ويفســـر عـــن ميـــل الشـــخص نحـــو مـــا يحـــب ومـــن يهـــوى ويقـــوم فى جوهره حول تناسق بعض الانفعالات وتمركزها حول موضوعه وهدفه .

ب) مراحل تطور الحب :

من العلماء فريق يذهب إلى أن المراهق يكتشف نفسه من جديد وبصوره غريبة عن طفولته وذلك حينما يستطرد به النمو من البلوغ إلى الرشد فيكتشف أولن جديدة من التناسق والتآلف الذى يصفه بعالم القيم والمعايير والعلاقات والتقليد والزمن والجنس ، والحق أنه لا يكتشف هذا العالم بل يشعر به شعوراً جديداً لأن هذه النواحى لم تلك عدماً فى طفولته بل عاشت معه وعاش معها دون أم ينتبه لها انتباهاً مركزاً دقيقاً فهو ينأ فى طفولته عن الجنس الآخر ولا يهتم به اهتماماً خاصاً لأنه لا ينتبه له ولا يدرك تماماً أهميته القصوى فى حياته ، ثم يتبدل إدراكه فى المراهقة لينتبه لهذا الجنس فى شئ من الحذر والخجل والتردد بادئ ذى بدء ثم يندفع نحوه بعاطفته الجياشة وذات نفسه .

وهكذا يتطور الحب فى مظهره العام من الطفولة إلى الرشد فيسفر عن أنماط متعاقبة تبدأ بحب الرضيع لأمه أو لمربيته مع تأكيد لذاته ، ثم يتطور نمو الفرد فيتجه بعاطفته نحو الأب والراشدين مع أهله ثم تنتقل هذه العاطفة بموضوعها إلى المدرس أو المدرسة وخاصة فى المدرسة الابتدائية ثم يتطور نمو الطفل ويبدو ذلك فلعبه وتآلفه مع نظرائه وأقرانه ، وهكذا يتخفف – نوعاً ما – من علاقته بالكبار ، وعند البلوغ يميل الفتاة إلى الفتاة لكنه يستأنى فى إظهار هذا الميل ، وتسبق الفتاة الفتى فى ميلها نحوه لأنها تبلغ قبله ، ويتطور هذا الحب فى فجر المراهقة ووسطها إلى حب عذرى أفلاطونى يطفى على حياة المراهق أواناً فياضة من المشاعر والخيالات والأحلام الجميلة ، ثم يكون هذا الاختيار إرهاصها صحيحاً لزواجه المقبل .

وهكذا يتطور الحب من الذات إلى الرشد إلى النظير إلى الجنس الآخر ومن التنافر إلى التآلف ومن الخيال إلى الواقع .

التنظيم المزاجى (الانفعالى – النزوعى) :

يتصف الانفعال فى مظهر الخارجى السلوكى بصفات نزوعه ويختلط بها ويتفاعل معها حتى أصبحنا اليوم نسنى هذا التآلف بالمزاج ونشير إلى مظهر الداخلى

بالانفعال وإلى مظهر الخارجى بالنزوع ، وبذلك تصبح الصفات المزاجية صفات نفسية ، وانفعالية – نزوعية ، ترجع فى أغلب نواحيها إلى أمور وراثية فسيولوجية ، وإلى خبرات الشخص الماضية ، وتهدف إلى تقسيم سلوك الفرد فى نشاطه الظاهر والباطن إلى أقسام وفئات انفعالية أو إلى مظاهر وأصناف لها حدودها النسبية التى تميزها عن غيرها وتتبع فى نشأتها الأولى من الفروق الفردية القائمة بين الأفراد ، وتزداد هذه الفروق تمايزاً وتحدياً فى المراهقة أكثر مما تزداد فى الطفولة ، ولهذا تتضح الصفات المزاجية فى هذه المرحلة لاتصالها المباشر بهذا التمايز الذى يؤكد حدودها وحدود القدرات العقلية المعرفية كما بينا ذلك فى تحليلنا للنمو العقلى المعرفى فى المراهقة .

وقديما اهتم اليونان والعرب بالأنماط المزاجية وشبهوها بالعناصر المادية المعرفية لهم فقسموها إلى هوائى ، ونارى ، وترابى ، ومائى ، كما فعل أميدوكلبس Empedocles ومازلنا إلى اليوم نرى الناس فى ريفنا المصرى يعتقدون صدق هذه الأنواع ويتخذونها أساساً لاختيار زوجاتهم ، ويصلون بينها وبين أسماء الناس وأسماء أمهاتهم ليتكشف لهم سلوكهم المقبل ، وخير لريفنا أن يسفه هذه الخرافات التى تلاشت فى ضوء العلم الحديث ومن أشهر التقسيمات القديمة التصنيف الرباعى لهيبوقراط Hippocrates الذى أمزجه الناس إلى الدموى الذى يدل على التفاؤل والمرح والنشاط الصفراوى الذى يدل على العنف والغضب ، والسوداوى الذى يدل على التشاؤم والكآبة واللمفاوى أو البلغمى الذى يدل على الخمول والبلادة ، وقسم فونت Wunt الناس ومخاطر وحزين وبليد ، وقسمهم يونج Jung إلى منطو ومنبسط ، فأما المنطوى فيميل إلى العزلة ويفكر أكثر مما يعمل ، وأما المنبسط فيميل إلى المرح والاختلاط بالناس ويعمل أكثر مما يعمل وأما المنبسط فيميل إلى المرح والاختلاط بالناس ويعمل أكثر مما يفكر ، ومهما يكن من أمر هذه الأنماط فإنها خضعت منذ نشأتها لناموس التطور فتحولت من العناصر الطبيعية إلى الوظائف الفسيولوجية ثم انتهت أخيراً إلى أشكال السلوك ذاته وحديثاً حاولت فريق من العلماء تطبيق المنهج الإحصائى العاملى على دراسة النواحى المزاجية بأنماطها وسماتها المختلفة ، وأدت بهم تلك الدراسات إلى الكشف عن بعض هذه السمات .

ولقد أدت الدراسات المقارنة الناقدة التى قام بها بايهر M. E.Baehr لأبحاث ثرستون L. L. Thunrstone ، وجيلفورد J. P. Guilford ، ومارتن H. G. Martin إلى استخلاص السمات المزاجية الرئيسية التالية :

١- الرصانة الانفعالية : وتبدو فى الاتزان الانفعالى والتعاون والبشر والطلاقة والتحرر من الكآبة .

٢- الاندفاع : ويبدو فى التحرر والسلوك الاجتماعى المنبسط ، والمبادأة ، والسيطرة .

٣- العنف : ويبدو فى الصفات المميزة للرجولة والنشاط العنيف .

٤- الرهافة : وتبدو فى الشعور المرهف بالمثيرات المختلفة وفى سرعة التأثر بالنقد واللوم ، وسرعة التحول من الحزن إلى الفرح .

ولقد حاول أيزنك H. J. Eysenck أن ينسق الصفات المزجية فى تنظيم هرمى يشبه التنظيم العقلى المعرفى ويقوم على صفات عامة تبدو فى الأنماط وتقابل القدرات العامة كالذكاء وصفات طائفية مركبة ، وتبدو فى السمات وتقابل القدرات الطائفية المركبة فى التنظيم العقلى المعرفى كالقدرة اللغوية وإلى صفات طائفية كالقدرة المكانية الثانية أ, الثلاثية ، وإلى استجابات انفعالية خاصة مباشرة وهى تقابل القدرات الذاتية الخاصة الضيقة فى التنظيم العقلى المعرفى ، ومهما يكن من أمر هذه النواحى الانفعالية – النزوعية فإن العلم لم يقل فيها كلمته الأخيرة بعد ، ومازلنا نتلمس الطريق لدراستها ، وقد حاول يبعض الباحثين وخاصة أيزنك H. J. Eysenck أن يكتشف لها طريقة إحصائية جديدة فى التحليل العلمى الإحصائى النفسى سماها " التحليل المعيارى " لكنها مازلت قيد البحث والدراسة .

ولعل كل ما يهمنا من أمر هذه الأنماط والسمات أنها متمايزة فى المراهقة وأنها تتصل من قريب بتصنيف هذا الضرب من السلوك إلى أقسام وظيفية لها أثرها فى شخصية الفرد ولها تماسكها واستمرارها النسبى ، وأنها ميدان جديد للبحث قد يلقى

ضوءاً على الدعائم الأولى للشخصية الإنسانية فى آفاقها العاطفية الوجدانية النزوعية السلوكية .

رعاية النمو الانفعالى فى المراهقة :

الرعاية الصحية للنمو الانفعالى تقوم على معرفة الآثار الحسنة والسيئة للطاقة الانفعالية حتى نستطيع أن نوجه نموها شطر غاياته المرجوة التى تحقق سعادة الفرد والجماعة وأن تقيم دعائمها على أسسها النفسية الصحيحة .

أ) الآثار الحسنة للانفعالات :

تتلخص أهمية الانفعالات فى أنها منبع خصب للأعمال البنائية الإنشائية وأنها تدفع الفرد نحو العمل والطموح فهى لذلك ضرورة من ضرورات الحياة ومصدر قوى من مصادر استمتاع الفرد بها فى آمالها وأحزانها ومسراتها ، ولذلك نرى الناس حينما يشعرون بالملل من الحياة الرتيبة ، وحينما تخلو حياتهم من الاستمتاع الانفعالى الفياض يبحثون عن الخبرات الانفعالية بقراءة القصص المثيرة أو بكثرة التردد على دور الملاهى ، وكأنهم بذلك يبتاعون لأنفسهم مثيرات انفعالية جديدة .

هذا وتؤثر الانفعالات تأثيراً حسناً على نشاط الفرد الذى يؤهله للقيام بعمل يفوق طاقته العادية فى شدتها ومداها ، وقد تجاوز حدود التعب اليومى فلا يكاد يحس به وهو يمضى منفعلاً لإنجاز عمله .

١- الآثار البدنية :

وتبدو فى الأرق والتعب المزمن والصداع واضطرابات الهضم كفقدان الشهية والقيئ والإمساك والإسهال ونقص الوزن والانهيار البدنى العام

٢- النشا العقلى :

تتأثر العمليات العقلية المختلفة تأثراً ضاراً بالانفعالات الحادة فالممثل المبتدئ ينسى كل ما حفظه حينما يواجه الجمهور لأول مرة وذلك لخوفه الشديد من الموقف ، ويمر المبتدئ أيضاً بنفس هذه الأزمة حينما يواجه تلاميذه لأول مرة وخاصة عندما يراقبه زملاؤه ويحصون عليه الأخطاء وتدل الدراسات التى قام بها مور H. T. Moore على أن أشد الانفعالات تأثيراً فى التفكير والتذكر والانتباه

والعمليات العقلية الأخرى هى الخوف الشديد والغضب الحاد وما يتصل بهما من قلق وخجل وارتباك .

٣- الاتجاهات النفسية :

ويؤثر الغضب الحاد على مدى تماسك وتناسق الاتجاهات المختلفة التى تتكون منها الذات الشعورية ، وللانفعالات الشديدة أثر قوى فى تغيير اتجاهات الفرد أو تعديلها ، وفى نشأة التعصب الضيق وفى إقامة الحدود والسدود الاجتماعية بين الناس ومدى جنوح التباعد النفسى الذى يحول بين الجماعة الكبيرة وبين تماسكها الصحيح .

٤- العادات الانفعالية :

حدة الانفعال وكثرة تكراره تحيد بالفرد عن القدرة على ضبط نفسه فبتعود الثورة لأتفه الأسباب وقد يشيع ذلك فى حياته جواً من القلق والتشاؤم فى جوهره والنمو السوى .

ولا تثريب على المراهق فى أن يميز بهذه النواحى المختلفة مادامت حياته تهدف نحو الاتزان السوى الصحيح ، ومن الخطأ أن نحول بالكبت أو بالقمع بين المراهق وانفعالاته وخير لنا أن نعوده ضبط النفس حتى يرضوه على رؤية الجوانب السارة لكل موقف مؤلم وأن يخفف من غلوائه ولا يندفع دائماً وراء نوازعه .

ج) الأسس النفسية للرعاية :

تفوق لآثار السيئة للانفعالات أثارها الحسنة ، ولذلك أصبح لزاماً علينا أن نراعى النمو الانفعالى وأن نوجهه وجهته الصحيحة وأن ندرب المراهق على الاهتمام بفهم انفعالاته وطرق رعايتها حتى قصد السبيل السوى فتتأثر بذلك صحة المراهق البدنية والنفسية . هذا وتتلخص أهم الأسس النفسية للرعاية الصحيحة للنمو الانفعالى فيما يلى :

١- الثقة بالنفس :

هى خير وسيلة للتغلب على المخاوف التى تنشأ من شعور المراهق بضعفه وعجزه تجاه النواحى العلمية والاجتماعية والفهم الصحيح للموقف وللنمو الانفعالى المحيط به يساعده على بناء ثقته بنفسه وتزداد هذه الثقة كلما ازداد

تدريبه على المواقف المماثلة ، هكذا يستطيع أن يحكم عقله ولا يندفع وراء نزواته وأن يتخفف من مخاوفه وقلقه وارتباكه ، وقد يغضب المراهق أحياناً لفشله وعجزه ، وقد يساعده التدريب أيضاً على النجاح فيمنا يهدف إليه وعلى التخفف من ثورة غضبه ، وهكذا تزداد ثقته بنفسه ويستطرد به النمو الانفعالى نحو اكتمال النضج .

ومن الوسائل الناجعة تجاه ثقة المراهق بنفسه احترام الناس لآرائه وتقبل مساعداته بقبول حسن ، وتدريبه على القيام بتدبير أموره الهامة ، وتنظيم خططه بنفسه وتكوين قراراته وأحكامه ، وتهيئته لرؤية الأخطاء على أنها خطوات إيجابية فى سبيل الهدف وأنها ليست عوائق تحول بينه وبين غايته ، ولقد عالجت الفلسفة الهندية المعاصرة ، هذه الناحية الأخيرة حينما قالت كلمتها على لسان فيلسوفها طاغور " إنك تستطيع أن تنظر إلى الطريق نظرتين مختلفتين ، فأما النظرة الأولى فتريك الطريق كأنها فاصل بينك وبين المقصد ، فأنت تحسب كل خطوة فيها ظفراً بلغته منها غنوة فى وجه المقاومة والعداء ، أما النظرة الثانية فتريك الطريق كأنها وسيلتك إلى غايتك ، فأنك تحسبها بهذا الاعتبار جزءاً من تلك الغاية لتلك النهاية " .

وهكذا يستطيع الفرد أن يثق بنفسه وهو يمضى فى أخطائه متخففا شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى غايته .

٢- الانتصار على مخاوف الطفولة :

المراهق الذى يتلكأ فى نموه ويحيا بانفعالاته المختلفة فى إطار طفولته ، ويظل يخشى الظلام ويضرب الناس فى غضب يعد متأخراً وبعيداً عن المستوى الصحيح الانفعالى والاتزان العاطفى ، وهكذا تعتبر مخاوف الطفولة التى تظل تهيمن بقوتها على المراهق مقياساً لضعفه وتأخره ، ولا ضير على المراهق أن ينتقل بمخاوفه من العالم الخارجى إلى عالمه الداخلى الذى يدور حول أفكاره وخيالاته وتأملاته ، وذلك لأن هذه المخاوف تبقى مع الفرد طول حياته حتى أشد الناس تكيفاً لبيئته وإنما الضير كل الضير أن يقف النمو الانفعالى بالمراهق عند حدود طفولته ولا يكاد يجاوزها فى قليل أو كثير .

ومن الخير للمراهق أن يتخفف تماماً من المخاوف المالية والرعاية الرشيدة الحكيمة هى التى تأخذ بيده فى هذه المسالك ، وتفتح أمام ناظره هذه الآفاق الجديدة للحياة .

٣- الفكاهة المرحة :

رب فكاهة عابرة فى موقف عصيب تكون خير علاج للتوتر النفسى الذى يصاحب الأزمات الانفعالية المختلفة ، والمراهق الذى يرى الجوانب السارة فى حياته ويدركها إدراكاً صحيحاً ، ويستمتع بها فى حينها حرى أن ينأى بنفسه عن أغلب ما يعوق نموه الوجدانى ، وأن ينتصر بمرحه على مشاكله وأحزانه .

والفكاهة فى جوهرها حالة انفعالية تهدف إلى تخفيف حدة التوتر النفسى الذى يبدو فى الكآبة والملل والأزمات المختلفة ، وهى لذلك تنجو بالفرد نحو التباين المضحك القائم بين عناصر الموقف المدرك وتجعله يشعر بالسمو والرفعة وعلو المنزلة والمكانة ، وغالباً ما يعقبها اتزان هادئ جميل وراحة ممتعة .

٤- الاستمتاع الفنى :

الاستمتاع بالجمال فى أى صورة منن صوره فى الطبيعة والشعر والآداب والرسم والتصوير والنحت والموسيقى هو خير ما تسمو إليه انفعالاتنا المختلفة .

والمراهق الذى يرهف مشاعره حتى يدرك ويفهم ويستجيب وجدانياً للأعمال الفنية الخالدة فى هذا الكون ، يرقى سريعاً نحو النضج العاطفى الانفعالى الصحيح وعلى المدرسة أن ترعى نمو هذه المشاعر وأن تهيئ الجو المناسب فى المعارض وبين جدران الفصل وفى أوجه النشاط المختلفة حتى زيد من استمتاع الفرد بالحياة ومن إدراكه العميق لتناسقها وانتظامها الساحر ، ومن إيمانه العميق .

٥- صحة المدرس والأب النفسية :

المدرس الشاذ فى سلوكه المريض بنفسه المضطرب فى مسلكه ، لا ينشئ إلا جيلاً مضطرباً ضعيفاً يوشك أن ينهار أمام صدامات الحياة وخير رعاية للنمو الانفعالى الصحيح تتلخص فى تهيئة البيئة الانفعالية المدرسية والمنزلية التى تهيمن من قريب وبعيد على حياة المراهقين ، فالمدرس الحاد المزاج الذى يثور

لأتفه الأسباب ، يسئ إلى تلاميذه ويعوق نموهم السوى ، والأب العصبى المزاج يعكس آثار هذا الاضطراب على أولاده وأهله وذلك لأن النمو تفاعل دائم مستمر بين عناصر ومقومات الوراثة البيئية ، فالبيئة المضطربة لا تصلح للرعاية السوية .

٦- الثقة بالنفسى :

المرونة خير علاج للكآبة وخير وسيلة للتخفف من الأزمات الانفعالية الحادة . وتعتمد هذه المرونة الانفعالية على مستوى النضج وعلى مدى اتساع الخبرة الانفعالية وتعدد مناحيها وجوانبها ، والعاقل هو الذى يدرك متى ينحنى للعاصفة الهوجاء فى مرونة ويسر ويضبط انفعالاته حتى تمر ، ولا يثور فى وجهها فيتحطم .

والتدريب على ضبط الانفعالات الهوجاء عنصر جوهرى من عناصر النمو الانفعالى الصحيح ولقد حثت أغلب الأديان على رعاية هذه الناحية . ومن الأحاديث المأثورة عن رسول الله (ﷺ) أنه قال:" أهل الجنة كل هين لين سهل طلق"، وقال : أيضاً "أحبكم إلىّ أحسنكم أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون " .

وهكذا يصبح حد المرونة والحلم وضبط النفس عند هيجان الغضب وثورة الانفعال ولا يعنى هذا كبتها أو قمعها ، ومن الأمثلة العربية المألوفة قولهم : احتمال السيئة خير من التحلى بصورتها

والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته .

٧- إيثار الآخرين :

المغالاة فى حب الذات والأثرة والأنانية تؤدى كلها إلى النفور والتباعد النفسى ، وتدل على تأخر النمو الانفعالى وتقف بالمراهق على عتبة الأطوار المبكرة لهذا النمو ، والنضج يتسم بحب الآخرين ، وبامتداد الشخصية فى آفاقها الاجتماعية الواسعة العريضة ، وبتجاوزها حدودها الفردية الضيقة ، فالذين يؤثرون الناس على أنفسهم فى بعض الأمور يدلون بذلك على مستوى رفيع من مستويات النضج الانفعالى الصحيح والرعاية التى تهدى المراهق إلى هذه السبل العليا إنما تساعده على التخفف من أنانيته الضيقة وترقى به صعوداً نحو أهدافه المثلى .

خامساً : النمو الاجتماعى :

من خصائص النمو الاجتماعى فى مرحلة المراهقة المرحلة التى تقابل مرحلة التعليم الإعدادى أو المتوسطة الاستمرارية فى عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى حيث يستمر تعلم واستدخال القيم والمعايير الاجتماعية من الوالدين والمدرسين إلى زيادة الثقة فى النفس والشعور بالأهمية وتوسيع الأفق الاجتماعى والنشاط والاتجاهات والأفكار والاهتمام بالأحداث الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية .

ونلاحظ أن الاتصال الاجتماعى ينمى قدرة المراهق على الحديث ويوسع وجهات نظره ويزيد معلوماته العامة .

ويظهر الاهتمام بالمظهر الشخصى وتلاحظ النزعة إلى الاستقلال الاجتماعى وانتقال من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس ، ويشاهد الميل إلى الزعامة ، والتوحد مع بعض الشخصيات والتى تعد مثلاً أعلى للشخصية ، وينمو الوعى والمسئولية الاجتماعية والوعى بالمكانة الاجتماعية ، والدور الاجتماعى ، ويشاهد التذبذب أحياناً بين الأنانية والإيثار ، ويلاحظ التآلف والتكتل فى جماعات الأقران والتى من خلالها يكتشف ذاته وقدراته ويقرر بعد ذلك الاستمرار معها أو الانتقال إلى جماعة أخرى من خلالها يؤكد ذاته وتشير الدراسات إلى التوتر والسلوك الاجتماعى والاكتئاب وعدم القدرة على مواصلة الاتصال الاجتماعى .

فى مرحلة المراهقة الوسطى :

مرحلة التعليم الثانوى تتضح الرغبة فى تأكيد الذات مع الميل إلى مسايرة الجماعة ويحدث تحقيق الذات من خلال تنمية الشعور بالألفة والمودة ويظهر الشعور بالمسئولية الاجتماعية والسياسية العامة والتعاون والتشاور والمحافظة على الجماعة وبذل الجهد فى سبيلها واحترام أداء الواجبات الاجتماعية والميل إلى مساعدة الآخرين والاهتمام باختيار الأصدقاء ويزداد ولاء المراهق لجماعة الأصدقاء ففيها تشبع حاجاته النفسية الملحة والتى من النادر أن يستأنس المراهق بدونها وكذلك وجود التشابه فى الطبائع والأحاسيس ، علاوة على أن الرفقة اختيارية لا يلزم بها المراهق وإنما يحددها باختياره مع وجود عوامل مساعدة ومهيئة مثل الزمالة أو القرابة أو الجوار أو التخصص أو الجنسية ، ولا يرضى أن توجه إليه الأوامر أو النواهى والنصائح أمام رفاقه ، ويجاهد المراهق لتحقيق المزيد من الاستقلال الاجتماعى وتفتح الميول وتتنوع بين ميول نظرية وأدبية وفنية وعلمية وشخصية واجتماعية وثقافية ولا يخفى ما

للميول من تأثير محرك للسلوك ، وتشاهد الرغبة فى مقاومة السلطة والميل إلى شدة انتقاد الوالدين والتحرر من سلطتهم ، ويلاحظ الميل إلى الزعامة الاجتماعية والعقلية والرياضية ويتميز الزعيم هنا بقدرته على شرح الأمور الغامضة ويعمل المراهق جاهداً على التحلى بخصائص الزعامة الجسمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التى تجعل أقرانه يختارونه كقائد لهم فى تفاعلهم الاجتماعى ، ويزداد الوعى الاجتماعى والميل إلى النقد والرغبة فى الإصلاح الاجتماعى .

والناشئ فى هذا الدور الاجتماعى يستطيع التعاون مع غيره والتنازل عن رأيه إن اقتنع بخطئه ، من هنا كان هذا الدور أفضل دور لتكوين الروح الاجتماعية الصحيحة ، روح التعاون والتسامح والوحدة والنظام والولاء للجماعة ، كما يميل للاستقلال فى الرأى وللاقتناع بالحجة ولا يرضى بأن تفرض عليه الأوامر والنواهى فرضاً ، ولذلك يجب أن يحترم المربى هذه النزعة الجديدة فتقيم له الحجة حتى يقتنع بما نراه صالحاً له وفى هذه المرحلة يتميز النمو الاجتماعى للمراهق بما يلى :

١- يبحث المراهق عن نموذج أو شخص يجسم فيه مثله العليا ويمكن أن يستغل ذلك فى دراسة الشخصيات المتميزة والأبطال والشخصيات وقادة الفكر .
٢- يميل المراهق إلى انتقاد من حوله ووالديه ومعلميه .
٣- الميل إلى الانتماء للجماعة وإلى التقليد أو التوحد مع أفرادها وهذا يتطلب إنماء روح التعاون وتقوية الشعور الاجتماعى .
٤- الاتجاه إلى التفكير فى الدين ومناقشة القضايا وأمور الدينية ، وهذا يتطلب إرشاد دينى صحيح ومبسط .
٥- الميل نحو الاستقلال عن السلطة والاعتداد برأيه والتمسك به والاعتماد على نفسه .

وفى مرحلة المراهقة المتأخرة : مرحلة التعليم العالى ينمو الذكاء الاجتماعى الذى يعنى القدرة على التصرف فى المواقف الاجتماعية والتعرف على الحالة النفسية للمتكلم والقدرة على تذكر الأسماء والوجوه وملاحظة السلوك الإنسانى والتنبؤ به من خلال أدلة بسيطة وروح الدعابة والمرح والرغبة فى توجيه الذات التى تبدو واضحة فى محاولة المراهق كسر أية قيود توضع على نشاطه ومحاولاته المستمرة لتحقيق الاستقلال فيلاحظ سعى المراهق لتحقيق التوافق الشخصى والاجتماعى وتنمو القيم

لديه نتيجة تفاعله مع البيئة الاجتماعية ، ويزداد الاهتمام بمشكلات الزواج والعمل والمهنة والاعتزاز بالشخصية والمشاركة فى الواجبات ويصبح للمراهق فلسفة واضحة المعالم .

ويجنح المراهق نحو مشاركة الكبار أعمالهم والميل إلى العمل الصالح ومساعدة الغير ، والاشتراك فى الأندية والفرق الرياضية والكشفية ، ويشترك فى الدفاع عن الوطن .

العوامل المؤثرة فى النمو الاجتماعى

أولاً : الأسرة وأثرها فى النمو الاجتماعى :

يتأثر المراهق فى سلوكه الاجتماعى بخبرات طفولته الماضية ، وبالجو المحيط به فى مراهقته ، وبمدى خضوعه أو تحرره من الجماعة التى نشأ فيها .

١- علاقة الطفل بوالديه وأثرها على مراهقته :

الفرد المدلل فى طفولته يظل طفلاً فى مراهقته ، فيعجز عن الاعتماد على نفسه ، ويتقهقر أو ينهار أمام كل أزمة تواجهه ، ويشعر بالنقص عندما لا تجاب له رغباته ، ويسفر بذلك كله عن تكيف اجتماعى مريض ، شأنه فى ذلك شأن الطفل المدلل سواء بسواء ، ويرجع هذا كله إلى مغالاة الوالدين والأهل فى نقده وتخويفه ، وضربه وعقابه ، وإلى إهماله وتفضيل أحد أخوته عليه ومطالبته دائماً بما هو فوق طاقته ، وإلى حبسه وسجنه فى إحدى حجرات الدار المغلقة ، وإلى تهديده بالطرد ، وإلى حرمانه من العطف والحب والحنان .

وهكذا تحتاج النشأة الصحيحة للمراهقة إلى طفولة سوية تحيا فى جو لا يدللها أو ينبذها ، وإنما يستقيم بها بين الطرفين دون تفريط أو إفراط .

٢- المناخ الأسرى :

يتأثر الفرد فى نموه الاجتماعى بالجو النفسى المهيمن على أسرته ، وبالعلاقات القائمة بين أهله ، ويكتسب اتجاهاته النفسية بتقليده لأبيه وأهله وذويه .

والأسرة المثالية هى التى تساير نمو أفراد فتعامله فى طفولته على أنه طفل ولا ترهقه من أمره ، ولا تحاول أن تقحم طفولته فى إطار الراشدين ، بل تهيئ له الفرصة لكى ينمو ويستمتع بكل مرحلة يمر بها فى حياته .

والأسرة المستقرة الثابتة الهادئة المطمئنة تعكس هذه الثقة وذلك الاطمئنان على حياة المراهق فتشيع بذلك حاجته إلى الطمأنينة ، وتهيئ له جواً مثالياً لنموه ، ولهذا كان للوالدين أثرهما الفعال على سلوك أولادهما ، وكان لسعادتهما فى حياتهما الزوجية اتصال قريب مباشر بسعادة أولادهما والجو المضطرب يشئ إلى نمو المراهق ، وينحو به نحو الشذوذ والثروة ، وتعصب الأب لجيله ، وتزمته الشديد لآرائه ، ينأى به بعيداً عن صداقة أبنائه ويقيم بينه وبينهم الحدود والحواجز التى تحول بين وبين فهمه لمظاهر نموهم الأساسية ، وبين الثقة الضرورية لتآلفهم ونموهم .

والأسرة التى تثور غاضبة للأسباب التافهة وتبغض الناس وتميل إلى الانتقام والغيرة ، لا تنشئ إلا أفراداً مرضى ، يعيشون فى حياتهم المقبلة تحت وطأة الصراع الحاد والاضطراب الشديد .

وهكذا تترك الأسرة آثارها العميقة على حياة المراهق والراشد وتصيغها بصيغتها الهادئة السوية ، أو المضطربة الشاذة .

٣- الفطام النفسى :

يتخفف الفرد فى مراهقته من علاقته بالأسرة واتصاله المباشر بها ، ويتصل اتصالاً ثوياً بأقرانه وزملائه ، يم يتخفف من علاقته بهم ، ليتصل من قريب بالمجتمع القائم ، ولهذا كان لزاماً على أهله وذويه أن يساعدوه على هذا التحرر ، ويتخففون من سيطرتهم عليه شيئاً فشيئاً ، حتى يمضى قدماً فى طريق نموه وللمغالاة فى رعاية المراهق وحمياته من كل أذى وكل خبرة شاقة ، أثر ضار على إعاقة فطامه النفسى ، وخيراً للمراهق أن يعتمد على نفسه (فى شراء لوازمه وحاجاته وملابسه ، وفى اختيار أصدقائه ، وفى قضاء أوقات فراغه ،والاستمتاع بهواياته) وعلى تكوين صداقة قوية بينه وبينهما.

وهكذا يتحرر المراهق من خوف طفولته وخنوعها ويشعر بأهميته ، ويتدرب على حياته المقبلة فى المجتمع الكبير .

٤- المستوى الاجتماعى – الاقتصادى للأسرة :

يختلف سلوك الفرد تبعاً لاختلاف المدارج المختلفة لأسرته ، ذلك لأن لكل طائفة من الطوائف الاجتماعية أسلوباً معيناً فى الحياة ، ونمطاً خاصاً فى السلوك ، بمعنى أنه سلوك أفراد الأسرة الفنية

نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسر الفقيرة ، ولسلوك أفراد الأسر المتعلمة نمط يختلف عن سلوك الأسر الجاهلة ، هذا وترتبط هذه المستويات من قريب بالمعايير الاجتماعية والقيم المرعية ، وبمدى تفاعل الفرد معها ، وإيمانه بهما ، وخنوعه لها أو عزوفه عنها .

أهم مظاهر النمو الاجتماعى :

يتميز النمو الاجتماعى فى المراهقة بمظاهر تختص بالتآلف مع الآخرين أو النفور والابتعاد عنهم .

أ) التآلف :

يميل المراهق للجنس الآخر ، ويثق بنفسه ويحاول تأكيد ذاته وتتسع دائرة التفاعل الاجتماعى للمراهق تبعاً لتتابع مراحل نموه وللجماعات المختلفة التى ينتمى إليها حتى يدرك حقوقه وواجباته وتخفف من أنانيته ، ويقترب بسلوكه من معايير الجماعة ويتعاون معهم فى نشاطه ومظاهر حياته الاجتماعية .

١- الثقة وتأكيدات الذات :

يتخفف المراهق من سيطرة الأسرة ، ويؤكد شخصيته ، ويشعر بمكانته ، ويحاول أن يرغم الأفراد المحيطين به على اعتراف له بهذه المكانة ، فهو لهذا فخور بنفسه يبالغ فى أحاديثه وألفاظه وفى ذكر مستوى تحصيله ، وغرامياته ، وفى العناية الفائقة بمظهره الخارجى ليجذب انتباه الناس إليه .

٢- الخضوع لجماعة النظائر :

يخضع المراهق لأساليب أصدقائه وخلانه وأترابه ومسالكهم ومعاييرهم ونظمهم ويصبح بذلك عبداً لجماعة النظائر التى ينتمى إليها ، رغم تحرره من أِرته التى نشأ فيها أى أنه يتحول بولائه الجماعى من الأسرة إلى النظائر ، ثم يمضى بعد ذلك فى تطوره فيتخفف من هذا الولاء قبيل رشده واكتمال نضجه .

٣- البصيرة اجتماعية :

قد يستطيع الفرد فى مراهقته أن يدرك العلاقات القائمة بينه وبين الأفراد الآخرين ، وأن يلمس ببصيرته آثار تفاعله مع الناس ، فرب كلمة هو قائلها قد تثير حوله عاصفة من النفور ، وأن تضفى على الحياة جواً من الألفة فهو لهذا قد ينفذ ببصيرته إلى أعماق السلوك ويلائم بين الناس ونفسه .

٤- اتساع دائرة التفاعل الاجتماعى :

وتزداد آفاق الحياة الاجتماعية للفرد للتتابع مراحل نموه وللجماعات المختلفة التى ينتمى إليها خلال هذا التطور ، وهكذا يتصل من قريب وبعيد بالأفراد المختلفين ، فتسع لذلك دائرة نشاطه الاجتماعى ، ويدرك حقوقه وواجباته ويتخفف نوعاً من أثرته وأنانيته ، ويقترب بسلوكه من معايير الناس ويتعاون معهم فى نشاطه ومظاهر حياته الاجتماعية الخصبة الغنية .

ب) النفور :

تهدف مظاهر النفور فى جوهرها إلى إقامة الحدود بين شخصية المراهق وبين بعض الأفراد والجماعات التى كان ينتمى إليها ويتفاعل معها ليقيم بذلك إطار ذاته ، وأركان تمايزه ودعائم شخصيته .

وتتلخص أهم هذه المظاهر فى تمرد المراهق على الراشدين ، وسخريته من بعض النظم القائمة وتعصبه لآرائه وآراء أقرانه ومنافسيه وأنداده .

١- التمرد :

يتحرر المراهق من سيطرة الأسرة ليشعرها بفرديته ونضجه واستقلاله ، وقد يغالى فى هذا التحرر ، فيعصى ويتمر ويتحدى السلطة القائمة فى أسرته ، وكأنه يثور على طفولته التى كانت تخضع وتنقاد لأوامر أهله ونواهيهم

٢- السخرية :

يتطور إيمان المراهق بالمثل العليا البعيدة تطوراً ينحو به أحياناً نحو السخرية من الحياة الواقعية المحيطة به لبعدها عن هذه المثل التى يؤمن بها ويدعو إليها ، ولكنه يقترب شيئاً من الواقع كلما اقترب من الرشد واكتمال النضج ، ويهبط من السماء الخالية التى كان يحلق فيها فى بدء مراهقته إلى الحياة اليومية التى تصطخب من حوله .

٣- التعصب :

يزداد تعصب المراهق لآرائه وللمعايير جماعة النظائر التى ينتسب إليها ولأفكار رفاقه وأساليب وخاصة فيما بين ١٢ و ١٦ سنة ثم تقل حدة هذا التعصب بعد ذلك كلما اقترب من الرشد ، وهو يتأثر فى تعصبه هذا بعوامل عدة تنشأ فى جوهرها من علاقته بوالديه وبأنماط الثقافة التى تهيمن على بيئته وبالشعائر

الدينية التى يؤمن بها وبالطبقات الاجتماعية التى ينتمى إليها ، هذا وقد يتخذ التعصب سلوك عدوانياً يبدو فى الألفاظ والنقد اللاذع والنشاط الجامح .

٤- المنافسة :

يؤكد المراهق مكانته بمنافسته أحياناً لزملائه فى ألعابهم وتحصيلهم ونشاطهم ، والمغالاة فى المنافسة الفردية تحول بينه وبين الوصول إلى المعايير الصحيحة للنضج السوى ، وخير للمراهق أن يرتفع بأنماط المنافسة وأساليبها حتى تستقيم أموره مع الأوضاع الاجتماعية والسوية فيتحول من المنافسة الفردية إلى المنافسة الجماعية التى تهيمن عليها روح الفريق وما تنطوى عليه هذه الروح من تعاون بين الأفراد .

تطور السلوك الاجتماعى فى المراهقة

يختلف السلوك الاجتماعى للمراهقين عن سلوك المراهقات فى بعض النواحى وفى تتبع بعض مظاهره ، ولهذا سنحاول فى الفقرات التالية أن نبين الفروق الجنسية فى هذا التطور .

أ) تطور السلوك الاجتماعى للمراهقين :

تتلخص أهم الخطوات الرئيسية للنمو الاجتماعى عند المرتقين فى المراحل التالية :

١- مرحلة التقيد :

وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ عمر الفرد ١٢ سنة وتوشك أن تنتهى فى الخامسة عشر من عمره ، وتتميز بفرط إعجاب المراهق بزملائه الشجعان الأقوياء الأذكياء الذين يتفرقون فى ألعابهم ودراساتهم أو الذى يتزعم أقرانه وزملاءه فهو لذلك ينتقل فى تطوره هذا من إعجابه بأبيه إلى إعجابه بزعيمه ، ويحاول جهد طاقته أن يقلد هؤلاء الأفراد وأن يقتدى بهم فى سلوكه .

٢- مرحلة الاعتزاز بالشخصية :

وتبدأ بعد الخامسة من العمر وتتميز بمحاولة المراهق الانتصار على زملائه فى ألعابه ، وبمغالاته فى منافستهم ، وبميله أحياناً إلى السلوك العدوانى وبجرأته التى تتحدى بعض المخاوف القائمة ليؤكد بذلك شخصيته ومكانته ويبرهن على قوته وشجاعته.

٣- مرحلة الاتزان الاجتماعى :

وتبدو فى أواخر المراهقة ، وقبيل البلوغ وتبدو فى تخفف المراهق من العصيان والاندفاع والتهور ، وفى نظرته الجديدة لهذه الأمور على أنها أعمال صبيانية لا تدل إلا على القصور والعجز .

ب) تطور السلوك الاجتماعى للمراهقات :

تتلخص أهم المراحل التى تمر بها الفتاة فى نموها الاجتماعى من باكورة مراهقتها فى المراحل التالية :

١- مرحلة الطاعة :

وتبدأ هذه المرحلة قبيل المراهقة وتمتد حتى أوائلها ، وتبدو مظاهرها الأساسية فى خضوع المراهقات لمعايير الراشدين من الأهل والأقارب ، وهكذا يتصف السلوك الاجتماعى للمراهقات بالطاعة ودماثة الخلق والوداعة والرصانة والحياء والخفر والتظاهر بالحشمة ، طمعهاً فى إرضاء الأهل والوالدين .

٢- مرحلة الاضطراب :

تمتد هذه المرحلة من أوائل المراهقة حتى الخامسة عشرة من العمر وتتميز بالاضطراب الانفعالى واختلال الاتزان فتبلغ الفتاة فى استجاباتها للمثيرات الهادئة ، وتنفجر ضاحكة أو تثور غاضبة للأمور التافهة ، ثم تستطر بعد ذلك إلى الكآبة اليائسة الحزينة ، أو تبالغ فى الاهتمام بنفسها ومظهرها ثم ترعوى وتعود سيرتها الأولى .

٣- مرحلة تقليد الفتان :

وتبدأ فى الخامسة عشرة من العمر وقد تمتد إلى السادسة عشرة أو السابعة عشرة وتبدو فى تقليد الفتيان فى السلوك والزى والحوار ، ولقد استرعت هذه المظاهر الغريبة بعض الفلاسفة المحدثين ، وفريقاً من علماء التحليل النفسى فذهبوا إلى أن الحياة فى صورتها العامة تنحو دائماً القوة وأن الرجولة مظهر هذه القوة ، لهذا تقلد المرأة العصرية الرجل فى كثير من أموره فتحاول أن ترتدى زيه وأن تزج بنفسها فى المغامرات التى اشتهر بها منذ فجر التاريخ ، وأن تدخن كما يدخن الرجال سواء ، ومهما يكن من أمر هذه المذاهب والآراء فلا جرم أن الفتاة

تمر فى تطورها الاجتماعى بهذه المرحلة ، وقد يقف بها النمو عندها فتتخذ لنفسها بعد ذلك أساليب الرجال فى الحياة .

٤- مرحلة الاتزان الاجتماعى :

وتبدأ فى أواخر المراهقة وقبيل الرشد ، وتبدو فى استجابة الفتاة للمعايير الأنثوية الصحيحة فى السلوك وفى زيها وحديثها وأنماط حياتها ، والخصومة ، ويحاول جذب انتباها لآخرين بفرض نشاطه وحركته وهو يسفر بذلك كله عن تكيف اجتماعى مريض شأنه فى ذلك شأن الطفل المدلل ، سواء بسواء ويرجع هذا كله إلى مغالاة الوالدين والأهل فى نقده وتخويفه ، وضربه وعقابه ، وإلى إهمال وتفضيل أحد أخوته عليه ومطالبته دائما بما هو فوق طاقته ، وإلى حبسه وسجنه بما هو فوق طاقته ، وإلى حبسه وسجنه فى إحدى الحجرات المغلقة وإلى تهديده بالطرد وإلى حرمانه من العطف والحب والحنان .

وهكذا تحتاج النشأة الصحيحة للمراهق إلى طفولة سوية تحيا فى جو لا يدللها أو ينبذها ، وإنما يستقيم بها بين الطرفين دون تفريط أو إفراط .

٢- ذروة الخلافات بين الآباء والأبناء :

يصل الخلاف بين الوالدين وأبنائهم المراهقين إلى أشده فى المراهقين المبكرة أى فى المرحلة من ١٣ إلى ١٧ سنة وترجع شدة الخلاف إلى إصرار الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم على أنهم مازالوا أطفالاً ، وعلى مطالبتهم فى الوقت نفسه بأن يتحملوا المسئولية وأن يسلكوا فى حياتهم مسلك الكبار وتتزايد حدة هذه الخلافات حتى تصل إلى نهايتها العظمى فيما بين ١٤ و ١٥ سنة ثم تهدأ حدتها بعد ذلك بالتدريج .

وكما ينفر الأبناء من أبنائهم يتضايق الآباء من أبنائهم وذلك لأن المراهق فى هذه المرحلة من حياته يصبح صعب المراس لا يأبه للمسئولية ، ويميل للمبلغة يثور لأتفه الأسباب لا يثبت على حال .

وترجع أسباب الخلاف بين المراهقين وآبائهم إلى ثلاثة عوامل رئيسية هى :

أولاً : ما يفرضه الآباء من قيود على المراهقين لإقرار الحزم وتدريبهم على النظام ، وما يصحب هذه القيود من ثورة المراهقين عليها ورفضهم إياها وهم

يحدثون بذلك إنهم تجاوزوا هذه القيود الصبيانية التى يجب ألا تفرض عليهم .

ثانياً : مبالغة المراهق فى نقده لوالديه ولأخوته ولحياته العائلية والآباء الذين ضحوا فى سبيل أبنائهم ليحققوا لهم حياة كريمة يرون فى هذا النقد نوعاً من العقوق .

ثالثاً : ينبع من نوع الحياة الاجتماعية التى يحياها الفرد فى مراهقته وخاصة فى اختلاط المراهق بالجنس والأماكن الغريبة التى يرتادها ، والملابس الشاذة التى يرتديها وحاجته الملاحة لمزيد من المال ليتابع هواياته ويسيار بذلك نزوات رفاقه .

٣- نهاية الخلاف وتحول النزاع إلى وفاق :

تتحول علاقات الأبناء بآبائهم من النزاع إلى الوفاق فى المراهقة المتأخرة التى تبدأ عندما يصل عمر المراهق إلى ١٧ سنة وتمتد أوائل الرشد ٢١ سنة ، وذلك عندما يدرك الآباء أن أبنائهم المراهقين قد اقتربوا من الرشد ولهم حقوقهم ولهم كما أن عليهم أن يتحملوا بحق واجبات هذه الحقوق من مسئولية إلى سلوك متزن جاد عاقل رصين ، وعندما يغير الآباء موقفهم من أبنائهم يسود البيت وفاق وهدوء بعد أن كانت ميدان نزاع وخلاف .

ويتقبل المراهق أخوته الصغار ولا يأنف من سلوكهم الصبيانى ويصبح أكثر إدراكاً وفهما لمشكلاتهم ويعاملهم بروح الأخ الكبير التى تنطوى على ما يشبه شعور الأب بأبنائه الصغار لا بأخوته المشاغبين .

وكلما زاد الوفاق بين المراهق وأبيه ، زاد تبعاً لذلك تقمص المراهق لدور الأب فى علاقاته مع أخوته الصغار .

ويزداد توافق الابن المراهق مع دوره الجديد فى الأسرة أكثر من توافق البنت ، وذلك لأن دور الابن المراهق أكثر وضوحاً فى المجتمعات الراهنة من دور البنت ولأن الدور القيادى للرجل أكثر شيوعاً من دور المرأة ولذا يسبق الولد البنت فى التحول من النزاع إلى الوفاق لأن فى هذا التحول ما يشبع رغبات الولد مما يشبع رغبات البنت .

٤- الجو النفسى السائد فى الأسرة :

يتـــأثر الفـــرد فـــى نمـــوه الاجتمـــاعى بـــالجو النفســـى المهـــيمن على أسرته وبالعلاقات القائمة بين أهله ، ويكتسب اتجاهاته النفسية بتقليده لأبيه وأهله وذويه وبتكرر خبراته العائلية الأولى وتعميمها ، وبانفعالاته الحادة التى تسيطر على الجو الذى يحيا فى إطاره .

والشخصية السوية الصحيحة لا تنشأ إلا فى جود تشيع فيه الثقة والوفاء والحب والتآلف والأسرة التى تحترم فردية الشخص تدربه على احترام نفسه ، وتساعده على أن يكون محترماً بين الناس وتوحى إليه بالثقة اللازمة لنموه ، وهكذا يتأثر الفرد فى مراهقته بالجو الديمقراطى السائد فى أِرته فينمو ويتطور فى إطار مجتمع سوى يعده إعداداً صحياً للمجتمع الخارجى العام ، الذى سيتفاعل معه فى رشده وشيخوخته .

والأسرة المثالية هى التى تساير نمو الفرد فتعامله فى طفولته على أنه طفل ولا ترهقه من أمره عسراً ، ولا تحاول أن تقحم طفولته فى إطار الراشدين بل تهيئ له الفرصة لكى ينمو ويستمتع بكل مرحلة يمر بها فى حياته

والأسرة المستقرة الثابتة الهادئة المطمئنة تعكس هذه الثقة وذلك الاطمئنان على حياة المراهق ، فتشبع بذلك حاجته إلى الطمأنينة وتهيئ له جواً مثالياً لنموه ولهذا كان للوالدين أثرهما الفعال على سلوكه الفعال على سلوك أولادهم ، وكان لسعادتهما فى حياتهم الزوجية اتصال قريب مباشر بسعادة أولادهم .

والجو المضطرب يسئ إلى نمو المراهق ، وينحو به نحو الشذوذ والثروة وتعصب الأب لجيله وتزمته الشديد لآرائه ، وينأى به بعيداً عن صداقة أبنائه ويقيم بينه وبينهم الحدود والحواجز التى تحول بينه وبين فهمه لمظاهر نموهم الأساسية وبين الثقة الضرورية لتآلفهم ونموهم .

والأسرة التى تثور غاضبة للأسباب التافهة وتبغض الناس وتميل إلى الانتقـــام والغيـــرة لا تنشـــئ إلا أفـــراداً مرضـــى ، يعيشـــون فـــى حيـــاتهم المقبلـــة تحـــت وطـــأة الصـــراع الحـــاد والاضـــطراب الشديد .

والأب الذى يشتهر بين الناس بشدة شكيمته وحدة عارضته يستشرف بأولاده على الجنوح ويباعد بينهم وبين اكتمال النضج فإما أن يشايعه أولاده على أمره ملزمين غير مختارين ، ويتبعوه فى غلوائه وهم عنه غير راضين ، وأما أن يثوروا عليه ولا يصدعوا لأمره ، ويصدفوا عنه ثم ينقلوا آثار هذه الثورة إلى رشدهم ويواجهوا بها كل سلطة يرتبطون معها وكل زعامة يتصلون بها .

وهكذا تترك الأسرة آثارها العميقة على حياة المراهق والرشد ، وتصبغها بصبغتها الهادئة السوية أو المضطربة الشاذة وتلزمها سنن الطريق وقصده ، فتدرأ عنها شرور الحياة وتربأ بها عن الخطيئة ، أو تميل بها إلى الفساد والمعصية والإثم .

٥- الفطام النفسى :

يتخفف الفرد فى مراهقته من علاقته بالأسرة ، واتصاله المباشر بها ويتصل اتصالاً قوياً بأقرانه وزملائه ، ثم يتخفف من علاقته بهم ، ليتصل من قريب بالمجتمع القائم . ولهذا كان لزاماً على أهله وذويه أن يساعدوه على هذا التحرر ، ويتخففوا من سيطرتهم عليه شيئاً فشيئاً ، حتى يمضى قدماً فى طريق نموه ، وللمغالاة فى رعاية المراهق وحمايته من كل أذى وكل خبرة شاقة أثر ضار على إعاقة فطامه النفسى ، وخير للمراهق أن يعتمد على نفسه فى شراء لوازمه وحاجياته وملابسه ، وفى اختيار أصدقائه ، وفى قضاء أوقات فراغه ، والاستمتاع بهواياته ، وتأكيد مكانته بين أخوته بما يتناسب ومستواه ونشاطه ، وخير للأسرة أن تمهد للمراهق الوسيلة الفعالة للاشتراك الإيجابى فى مناقشة بعض المشاكل العائلية المباشرة وأن تحترم آراءه وأن تدربه على التعاون مع والديه فى بعض أمورهما ، وعلى تكوين صداقة قوية بينه وبينهما .

وهكذا يتحرر المراهق من خضوع طفولته وخنوعها ، ويشعر بأهميته ويتدرب على حياته المقبلة فى المجتمع الكبير .

٦- المستوى الاجتماعى / الاقتصادى للأسرة :

تدل دراسات بلوكسما D. D. Blocksma على أن للمستوى الاجتماعى الثقافى الاقتصادى للأسرة أثراً عميقاً على سلوك المراهقين وعلى نموهم الاجتماعى

، ولهذا يختلف سلوك الفرد تبعاً لاختلاف المدارج المختلفة لأسرته ، ذلك لأن لكل طائفة من الطوائف الاجتماعية أسلوباً معيناً ونمطاً خاصاً فى السلوك .

وللبيئة المباشرة المحيطة بالأسرة أثر قوى على مستوياتها المختلفة ، وعلى تحديد بعض نشاط أفرادها ولهذا كان لسلوك الأسر الغنية نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسرة الفقيرة ، وكان لسلوك أفراد الأسر المتعلمة نمط يختلف عن سلوك أفراد الأسر الجاهلة ، وهذا وترتبط هذه المستويات من قريب بالمعايير الاجتماعية والقيم المرعية وبمدى تفاعل الفرد معها ، وإيمانه بها وخضوعه لها أو عزوفه عنها ، ومن الناس فريق يستقيم سلوكه فى مستوى معين ، ولا يستقيم فى المستويات الأخرى ، ومنهم من يستطيع أن يتكيف مع عدد كبير من المستويات المختلفة .

ب) أثر المدرسة فى النمو الاجتماعى :

البيئة الاجتماعية المدرسية أكثر تبايناً من البيئة المنزلية ، وأشد خضوعاً لتطورات المجتمع الخارجى من البيت ، وأسرع تأثيراً واستجابة لهذه التطورات وهى لهذا تترك آثارها القوية على اتجاهات الأجيال المقبلة وعاداتهم وآرائهم وذلك لأنها القنطرة التى تعبرها هذه الأجيال من المنزل إلى المجتمع الواسع العريض .

وتكفل المدرسة للمراهق ألواناً مختلفة من النشاط الاجتماعى ، الذى يساعده على سرعة النمو واكتمال النضج ، فهى تجمع بينه وبين أقرانه ولذاته وأترابه ، فيميل إلى بعضهم وينفر من البعض الآخر ويقارن مكانته التحصيلية والاجتماعية بمكانتهم ويتأثر بفكرتهم عنه ، ويدرك نفسه فى إطار معاييرهم ومستوياتهم ويتدرب على التعاون والنشاط والمناقشات والمشروعات الجماعية ، ويدرك بذلك مظاهر المنافسة المشروعة فيلتزم حدودها السوية .

ويتأثر المراهق فى نموه الاجتماعى بعلاقته بمدرسيه ، وبمدى نفوره منهم أو حبه لهم وتصطبغ هذه العلاقات بألوان مختلفة ، ترجع فى جوهرها إلى شخصية المدرس ومدى إيمانه بعمله ومدى فهمه للمراهقة ، وطرق رعايتها ومعالجة مشاكلهما ، فالمدرس المسيطر الذى يأمر وينهى ويهدد ويعاقب ويزدجر ويتوعد ، يباعد بين تلاميذه وصداقته فيتفرقوا عنه ولا يثوبوا إليه ، والمدرس العادل الذى يتجاوب معهم ولا

يخذلهم إذا استنصروه ، حرى بأن يسلك بهم مسلكاً قوياً ، هذا وتدل دراسات أندرسون H. H. Anderson وبرور H. M. Brewer على أن أهم الصفات الضرورية للمدرس الناجح فى علاقاته الاجتماعية هى استمتاعه بمهنته وحبه لها وإيمانه برسالته ، وحبه لتلاميذه ، وميله إليهم ، ومقدرته على خلق جو جميل من الصداقة حوله ، وتحمسه لكل التطورات الصحيحة لمهنته ، ومواجهته لمشاكله ومشاكل تلاميذه باطمئنان وهدوء وقدرته على رؤية هذه المشاكل بالطرق التى يراها بها المراهقون وبالصورة التى يتأثرون بها ورصانته واتزانه ، واتصاله المباشر بتلاميذه .

وتدل دراسات أوستن F. M. Austin ونورتون J. L. Notron على أن الميول المهنية للمراهق تتعلق بعلاقة المراهق بمدرسيه وزملائه ، وبمدى ميله نحو المواد الدراسية المختلفة ، ومدى تأثر هذا الميل بتلك العلاقات ، هذا ويفوق تأثير المراهقات بمدرساتهن تأثير المراهقين بمدرسيهم ، وخاصة فى أوائل المراهقة حيث يبلغ مدى هذا التأثير أقصاه عند كلا الجنسين .

ج) أثر جماعة النظائر فى النمو الاجتماعى :

تتكون جماعة النظائر فى المراهقة من أفراد تتقارب أعمارهم الدراسية والعقلية ويؤلفون فيما بينهم وحدة متماسكة يميزها إطار اجتماعى خاص وأسلوب معين فى الحياة ويبلغ عدد أفرادها عشرة أو اثنى عشر فرداً ويؤثر تأثيراً قوياً على سلوك كل فرد من أفرادها وقد يفوق أثرها البيت والمدرسة فى هذه المرحلة من الحياة ، ولهذا يهتم المراهق اهتماماً بالغاً بآراء والديه أو مدرسيه ، ثم يتخفف بعد ذلك منن تبعيته وانتمائه لهذه الجماعة ، كلما اقترب من الرشد واكتمال النضج .

وتتميز جماعة النظائر من غيرها من الجماعات الأخرى بمظاهر محددة من النشاط وبأسس معينة تتبعها فى اختيار أفرادها وبآثار حسنة وضارة تتركها فى نفوس المراهقين والمراهقات الذين ينتمون إليها .

١ – مظاهر النشاط فى جماعة النظائر :

تنتهج الجماعة لنفسها مظاهر مختلفة لنشاط أفرادها وهم يجتمعون معاً للحوار والحديث أو للرحلات ، أو لزيادة بعض الأصدقاء ، أو لمشاهدة المباريات الرياضية والاستمتاع بها .

ويتأثر نشاط الفرد فى جماعة ما بالتفاهم القائم بينه وبين الأفراد والآخرين ، وبالعرف الذى ترتضيه الجماعة لنفسها ، وبالعادات والتقاليد التى تفرضها الجماعة على أفرادها ، وبالجو الاجتماعى السائد فيها ، ولهذا يحاول المراهق أن يقلد زملاءه فى زيهم ولغتهم ولهجتهم وألفاظهم وأسلوبهم وآية ذلك كله أنه يحاول جهد طاقته أن يعمل كما يعملون ، وأن يذاكر كما يذاكرون ، وأن يستمتع بحياته كما يستمتعون .

وعندما تتكون هذه الجماعات من أفراد ينتمون إلى بيئات اجتماعية ثقافية متقارنة فإنها تؤثر فى تطور المجتمع فقد تعمل على تآلف الطبقات الاجتماعية المختلفة فتحفز أفراد الطبقات الدنيا على الطموح العلمى والاجتماعى ليصلوا إلى مستوى نظائرهم وقد تنقلب الأوضاع ويهبط مستوى الطموح فى الجماعة ، ولهذا كان لزاماً على الدولة وعلى القائمين بالتربية فى البيت والمدرسة أن يراعوا هذه الجماعات رعاية بعيدة غير مباشرة ، حتى يوجهوها وجهتها السوية ، ويتشرفوا بها على الغاية المرجوة لها .

٢- كيف تختار الجماعة أفرادها ؟

تدل نتائج أبحاث وليمامز P. E. Williams وديموك H. S.Dimock وأنستازى A. Anastasi على أن جماعة النظائر تشترط فى الفرد الذى تضمنه إليها أن يكون مخلصاً لزملائه لا يشى بهم أو يتجسس عليهم مهذباً فى سلوكه ، يحافظ على كرامة أقرانه ، متعاوناً معهم يساعدهم عند الحاجة ، أميناً حازماً ، يعرف كيف يضبط نفسه ، مرحاً يستمتع بالفكاهة حين يسمعها أو يرويها متآلفاً مع نظائره ، محباً لهم وألا يكون فظاً جلفاً مشاكساً ، حقوداً متعالياً على الأصدقاء .

٣- أهميتها وآثارها :

لم يعد الفرد فى مراهقته طفلاً ولم يصبح راشداً فهو لذلك فى حاجة إلى جماعة تستجيب لمستوى نموه ، ومظاهر نشاطه ، وتفهمه ويفهمها ولهذا يجد مكانته الحقيقية بين رفاقه ، وجماعة النظائر بهذا المعنى هى ضرب من ضروب الجماعات الضرورية لنمو المراهق نمواً اجتماعياً ولها من الأهمية ما قد يفوق أهمية الآباء والمدرسين معاً فى تنشئة الفرد ، وذلك لأنها تهيئ له الجو المناسب

للتدريب على الحوار الاجتماعى والمهارات والعلاقات ، وأنها تنمى فيه روح الانتماء للجماعة ، وتبرز مواهبه الاجتماعية فيدرك مدى زعامته وخضوعه ، وحدود تآلفه ونفوره ، وتؤثر على نموه الخلقى ، وعلى درجة قبوله للمعايير والتقاليد ، وهى فوق ذلك كله إعداد للحياة المقبلة ومغامرة اجتماعية ، وإرهاص للجماعات الكبرى التى ينتمى إليها .

هذا وقد تسلك جماعة النظائر بأفرادها مسلكاً عدوانياً تجاه الجماعات الأخرى ، فتنحرف بنشاطها وتتعصب لآرائها تعصباً مجحفاً ، وقد تنبذ أحد أفرادها ذلك حينما يشذ عن نشاطها ولا يسايرها فى غلوائها ، وقد تحوط سلوكها بالغموض والسرية وتغالى فى إقامة الحدود والحواجز بينها وبين الجماعات والأفراد ، وقد تميل إلى النشاط العنيف الذى ينحدر بها إلى مسالك خاطئة ، فتخرب ممتلكات الآخرين ، وتعتدى على حقوقهم .

وهكذا يدرك الفرد نفسه ومكانته فى هذا الإطار الدينامى الجماعى الذى يهيمن على حياته فى طور من أطوار نموه ويصبغ سلوكه المقبل بصبغة قوية عميقة لها أثرها القوية على الفرد والمجتمع القائم .

المراجع

١- حامد عبد السلام زهران (٢٠٠١) : علم نفس النمو الطفولة والمراهقة ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، عالم الكتب .

٢- سيد محمد الطواب (١٩٩٢) : سيكولوجية النمو الإنسانى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .

٣- عبد العلى الجسمانى (١٩٩٤) : سيكولوجية الطفولة والمراهقة وحقائقهما الأساسية ، بيروت ، الدار العربية للعلوم .

٤- علاء الدين كفافى (١٩٩٧) : علم النفس الارتقائى ، القاهرة ، مؤسسة الأصالة .

٥- مجدى محمد الدسوقى (٢٠٠٣) : سيكولوجية النمو من الميلاد إلى المراهقة ، القاهرة ، مكتب الأنجلو المصرية .

٦- هدى محمد قناوى (١٩٩٢) : سيكولوجية المراهقة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية .